

ندوة الأدب في الخليج العربي

الجزء الأول

10 - 14 يناير 1988

الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب
اتحاد كتاب وأدباء الإمارات
المجمع الثقافي أبوظبي

ندوة: الأديب

في الخليج العربي

يضم هذا الجزء دراسات كل من:

- رافت السويركي
- الدكتور: سعيد مصلح السريحي
- الدكتور: علي جواد الطاهر
- الدكتور: محمد عبدالله المطوع
- الدكتور: وليد محمود خالص

مقدمة:

لم تكن ندوة الأدب في الخليج العربي التي نظمها اتحاد كتاب وأدباء الإمارات بالتعاون مع الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب والمجمع الثقافي - أبوظبي -، من 10 - 14 يناير 1988 حدثاً عابراً ولا نشاطاً تكميلياً، إذ أن التخطيط له بدأ منذ انبثاق الفكرة من المؤتمر العام للأدباء العرب الذي انعقد ببغداد وذلك لشعور الساحة الثقافية العربية بأهمية التعريف وإلقاء الأضواء على الأدب العربي في أقطار الخليج العربية، خاصة بعد أن شهد هذا الأدب تطوراً واستطاع أن يفرز نماذج مضيئة دون أن يقابل هذا الإشعاع أي جهة في مجال البحث والدراسة ومن هنا فإن الندوة لم تعبر دون أن تترك أثراً على مسيرة أدب المنطقة الذي يرتبط جذرياً ومصيرياً بمجمل التجربة العربية الإبداعية. فالندوة اكتسبت أهميتها ليس من فكرتها فحسب بل من خلال ما قدمته من أبحاث ودراسات مختلفة لم تقتصر على جنس أدبي ما بل حاولت هذه الدراسات أن تكون شاملة بقدر ما أتيح للباحثين والدارسين والمشاركين من زمن يغطي مساحة شاسعة من التجارب المنتشرة في الساحة الخليجية، وهي تجارب لا شك تحتاج إلى ندوات مماثلة، وإلى أبحاث ودراسات أكثر، وهو ما نتمنى أن يحرص عليه الاتحاد العام للأدباء العرب في تخطيطه لنشاطاته المقبلة، وهو ما سنقوم به هنا في اتحاد كتاب وأدباء الإمارات لاستكمال الندوة التأسيسية التي أردناها منطلقاً للمؤمن في هذا المجال.

لقد كانت ندوة الأدب في الخليج العربي منطلقاً لدراسات وأبحاث لا تعتبر مهمة فحسب بل ضرورية، وتأتي أهميتها من كونها البداية التي تؤسس لمثل هذا النشاط الحيوي، خاصة في هذه الفترة الزمنية التي يحاول الأديب العربي أن يرسم ملامح جديدة لأدبه عند مفترق الزمان بين انتهاء قرن حامل بالاجتهاد الفكري والثقافي والدخول إلى قرن جديد له سماته المختلفة في كل التحولات الثقافية العالمية، مما يجعلنا نطرح تساؤلات عن ماهية الأدب القادم وارتباطاته الجذرية بالتجربة، دون نسيان ما وصل إليه أدبنا خلال القرن العشرين وما حققه من تجارب متميزة.

من هنا تصبح هذه الأبحاث والدراسات التي قدمت خلال ندوة الأدب في الخليج مهمة بل وتأخذ أهمية خاصة بين الأبحاث والدراسات المشابهة التي صدرت هنا وهناك، ويصبح جمعها في أجزاء مسألة أساسية لا حفاظاً على الأبحاث من الضياع والتشتت فحسب بل لكي تكون مرجعاً لكل باحث ودارس، ومصدراً لدراسة أدب المنطقة والتعرف عليه، ولعل تشعب وتعدد هذه الأبحاث يزيد من هذه الأهمية ويوسع دائرة الاهتمام بها، وكذلك فإن النقص الشديد في الدراسات التي تناولت أدب المنطقة يزيد من أهمية نشر هذه البحوث ويعطيها الأفضلية على غيرها.

ولقد حرصنا ونحن نقسم هذه الأبحاث والدراسات إلى مجاميع أو أجزاء أن تكون متجانسة أو متقاربة أو مختصة بجنس أدبي ما، وعليه فقد حرصنا أن يكون الجزء الأول خاصاً بالدراسات التي تدور حول القصة القصيرة، وأن يكون الجزء الثاني جامعاً للدراسات التي طرحت حول المسرح، على أن يكون الجزء الثالث خاصاً بالشعر، أما الجزء الرابع فقد جمعنا به بقية الدراسات الأخرى التي تنوعت بتنوع المواضيع المطروحة نظراً لاتساع مساحة الأدب المدروس زماناً ومكاناً.

إن الندوات المتخصصة تفرز دائماً دراسات متخصصة، وتكون إضافة للمكتبة العربية التي لا زال ينقصها الكثير من الأبحاث التي تغطي كافة النتاجات الأدبية في الوطن العربي، وسنحاول تباعاً إصدار كافة دراسات الندوات التخصصية التي نظمها اتحاد كتاب وأدباء الإمارات لأننا نؤمن تماماً أن هذه الدراسات ستسد نقصاً في المكتبة العربية، ظلت تعاني منه لفترات طويلة.

ولعل في هذا القصد ما يشفع لنا عن أي تقصير، وأملنا في هذا الطريق خنمة للساحة الثقافية العربية برمتها.

اتحاد كتاب وأدباء الإمارات

ندوة الأدب في الخليج العربي

الجزء الأول

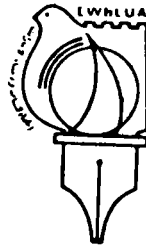
10 - 14 يناير 1988

الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب
اتحاد كتاب وأدباء الإمارات
المجمع الثقافي أبوظبي

التصميم الداخلي: محمد فهمي
تصميم الغلاف: إبراهيم الهاشمي

ندوة: الأدب

في الخليج العربي



منشورات اتحاد كتاب وأدباء الإمارات

الطبعة الأولى

1990

حقوق الطبع محفوظة

يضم هذا الجزء دراسات كل من:

- رافت السويركي
- الدكتور: سعيد مصلح السريحي
- الدكتور: علي جواد الطاهر
- الدكتور: محمد عبدالله المطوع
- الدكتور: وليد محمود خالص

البطل المنكسر

ملامح النموذج في قصص عبدالحميد أحمد

رأفت السويركي

في المجتمع المتحول.. كل يقبض على الهواء. العاصفة لا تبقى ولا تذر الا من كانت جذوره راسخة. خلال هبوبها تطأ الريح أشجارا وتتهاوى بيوت وتطير خيام في المهيب كأنها ريشة فتبدو اللعبة مزعجة وطريقة في آن واحد.

في المجتمع المتحول حين تتأمل، لا ترى بعقلك خلف الشكل والبريق سوى أنية مهشمة، أو مكسورة أو متصدعة. فقد حدثت الزلزلة، ووسط مناخ التحول تحلو للعين والعقل كل على حدة ان يرحل في الأشياء، مراقبا، راصدا، رابطا النتائج وصولا الى قانون التصدع. قد يملك المرء ما ينبغي امتلاكه : وعيا ذاتيا موضوعيا، يفهم به الظواهر ويفككها مهما كانت تعقيداتها وقد لا يملك سوى الهواء وهذه تكون مشكلته.

والكاتب الناضج حين يكتب او ينفعل يكون وجوده في المجتمع اساس رؤيته لعلاقته بالظواهر ولحواره مع الاشياء وجدله الموضوعي فاذا كان قاصا او روائيا فان هذا الوجود يكون أساس الوعي الجدلي الذي يدفعه للتجسيد او للتشخيص.

ومهمة الكاتب هنا ان يلتقط قضيته الانسانية ليس بالانعكاس البسيط المباشر لصورة الواقع، وانما بالتناظر الابداعي، بين واقعه وموضوعه، أو بين

ابداعه وايقاع مجتمعه والاديب الحق هو الذي يقبض عمق التناقضات الداخلية التي تختبئ خلف التماسك الشكلي البائن حينئذ اذا كانت مهمة الاديب هي فهم مجتمعه فان وظيفة الناقد هي فهم الاديب⁽¹⁾. ومن هنا فان هذه المحاولة هي محاولة رصد لايقاعات المناخ القصصي للقاص عبدالحميد احمد عبر ملح النموذج او الشخصية الرئيسية او البطل في مجموعتيه اللتين صدرتا الى الآن: «السباحة في عيني خليج يتوحش» و «البيدار»⁽²⁾. وتأتي هذه المحاولة كاطلالة سريعة على هذا الايقاع ضمن دراسة أخرى تتناول اعماله مع مجموعة أخرى من كتاب القصة في الامارات⁽³⁾.

لماذا... البطل ؟ ولماذا... الواقع ؟ من خلال هذه الثنائية التساؤلية يدور الحوار، فالازمة في الواقع والبطل المأزوم يشكلان قانون العمل الكتابي لدى عبدالحميد احمد، اذ ان ازمة الواقع تسبب ازمة البطل، وتطور ايقاع الواقع يحدث الانكسار، وعبر هذا الطرح ليس غريبا إذا ان تكون الشخصية في العمل الفني منظار الكشف عن مغزى الحياة الاجتماعية مهما كانت حالاتها، سلبية ام ايجابية، وتصبح الحالة او اية حالة للبطل معيارا صحيحا للفهم، وفق المفهوم الموضوعي. أليس لوكانت في كتابه «الرواية ملحمة برجوازية» هو الذي أدرك ان البطل السلمي على قدم المساواة في الاهمية مع البطل الايجابي في كشفه لتناقضات المجتمع ومعرفة جوهر هذا التناقض ؟⁽⁴⁾

وبقدر ما جاء عبدالحميد أحمد متطورا في شكل الكتابة عن الذين سبقوه في الكتابة القصصية، فإنه قد شارك في «التأكيد على المضمون الاجتماعي الانساني كحرية الانسان، ومبدأ العدالة والمساواة وكشف الزيف والخلل الكامن في بنية المجتمع النقطي، نتيجة لتطوره العشوائي الهش وسطوة حالة النفط وهيمنتها على مصير الانسان وسلبيته ومقومات فكره وتزييف وعيه الحضاري»⁽⁵⁾. ومع محاولته كسر الشكل الفني القديم وتناول موضوعاته ضمن سياقية جديدة لا تعترف بالبنائية القصصية القديمة، مجريا الاشكال الجديدة، اهتم ضمن مجموعة شباب القصة في الامارات بالتناقضات والصراعات التي ابرزها النفط وأكد في ثناياها على حتمية وضرورة التغير⁽⁶⁾.

بهكذا المنظور يقف عبدالحميد أحمد كقاص ضمن كتاب القصة القصيرة في الامارات، راصدا، صارخا، محتجا ضمن سياق اجتماعي وفني واحد، امتد عبر

صفحات مجموعتيه اللتين حملتا الروح نفسها، واللغة ذاتها، والنمطية والشخصية عينها، مما يدل على أن تلك القصص قد كتبت في مرحلة زمنية واحدة لم يخرج عبد الحميد احمد عن إطارها إلى الآن، عدا بعض الكتابات المتفرقة التي لم تشكل مفصلا انتقاليا على صعيد المكتوب الذاتي له.

عبد الحميد أحمد يهتم كثيرا بالاسقاط على الواقع عبر النماذج التي يقدمها، واستيعابه للمتغير الاجتماعي يتبدى من خلال منطوق أو خطاب ابطاله، الذين ينتقيهم من الواقع او يصنعهم تخيلياً. ولا غرابة من القول إن عددا لا بأس به من النماذج التي قدمها القاص واقعية وحقيقية، وما زالت تعيش الى الآن حاملة أزماتها المختلفة، مما يعني أن عطاء الواقع له كبير، وأن حاسته الفنية قادرة على الالتقاط والصيغة الجيدة التي قد تشوبها بعض الهنات نتيجة اهتمامه بالمحمول السياسي الذي يصوغ مفردة البطل وموقفه، فالقاص في بعض المواقف يصير على إنطاق النموذج عبارات مباشرة في مدلولها الاجتماعي، كأنها خطاب إدانة.

انه يهتم عبر ابطاله بطرح سليات التغير في الدرجة الاولى دونما تركيز على تمديد الرؤية الى الوجه الآخر، وليس المقصود بهذا الكلام مطالبته بالاغراق في التفاؤل، إذ أنه يهتم بتمرير الحلم أو الإشارة إلى امكانية الرفض في بعض القصص، لكنها لا تخفي التصدع الذاتي لنفسية النموذج الذي التقطه من الواقع او صاغه، ولعل ذلك يكون أحد معايير الصدق في تناوله.

«فالقاص حينما يريد التعبير عن واقع معين أو بيئة معينة أو شخصية تثيرها قوى معينة فإنه يطرح أشكالا فنية تتلائم وهذا الواقع، وتلك البيئة، وهذه الشخصية ونفسه، كذلك عبر سياق قصصي لا يجنح إلى التعقيد والعلو في الشخصية، لأن المضمون الفكري واضح لا يفرض شكلا غريبا مقصودا لذاته» (7).

عبد الحميد أحمد لم يقدم شخصياته في الاطار والكيونة النفسية والثقافية القدرة على الفعل الايجابي، قدر ما اهتم بتقديمها شخصيات تعيش على القهر، وكأنه غذاؤها وماؤها، شخصيات رافضة لكنها أضعف من فعل المواجهة، ولعل الاحتجاج السلبي يمثل أقصى حدودها عبر تقنية الاستدعاء أو التذكير، بمعنى أن

قصته ترغم البطل أن يحكي قصته أو تجعل البطل راويا محتجبا كامناً⁽⁸⁾. من هو هذا البطل؟ ماذا يقول؟ والاجابة على كل تلك التساؤلات توجز في: «ان الفترة التاريخية تصنع قصاصيها الذين يستطيعون تفهم واقعهم واستيعابه... وبما أن القاص ابن شعبه وابن طبقته فهو بهذا مطالب بتفهم طبيعة التناقضات والصراعات في واقعه»⁽⁹⁾. وعبد الحميد أحمد يحاول تحقيق ذلك التفهم عبر التركيز على الشخص أو النموذج أو البطل في قصته، إنه يقيم القصة من أجل النموذج ويجعل النموذج صلب العمل، مبتداه ووسطه ومنتهاه، ادراكا منه بأن الحدث من دون شخصية لا وجود له، لذلك أقامها فنيا لتكون موقفية قد تحمل رأيه في كثير من الاحوال، المتوافق مع وعيه في مرحلة الكتابة، أو تعطي ملاحظها المختلفة هذا الرأي سواء الخارجية أو الداخلية.

ان القصة لدى عبد الحميد تركز على الشخصية اكثر من أي مفصل آخر من مفاصلها، لا يُعنى بالحدث أو بالعقدة قدر عنايته برصد حالة التآزم الشخصي في نهايتها القصوى، انه لا يخضع الشخصية للتطور الكلي منذ بداية القصة حتى نهايتها. اي «لا يرسم لنا شخصية، ولا يعطينا امتداد حياتها، وانما يرسم موقفاً من الحياة أو لحظة من لحظاتها»⁽¹⁰⁾. وهو حين يقدم شخصياته ليس «للتعبير عن افكاره فحسب وانما لكي يثبت صحة هذه الافكار، فكل سمة من سمات الشخصية ذات جوهر واساس انما تحمل معنى من المعاني..... وهي نتاج للوسط الذي تمت فيه»⁽¹¹⁾.

أبطال عبد الحميد أحمد، يعيشون لحظة التبدل التاريخية، بل تحت ضغطها، لذلك يحاولون التكيف فيسقطون رغم ما يحملونه من أحلام وعلاقته بأبطاله واضحة المعالم، انه ككل الكتاب: «البطل هو ممثل حلمه وأن الراوي يمثل نوعيته وما هو، إن التمييز بين هاتين الشخصيتين يعكس داخل العمل الادبي التمييز الذي عاشه الكاتب بين الوجود اليومي كما قاساه والوجود الآخر الذي يعد به نشاطه الخيالي ويسمح بحدوثه وهذا التمييز نفسه هو الذي يريد الكاتب ان يجعل القارئ يتحسسه ويتألم منه»⁽¹²⁾.

إنك اذا حاولت امسك ازمة الشخصية عند القاص ستكتشف انقسامها على نفسها «بين ان تحيا حياتها الخاصة وبين أن تذوب في وسطها الاجتماعي وتؤمن بقيمه ومثله فان انصاعت لمثلها الخاصة عزلت عن المجتمع لأن وعيها

الخاص يتقاطع مع الوعي الاجتماعي العام، وان ... انخرطت في وسطها الاجتماعي وتمثلت قيمه افتقدت فرديتها وتميزها الفكري ولهذا تعيش وضعا مأزوما»⁽¹³⁾. يعبر في الوقت نفسه عن أزمة الواقع فالحدث ليس غير شخصية تعمل، وبدايات وامتدادات ونهايات تلك الشخصية تعبر عن ايقاع الواقع، عن الفترة التي اسهمت في صياغة ذلك الجيل بل عن الجيل نفسه والمجتمع في حركته وتحولاته فالشكل النهائي للشخصية الفردية إنما يتحدد بتفاعله أو صراعه مع العوامل البيئية المحيطة بما في ذلك البيئة الداخلية أي صراع الفرد مع نفسه وذلك يتم في الغالب على مستوى لاشعوري»⁽¹⁴⁾.

والشخصيات البطلة لدى عبد الحميد أحمد هي نماذج إما لحقها وحش التغير او كانت ولادتها وكلها تعيش التحول أو التغير المفاجيء الذي اعاد تشكيل نمط البناء الاجتماعي فبسبب صراعات وأزمات جعلت معظم تلك الشخصيات غير متوافقة أو عاجزة عن مواجهة تحولات البيئة... الاجتماعية «ومن اسباب عدم التوافق الاجتماعي نقص المهارات الاجتماعية والمركز الاجتماعي المنخفض والمطالب الاجتماعية التقليدية وعدم التوافق التعاطفي»⁽¹⁵⁾. لذلك فانها، اي تلك الشخصيات تأثرت انفعاليا وسلوكيا وعاشت صراعا نفسانيا حادا يكشف عدم توافقها او امتلأت بالحنق او عجزت عن التكيف فتمردت أو خضعت او انسحبت الى داخلها، تعاني ازمة الصعيدين الاجتماعي والذاتي، او تبلدت حسيا وهي «حالة نفسية تتميز بعدم القدرة على الاستجابة او الاكتراث وجدانيا فلا يهتم الشخص بما يقع حوله من احداث ولا يستجيب لها على اي نحو»⁽¹⁶⁾. أو اعلنت قلقها كحالة «انفعالية مصحوبة بالخوف أو الفزع وتحدث كرد فعل لتوقع خطر حقيقي خارجي»⁽¹⁷⁾. فتشعر تلك الشخصية بالحصار او تصاب بالهستيريا.

وتلك النماذج المأزومة التي التقطها سواء كانت كبيرة السن أو شابة أو في مرحلة الطفولة، من الغواصين أو الطلاب أو المتعلمين أو العمال الاجانب او الفلاحين كلهم محملون ببصمات الواقع الضاغطمتشكلون أو يتشكلون بضغطة، وشخصياتهم «ميدان لصراع كثير من القوى والدوافع، وهو ميدان يصطرع بدوره مع ميدان البيئة الاجتماعية والثقافية»⁽¹⁸⁾. ضغط الواقع لا تجد الشخصية اية شخصية سوى حيل دفاعية لحل أزمتها حدها علم النفس في العدوان بإيذاء الغير أو الذات والاستسلام بالاذعان والكف عن كل محاولة للتكيف مع الموقف

المثير للاحباط اقرارا بالعجز والجمود بالتشبيث بسلوكية معينة متحجرة، والنكوص عبر التراجع الى اساليب طفلية أو بدائية والتبرير بانتحال اسباب معقولة لما يصدر عن الشخصية من سلوكيات خاطئة والاسقاط باحالة العيوب والنواقص والرغبات الى الواقع أو اشخاص آخرين والسلوك العكسي واحلام اليقظة⁽¹⁹⁾. وأغلبية ردود الفعل تلك هي التي تميز أبطال عبد الحميد أحمد.

ان ابطال قصص مجموعتيه لخير دليل مرشد لرصد ايقاعات التحول ولهذا يكون النموذج هنا جديرا بالرصد والتحليل من القارئ كما هو جدير بالالتقاط من القاص الذي يلتقطه من الواقع، أو يصيغه ويضخمه الى أن يبلغ مستوى الرمز محدداً ملامحه الفردية التي تكشف الخصائص الاجتماعية للمرحلة التاريخية.

ودراسة النموذج في حالاته المختلفة انما تعد هاجسا للكثيرين، والتراث النقدي العالمي مليء بهذه المحاولات التي ترصد وتحلل ايقاعات تكوين البطل وتاريخه وسلوكياته مستخدمة مناهج جديدة، واذا كانت الاجتهادات قد تعددت في نسق دراسة البطل، فانها في خلاصة ترحالها لا يمكن أن تفلت مما تراكم من العلوم والدراسات التطبيقية النفسية والسوسولوجية، ولعل دراسات العالم السويسري «كارل يونج» للنماذج الشخصية كان اكثر تأثيرا في بلورة النماذج الادبية، إذ أنه طرح العديد من التصورات في كتابه عن النماذج النفسية، ملخصا اياها في أربعة أنواع اساسية تتصل بالتفكير والشعور والحدس والحس فعندما يكون احد هذه الاستعدادات هو الغالب الذي يدفع بطابعه خواص الفرد ليصبح بوسعي ان أحدث عن نموذج نفسي⁽²⁰⁾. ويركز يونج وظيفيا تلك النماذج في اثنين : المنطوي والمنبسط، ويحدد مواصفات النموذج المنطوي في غلبة العوامل الذاتية على العوامل الموضوعية في توجيه سلوكه وخضوع ذلك السلوك لمجموعة من المبادئ المطلقة والقوانين الصارمة دون مراعاة لما تقتضيه الظروف من مرونة فضلا عن افتقاد الشخص لقدرة التكيف السريع بما يحقق توافقا بينه وبين البيئة فضلا عن اسراف الفرد في ملاحظة حالته الصحية ومعالجة امراضه او تحقيق توافقه عن طريق النكوص واللجوء الى عالم الوهم والخيال او وقوعه هدفا للأمراض النفسية وابراز الوسواس⁽²¹⁾.

أما الشخصية المنبسطة النقيض فهي الشخصية التي لا يوجد نموذج بشري

يدانيه في واقعيته «فاحساسه بالاشياء متطور الى اقصى درجة ممكنة اذ تتجمع في حياته التجارب الواقعية عن موضوعات محددة وان لم يستخدمها وربما لا تصل معاشته في بعض الاحوال الى المستوى الذي تستحق فيه التجربة الا ان ما يتلقاه عن الخارج من معطيات يفيد به بالدرجة الاولى في تقنين معطيات جديدة وكل ما يدخل في دائرة اهتمامه يمكن اكتسابه عن طريق التلقي الخارجي الذي لا بد وان يفيد في هذا الصدد» (22).

ونماذج ابطال قصص عبد الحميد احمد من النوع الاول النوع المنطوي، بل انه يحاول ان يقدم نموذجاً متطرفاً في موقفه وفق مقتضيات ومساحة القص في نوع القصة القصيرة، ولعل شخصية «آل مغضوب برسم البيع» (23) ترقى الى حالة التطرف لأن البطل يعرض نفسه للبيع فلا يشتريه أحد مقدماً ملمحاً مهماً من ملامح نموذجية الشخصية بهدف كشف تناقضات التحول والواقع ووصولاً بها إلى أبعد مداها «بخلق شخصيات ومواقف ربما كان من المستحيل وجودها بهذا القدر من التكثيف في الحياة اليومية واعطائها الملامح الجوهرية لهذه الحياة نفسها بطريقة تجعلها ممكنة الرؤية وذلك عن طريق الارهاق والتحديد المتطرف لما هو جوهري ليكشف على ضوء الاثر المتبادل الصافي للتناقضات عن كل القوى والاتجاهات الفعالة التي لا تبدو عادة في الحياة اليومية الا بشكل مبهم وممسوخ» (24).

وعند عبد الحميد أحمد يأتي التقاط أو صنع التطرف في الشخصيات «كاعتراض رومانتيكي على الحياة... ويتحول الى غاية في حد ذاته مما يكسبه طابعا غنائيا حزينا لا أكثر» (25) وغرضه من ذلك إدانة الفترة الحرجة التي صنعت أبطال قصصه بابرار الصراع الذي جعل تلك الشخصيات من معالم التحول فهذا الهدف يأتي في الاولوية على هاجس تقديم قص سيكولوجي، يصبح «هدف مؤلفيه التلذذ بتعرية جهاز النفس البشرية للتدليل على مدى معرفتهم بدقائق عمليات التفكير والشعور» (26) بل هو وظيفياً لا يقدم تفسيراً للواقع الذي يصوره، قدر ما يعبر «عن علاقته العاطفية لهذا الواقع ومدى قوة وعمق تصوره له واحساسه الوجداني به» (27).

إن صناعة البطل عند عبد الحميد أحمد تمشي في اطار تقديم وجهة نظر محددة عن الواقع، لذلك فمن الصواب القول إن نماذجه تشكل موقفاً فكرياً

«بجميع مواصفات البطل الثابتة والموضوعية، حالته الاجتماعية، خصوصيته الفردية والاجتماعية، طباعه، ملامحه الروحية، وحتى مظهره الخارجي»⁽²⁸⁾. وعلى أرضية الانكسار يشيد بناء هؤلاء الأبطال النفسي والاجتماعي، انكسار أحلامهم، وانكسار ردود أفعالهم، انكسار نموهم، رغم محاولته تقديم الحلم تبديدا لعظمة الانتكاس في بعض المواقف، لكنها بمجملها تعكس شخصيات مأزومة، ومُترَبِّص بها، أو مهروسة تحت عجلات التحول.

وهذا الانكسار ليس عيبا إذ أنه صفة واضحة تميز الخطاب القصصي والروائي العربي منذ سنوات⁽²⁹⁾ وعلى حد قول أحد كبار النقاد العرب فإن الشخصية الأساسية أو البطل الأساسي في أكثر النتاج الأدبي العربي في السنوات الأخيرة هو الإرهاب والشعور بالمطاردة والقلق والغضب وعدم الأمان وهذا لا ينبغي أن يحجب أمام النقد الصفة الثورية للادب الذي يبرز فيه الشخصيات المهزوزة والمستلبة والقلقة والخائفة والشريرة وهي شخصيات موجودة على نطاق واسع في بلادنا بل إن ملامح هذه الشخصيات قد تشكل أحيانا الوجه الآخر لبعض الأبطال الثوريين أنفسهم والمهم هنا ليس نوعية الشخصيات ولا حتى الموقف الظاهر للأديب نفسه، المهم هو ما يكشفه من حركة الواقع وتعقيداته ومدى صرخة الاحتجاج الفنية الصادرة في هذا الأدب ضد واقع الاضطهاد والاستلاب⁽³⁰⁾ إذ ليس من المعقول على كاتب «الايعيش هذا التمزق بين الحاضر والمستقبل بين الواقع والحلم بين الحلم أو وهمه بين مشروعية الحلم وبين امكانات تحقيقه. بين الحلم وانكساراته»⁽³¹⁾.

إن شخصيات النماذج في قصص عبد الحميد أحمد جاءت مطبوعة بايقاع واقع التحول، ومحملة بأحباطاته وانكساراته وممزقة بين الماضي والمستقبل ككل الأعمال الإبداعية بين الماضي والمستقبل «انكسار أحلامه في التغيير الجذري الذي لم يتحقق» وتكاد تلمح في أبطاله الاحساس والرغبة في التحرك لكن العودة إلى الوراء باتت غير ممكنة والقفز للمستقبل بالسهولة التي كان يبدو عليها الحلم غير متاحة⁽³²⁾ ولعله بذلك يحاول التلويح برغبة التوقف لرصد حجم التحول ونتائجه على نماذج رمزية من الناس صارت أشلاء تقول بصياغتها الفنية عبر أحلامها المتكسرة وسلبيتها، وأمراضها وعجزها وانسحاقها وتفاهة بعض اهتماماتها «انظروا ما أقسى حياتكم هذه، ليس إنسانيا أن تعيشوا هكذا... غيروا

حياتكم نحو الافضل»⁽³³⁾ وتلك وفق مفهوم محمد كامل الخطيب اقصى درجات الایجابیة.

وهكذا فالقاص يضع الانسان في مواجهة المجتمع لكنه يقوده الى مصير حزين رغم عطفه على شخصيته لي طرح الحالة الانسانية المفردة في ضوء ظروف وتاريخ معين، بغرض سوقها لتكون ذات قدرة على التعميم، أي يمكن ان نقرأ من خلال خصوصيتها الايقاع العام فضلا عن قدرتها على احتمال الابعاد والدلالات الرمزية وتفريدها وتميزها عن الشخصية الواقعية لتكون نموذجا يتجاوز حالة العكس الفوتوغرافي للواقع مع انتمائها له لتساعدنا على قراءة وفهم العام من خلال الخاص⁽³⁴⁾.

وفي تصوري ان نماذج ابطال عبد الحميد أحمد بانكساراتهم، وأحلامهم التي تترى مختبئة، أو تأتي على استحياء تعطي القارئ مفاتيح مهمة لفهم الواقع ومعرفته الفنية، فهي شخصيات تعطينا الى حد كبير امكانية الخروج بتصور عام عن الواقع في تلك البقعة وطبيعتها، وذلك الزمان، وتطرح أمامنا بعض المشكلات الجوهرية في المنطقة وطبيعة العلاقات وتركيبها والصراع النفسي الحاد الذي يعتل في العوالم لداخلية للأفراد، وباطنهم الوجداني، الذي وان انتهى بالانتكاس فهو يشير الى ضرورة استشراف المستقبل، لتوفير بديل لقتامة واقع الشخصيات وعدم تكيفها، انه يمرر الاشارات والرموز ويحمل الشخصيات ومنطوقها كثيرا من المواقف التي يريدها، واذا كانت النهايات التي يركز عليها تحمل في ابعادها ملامح الانكسار او المقاومة الواهنة فانه بذلك يلمح الى ضرورة تركيز انتباه القارئ وايقاظ اهتمامه بالشخصيات»⁽³⁵⁾.

وبقدر ما يعطينا احيانا صفات البطل المباشرة عبر منطوق الراوي فإنه يلحن القارئ المعلومات الضرورية عن مزاج البطل، وسلوكه ومقومات انكساره او مظاهر حلمه، وعوامل احباطاته عبر لغة تتكئ الى الشعر في بعض الاحيان، وتهتم برسم صور فنية والمقابلة بين الرموز والدلالات البيئية ذات الخصوصية المكانية مثل النخيل / البحر / الغوص / النوارس / .. الخ .. انه تحديدا يقدم قصة الانسان الذي عزله مجتمعه وتركه على الهامش وخلعه من ماضيه او حاضره وحرمه من امكانية التطور المستقبلي لذلك جاءت الشخصيات حاملة داخلها انكسارها النفسي.

وقراءة مجموعتي «السباحة في عيني خليج يتوحش» و «البيدار» توضح ابطال عبد الحميد أحمد الذين انتقاهم وجعلهم موضوعاته الفنية، وفي 22 شخصية لا تكتشف اختلافات موضوعية كبيرة في الانماط بل تشعر كأنها نسيج واحد لبطل واحد، يشغله ويعنى بأمره وحاضره ومستقبله ذلك الشخص الذي اجتاحه التغيير او يتشبث بالوجود في عاصفة لا تتوقف. البطل نموذج واحد، سواء في صورته كمواطن، أو عربي مقيم، أو آسيوي يعمل في المنطقة ولا شك انه يحاول بالتنوع ان يقيم بناء لنموذج انساني واحد، تطحنه ازمة محددة تلاحقه من ماضيه الى حاضره وتترصده في مستقبله.

فالأسيويون المهاجرون لا يقدم نماذجهم وفق ما هو سائد من خطاب اجتماعي بل يسوق منهم نماذج تكشف عن أزمته الذاتية الطاحنة تحت عجالات الفقر رغم هجرتها الى بلاد النفط ومنها ...

1 - رجل من بنغش : المهاجر الآسيوي الذي يعاني الاغتراب ومكابدة الوازع الديني والقيم الضاغطة عليه في بلاد الغربية ويعيش صراع الالتزام بين قناعاته وتحولات الزمان النفسي والاجتماعي والبيولوجي فهذا الرجل يشعر بالحرمان من الالهل والجنس، والغربة لم تحقق له الاشباع رغم تشابه البيئة الشرقية التي جاء اليها مع بيئته التي انتقل منها أو طرده، وفي هذا الشخص يقدم النموذج المنكسر ذاتيا «مجموعة السباحة في عيني خليج يتوحش».

2 - أشياء كويا الصغيرة : هو نموذج الهندي الفقير الذي يعاني انكسار الحاجة نتيجة فقره في الهند بأربع بنات وولد جديد جاءه بعد ان مات اخوه الكبير في حادث عمل، هذا الهندي يقترض مائة درهم لبيعت بملابس للطفل، لكنه يعجز عن شراء قطعة قماش لزوجته فيعرض أشياء الطفل للبيع ويضيع في زحمة الاسواق، لأن احدا لم يشتري مامعه حاملا ايضا انكساره «مجموعة البیدار».

3 - الارصفة العربية : نموذج الفلسطيني الذي تتبادل الموانئ والمدن العربية، طريدا محاصرا يعاني الحاجة والاستلاب والخضوع لشروط اجتماعية وسياسية قاسية، فيبقى محملا بالقهر والخوف رغم ما يبدو داخله من اشارات الرفض لكن قدراته الفردية تنكسر امام الواقع وهو يعلن حلمه (مجموعة البیدار).

4 - البیدار : ذلك النموذج القلق والمهمل، والرمز لكثيرين عاشوا في المنطقة ولم يحصلوا على الجنسية فيظل ذلك الواقع يطاردهم وتلفظهم الحدود، فيموت منتحرا ويتحول الى رائحة بل وينقلب الى اسطورة لانه لم يمت. فقد شاهده. انه النموذج الخاص المنكسر الذي تلتهمه مرحلة تحول اجتماعي (مجموعة البیدار).

5 - السمكة : ذلك المواطن الذي دحره زمن النفط والثراء فباع ارضه ومنزله وتحول الى بائع سمك في السوق. فسد اولاده في المدارس، وماتت زوجته فتزوج هندية انجبت له طفلا / أي المستقبل / مشوها / يكمل فساد الحاضر / أي اولاده من المرأة الاولى / وهذا النموذج لا يعرف كيف تضخم الكثيرون وصاروا اثرياء لذلك تمسك بالماضي مقدماً شخصية منكسرة ذاتيا قبل انكسارها بفعل الواقع الخارجي (مجموعة السباحة ...).

6 - حالة غروب : قصة ذلك المواطن الذي يشعر بالوحدة والاغتراب والالتصاق بالماضي عبر رموزه التي اجتاحتها التغير، فالشاطيء خال من الخيام بينما يمتلئ بالاجساد الحمراء، والبحر الذي احتضن جسد والده مسمم بالتلوث فيموت على الشاطئ ويكتشف موته هندي بعد ان التهمه الرمل ولم تبق سوى يده التي امتدت الى اعلى لتبحث عن عفراء / الوطن / ... وهذا النموذج المنكسر يدين الواقع ويشكل صرخة احتجاج وتحذير (مجموعة البیدار).

7 - خلاله : النموذج المواطن المنكسر لعدم القابلية للتكيف وهو نموذج رمزي عميق لذلك الفقير الذي هبطت عليه الملايين فترك حماره وركب المرسيدس لكنه لم يتغير ولم يمسه التغير الا بالقشور فاصيب بحالة بلادة وصار مجالا للتندر لأنه اثرى في زمن ليس زمنه ولم يكن مهياً لاستيعاب هذه الثروة، فقد توازنه التاريخي وارتد الى نفسه يعيش ايقاع الموت بين عصرين (مجموعة البیدار)

8 - الفأس : النموذج المواطن الريفي والقروي الذي يعمل ويوجه طاقته حتى الشيخوخة للارض لكن المدينة / التحديث / تخترق حياته وتسلبه شرفه بخيانة زوجته له مع رجل نظيف ومعطر فيأكل خيرات بيته من الدجاج، ورغم تهشمه الداخلي بفعل السن لكنه يقبض الفأس ويمضي ليفلح الارض / الزوجة /

في قصة تضم نهاية مفتوحة بقدر ما تمنح امكانات الانتقام تقدم إمكانية التراجع دليل الانكسار (مجموعة البیدار).

9 - آل مغضوب برسم البيع : ذلك النموذج المواطن الشاب المتعلم والتقني الذي يعبر عن قمة انكسار الجيل واحساسه بالضياع وافتقاد الارض التي يقف عليها والحنان الاجتماعي الذي يتعده، لذلك يبحث عن يشتره ليمنحه الامان. فقد رفضه المجتمع مهندسا للبتروول ورفضه والد حبيبته كزوج لانه لا يعمل في مجال البتروول ليثرى ورفضته حبيبته وقبلت الزواج من شاب غني. إنه نموذج للضائع والباحث عن الانتماء ولكنه لا يفكر الا بفردية لذلك يصاب بالغثيان فلا أحد يشتره حتى صار أضحوكة «مجموعة السباحة».

10 - الجدار : نموذج الشاب المواطن المهشم داخليا يكشف ان حبيبته من دون جنسية وتعاني مشكلات اجتماعية مثل القروض والفقر ويدخل معها في علاقة حب ويعتبرها الارض التي تشده لكنه يظل معلقا بين السماء والارض يعاني عذابا اسطوريا لكن حبيبته ترفض التواصل معه خشية من المجتمع (مجموعة البیدار).

11 - رائحة العطش : ذلك النموذج المصاب بالملل والمتمرد على الواقع ولكنه عاجز عن تغيير ما هو محيط به فهو مثقف يقرأ الكثير وافكاره تتغير لكنه رغم تمرده وحنقه الاجتماعي يستسلم للموت ويتزوج ما فرضته عليه أمه حين هرب الى الجنس ولم يجد فيه علاجا فعاد مكسورا نفسانيا «مجموعة السباحة».

12 - تلك الامور الاخرى : نموذج الشاب المواطن المصاب بالملل والفراغ والقلق والرفض يصادف فتاة في أحد الاعراس فتمنحه ولاعة سجاثر فارغة من الغاز ويظل يقدح.. ويقدح ولكن لا فائدة رغم تطلعه الى الوردة التي زرعها. «مجموعة السباحة».

13 - عطش النخيل : نموذج الشاب المواطن الكادح الذي يعاني الضائقة المالية والعذاب في وطن يستفيد الاجانب بخيراته ويركبون أحدث السيارات بينما هو معذب بسيارته القديمة بل وكما يقوم الاجانب بحرامانه من الثروة يقتلون مستقبل وطنه حين يدهسون طفله ويوجه حنقه الى ذلك الاجنبي بتحريض من الاهالي وفي قسم الشرطة يواجه بأنه اخطأ لان هناك قوانين

تعاقب المخطئين لكنها لا تلبي ما يدور داخله وما يعوضه عن احساسه بالحرمان والاحباط وهذا النموذج حين دخل غرفة التوقيف اعلن التحدي ولعلها من النماذج القليلة الايجابية النهائية. «مجموعة السباحة».

14 - اغنية بيضاء في ليل دامس : نموذج الشاب المواطن الذي يواجه ضغط الواقع والوصاية المتعددة بالرفض وحين يتحدى يطارد ويمارس عليه القهر المختلف حتى يصل الى محاولة القتل. والنموذج ذو دلالة اسقاطية وتسوقه الاحداث الى دخول السجن وهناك بعد التعذيب والركل يضع اذنه على الارض فيحلم ويسمع اغنية بيضاء من بعيد «مجموعة البيدار».

15 - جيني : قصة النموذج المواطن المغترب في بريطانيا من أجل تحصيل العلم والذي يعلن عجزه هناك عن التكيف اذ تظل ذكرى الوطن تطارده ويدخل في علاقة عاطفية مع طالبة أسيوية اخرى تكتشف مدى ضعفه حين يبكي بسبب عدم التكيف في الغربة واحساسه بالوحدة (مجموعة السباحة).

16 - صفعتان : قصة لنموذج المواطن الشاب الجامعي الذي فشل في اختيار المدينة، جاءها مبهورا بديكورها وحيويتها لكنه عاد إلى القرية بعد ان نال صفعتين واكتشف ان المدينة جميلة جدا لكنها غبية جدا وعاد حاملا انكساره لعدم التكيف. «مجموعة البيدار».

17 - المرأة الاخرى : قصة نموذج الفتاة المواطنة المتعلمة التي تواجه القمع التاريخي بزواجها رغم انفها من شخص غير مناسب فنالت منه وانتقمت من مجتمع الذكور حين تلبستها حالة وصفت بأنها جنونية وقد قصد الكاتب ان يجعلها نموذج رفض مضاد بحرمان المجتمع الذكوري من قدرته لكنها تبقى سجينه المجتمع رغم تفاؤلها. «مجموعة البيدار».

18 - منشور ضوئي : قصة اطفال فقراء يكشفون بالضغط الواقع عليهم نتيجة الفقر والحرمان طبيعة التقسيم الاجتماعي، حيث يسلبهم طفل بدين الالعب التي عثروا عليها في صندوق القمامة وتختتم القصة بسؤال احدهما للآخر عن معنى القهر الذي يردده والده، والنموذج يكشف الانكسار الذي يهدد المستقبل عبر اطفاله. «مجموعة السباحة».

19 - هدهدة : قصة نموذج طفل مواطن صغير يحب البحر ويسأل الاشياء في حوارها معها لكن القهر الاجتماعي يصل اليه عبر والده الذي يضره حين ذهب للبحر فنام وعلى خديه جفت الدموع، مشيراً الى ان الانكسار بالقهر يمارس حتى على صعيد المؤسسة العائلية. «مجموعة البیدار».

20 - المزيلة : عمل يقدم تداعيات نموذج شاب مواطن مثقف يشعر بقمع الواقع العام محلياً وعربياً ودولياً عليه فيعيش أزمة اجتماعية ونفسية لكنه يلتمس الحلم بفردية الطموح. «مجموعة البیدار».

21 - السباحة في عيني خليج يتوحش : قصة النموذج المواطن الذي يعاني الخطر والرعب من افتقاد الامان، حيث الواقع يكسر كل شيء في المرحلة، لان البحر الذي كان يبتلع الرجال في الماضي يأتي أيضاً بالخطر والأساطيل والموت المتربص ويهدد الوجود الكامل. «مجموعة السباحة».

22 - قالت النخلة للبحر : نموذج البطل الذي اكتشف الفجیعة في ليلة لا قمر فيها ولا نجوم، حيث كل الأشياء الآن تقود للعقم، والأصيل يموت في زمن التحول. وتضيع هويته وينقرض، ليكشف النموذج عن عذابه وحيرته وخوفه من ملاحقة الموت له ولكل الرموز الأصلية. هذا النموذج اكتشف أنه ابن الماضي وليس ابن الحاضر. لأن الحاضر يبتلع الأشياء. «مجموعة السباحة».

وهكذا يكتشف القارئ عبر التحليل الدقيق الذي سنقدم نماذج منه لاحقاً أن حالات الانكسار عند البطل لدى عبد الحمید أحمد. إما تكون بسبب الاغتراب أو الظلم أو القهر الاجتماعي، أو الضجر والتبرم والملل أو التمزق إزاء مواجهة الواقع. وهذه الشخصيات حين قدمها كان يركز في البناء عليها تحديداً ويهتم بتفاصيلها مع عدم الالتفات إلى الشخصيات الأخرى إلا فيما ندر أو اقتضته الضرورة، ليكشف أبعاد حزن تلك النماذج، وأمام الضغط لا تجد سوى الهروب أو الملل مع لحظات من الحلم البعيد لعلها تتيح بصيصاً من الأمل إزاء أزمتها الشخصية الذاتية في أحيان كثيرة نتيجة عدم التكيف مع البيئة.

لكن الظاهرة الجديرة بالالتفات ان القاص كان يقدم نماذجه في احيان كثيرة عبر ازمتها، الفردية، ولا تشي تلك النماذج بالامتداد الافقي عبر التشابه في محيطها الاجتماعي الا قليلا وايضا يكون بحثها عن الخلاص فرديا، معزولا

عن السياق الجمعي، لتأتي الصورة محملة بالفجيرة ازاء حجم الضغط الاجتماعي على النمط وافنقاده في كثير من الحالات لأسلحة المواجهة لذلك تبدو نماذج ابطالة رمزا للعجز الفردي في الواقع بقلقها النفسي / المزيلة / وقلقها المادي / السمكة / وقلقها الاجتماعي / آل مغضوب / وقلقها الفكري / صفعتان / على سبيل المثال.

انها ايضا شخصيات بقدر ما تكسرهما القوى الخارجية تجد استعداداً ذاتيا للانكسار، والموقفية الاجتماعية بشكل عام، هي التي تكشف ابعاد الشخصيات بمعنى ان القاص يقدم نماذجه في حالاتها النهائية لتكون نتيجة واضحة للفعل الاجتماعي وايقاع التغير وصراعاته. بل ان كثيرا منها يوحى بأنها تستشق اليأس من محيطها الاجتماعي ولا تملك القدرة على الخروج من أزمتها بقوة وينبذ ذلك من مستويات النص الفنية وتقنياته عبر السرد والتداعي والتشوف وتداخل الأزمنة وتقاطعات الحركة السردية مع التذكر وتدخل الراوي.

انه ايضا قاص متعاطف مع نماذجه لأنه يقدمها في اضعف مواقعها. في فجيعتها الاجتماعية لكي تقول محسوسا سياسيا حاضرا في خطاب النماذج وكلماتهم ولحظات النهاية وكأنه بذلك الفعل يقول للقارئ إنه اغرق شخصياته في عمق الازمة الاجتماعية وها هو يقدمها بعد أن وصلت الى نهاياتها ليحاكم خلل التغير والتناقض الحادث وبتعمده وضعها في موقف الجبر يكشف حجم الضغط الاجتماعي عليها الذي لم يجعل لها ثغرة للتنفس فرضخت أو صمتت أو انتحرت أو خافت أو تحولت الى حالة الجنون أو اصيبت بالملل والغثيان انها في النهاية — وفي معظمها — لا تملك الخروج من أزمتها بارادتها وانما تنتظر ما يأتي به المستقبل لجنسها وطبقتها وأطفالها.

قد يرفض البعض هذه النمطية في رسم الشخصية ويطالب بضرورة ادراك قدرات الايجاب فيها لكن الأهم هو ضرورة ان يكون القاص مقنعا بما وصل اليه أبطاله لكي يتعاطف معها القارئ ولا يفسر انكسارها ونهاياتها بغير المقصود وبشتت الهدف من تقديمها إذا صبت حركة الاحداث في مجرى مختلف عن حقيقة الواقع وقانونه.

الشخصيات محملة بالرموز وتنتهي نهايات — في كثير من الاحيان — لا

تتجاوز حاضرها في صراعها لتكون وثيقة أخرى للمرحلة أفضل بلغة فنية، وحبذا لو كان العمل الفني يقدم رد الفعل الانساني مختلفا ومتنوعا ازاء الفعل الواحد، وهذا يتوقف على قابلية الكاتب للمزاوجة بين قناعاته السياسية وقدراته الفنية وطاقته في صهرها ليكون نسيجا واحداً.

ولعل النماذج التطبيقية على بعض اعمال عبد الحميد احمد التي تم اختيارها من مجموعتيه تكشف رؤية للبطل وترصد ملامح هذا البطل.

(رجل من بنغش) (*)

ان « تازة كلّ » بطل قصة (رجل من بنغش) نموذج لقطاع عريض من العمالة الاجنبية التي وصلت الى الامارات يبلغ من العمر ثلاثين عاما أمضى عقدا منها في الامارات بين غبار الصحراء ونقع الاسمنت وصوت الحجارة ورائحة الطابوق. وهذه الشخصية تمثل عالما مغلقا بالنسبة للمجتمع بل بالنسبة لقطاعها نفسه : (أعوام قطعتها وحيدا رغم اصدقائي التسعة الذين اتقاسم معهم حجرة في ذلك البناء القديم في الشندغة) لكن القاص التقطه بذكاء فني ليضع منه نموذجا ويضعه في اطار مميز يجعلنا نقترّب من اجوائه وعالمه، التقطه ليتجول في اعماقه كما يهدف الاسقاط على الواقع حسب ظن البعض فأیضا يهدف التوغل في شخصية النموذج اذ المعروف ان العمالة الاجنبية في منطقة الخليج تظل محصورة في اطار نظرة مضادة من مجموع المقيمين فهي التي تلصق بها الجريمة والافساد والانحراف وبالتالي خلقت نظرة عداوية ضد هذه العمالة غيّبت حقيقتها الانسانية.

القاص التقط (تازة كلّ) واقترب منه كاشفا عن باطنيته وحقيقته المختبئة ومدى المعاناة التي يكابدها وتأثيرات الواقع والموروث عليه (تازة كلّ) يكابد كل انواع الحرمان والقهر والكبت وهو كشخصية تمثل جيلها ليست صلبة وانما قابلة للانكسار وتحمل داخلها الهشاشة لانها محكومة بقدرها الاجتماعي : الاستسلام

* مجموعة (السباحة في عيني خليج يتوحش ص 99).

سواء في مسقط رأسها الاصلي او في بلاد الغربة حيث تعاني من الاغتراب الكامل اي انها تمشي حاملة داخلها اغترابها وبالتالي فهي مرشحة لعدم النماء والوصول الى نهاية محددة ومعروفة سلفا وقابلة للسقوط رغم التحصينات التي تحملها من قيم وضوابط وموانع.

(تازه گل) «البتاني» الشاب، مغترب، مهاجر، يحمل منظومة من القيم والذكريات المقيمة التي تضغط عليه، تؤرقه، تبدد طاقته وتجهزه للاستسلام والسقوط، احد مظاهر الاستسلام ذلك الشاب ينتقل الى واقع آخر اكثر ضراوة بالحرمان رغم انه يمدد بالسعادة المادية لكن كيف يحلق والانكسار داخله. في بلاد الغربة ما زال يكابد الحرمان، والاهمال والوحدة واللاجدوى والهروبية.

ويتفاعل الموروث المحمول داخله مع الحرمان المتعدد المستويات الذي يعانيه في بلاد الغربة.. (الوحدة - المنع الجنسي - الحرمان من الوطن) «يتقدم تازه كل» نموذجا للتعبير عن الصراع الذي يعيشه الكثيرون من أبناء العالم الشرقي ولا يستطيعون منه فكاً وفي الأغلب تكون النهاية هزيمة الارادة وبالتالي الحكم على الشخصية بالاغتراب.

«تازه گل» كنموذج للشباب المهاجر موضوع في مقابلة بين نوعين من الحرمان ان يمارس حقه البيولوجي الطبيعي وان يعلن ارادته. يقوده الكاتب الى الشاطئ ليتفجر المكبوت داخله وهو يشاهد فتاتين اوروبيتين ممدتين على الرمل كل منهما تستمتع بالشمس وتحرق اعصاب (تازه كل) بعريها.

وعبر المثريات الجنسية والتهيؤات يطارده الموروث الديني والقيمي - «تازه كل» - فيتذكر كيف أن قريته تعتبر الحب (اساءة بالغة) عقوبتها القتل للحبيبين (حافظ وفتاته) والقتل يكون بدليل الشك هذا الموروث ايضا يطارده بصورة والده ووالدته وتربيته على القيم الدينية التي تظل كامنة في أعماقه وتضغط على ارادته.

لكن طاقات «تازه كل» الحيوية اكبر من الكامن داخل النفس فلا بد ان يسقط (الطواير يحتشد فيها غيري كثيرون، ويوما دفعت مبلغا من المال نظير الحصول على لحظات محرمة.. رأيت لأول مرة في حياتي جسد امرأة.. رأيت كل شيء باستثناء وجهها... هل كنت اعمى ام كنت أرى بعيون اخرى؟) / السباحة

في عيني خليج يتوحش ص 105 / وعبر سقوطه يتألم ويكابح من فعل النحر النفسي الذي تمارسه فيه امواج الموروث فيقرر العودة الى قريته الاولى (بنغش) بعد اغتراب عشر سنوات غير ان ارادته تخونه في ليلة السفر فيحتلم ويفرغ طاقته الجنسية طبيعيا او يمارس العادة السرية ليفرج كربة الجسد اللاهث وراء ندائه الطبيعي.

وهذا التصرف يعني ان البطل استمرأ البقاء واستعذب الاغتراب النفسي والجسدي والهروبية من مواجهة مشكلاته المختلفة وبالتالي فهو يبقى اسيراً لحالته ولا ينبئ بحالة متطورة اذ أن وضعيته قد طال الى عشر سنوات كان يمكن له ان يتزوج بما راكمه من أموال خلال سنوات العمل في دولة نفطية.

لقد وضع الكاتب بطله في اطار ثنائيات او في حالة حيرة ازاء القضاء ليبرز أزمته المتعددة الاوجه وعلى سبيل المثال :

- | | | |
|---|-------|--|
| 1 - الرؤية الحسية لجسد الفتاتين الاوروبيتين كمثيرات | مقابل | تداعي الذكريات بمقتل حافظ في قرية بنغش لما شاع عنه من لقاء مع حبيبته في القرية كمثّل كابح للانجراف |
| 2 - الطائر المحلق والامواج المتدافعة كمثير لهاجس الحرية والهروب من القمع | مقابل | الوقوف على الارض وشعوره بالغربة والحرمان والخوف من واقعه الذي يجعله اسيرا |
| 3 - الشمس الخليجية تحقق له كمثير لارتواء الجنس وتحرك داخله العواصف الممنوعة. | مقابل | الشمس الشرقية التي تكبح رغباته فيتوهم أنها الحصن الذي يحميه |
| 4 - حين وقف في طابور شراء المتعة اكتشف مغاليق الجسد الانثوي وهذا الجسد الحاضر يعد مصدر الاثم والتلوث. | مقابل | استحضار وجه وكف أمه ووجه ابنة عمه دلالة النقاء والعفاف وهذا الجسد الغائب يمثل مصدر البراءة. |

5 - كتاب امه ونصيحة أبيه كانا حصنه الدائم لمدة خمس سنوات وما زالا طالما هما معه.	مقابل	غياب كتاب الام ونسيانه قاده للرذيلة والسقوط في مستنقع الجنس الرخيص وحين وجده قرر العودة للقرية.
6 - الاحتقان الجنسي وخوف الاستمرار في الرذيلة كانا يشكلان دافع العودة للقرية	مقابل	الاحتلام أو ممارسة العادة السرية جعلاه يتوقف عن السفر

* ماذا يريد عبر هذا النموذج ؟

- 1 - ان العمالة الاجنبية الشرقية تعاني حرمانا متعدد الواجهه بينما هناك شريحة من الاوروبيين تتمتع بكل شيء.
- 2 - ان تلك العمالة الشرقية لها عالمها واحباطاتها وأزمته الذاتية التي تكمل الحصار مع الازمة الاجتماعية حول عنق أفرادها.
- 3 - ان أية منظومة قيمية لا تملك البقاء إلا إذا توافرت لها ظروف مناسبة.
- 4 - ان الخليج لا يمكن ان يكون بديلا عن الوطن لهذه الشرائح.
- 5 - ان النموذج يمكن ان يكون رمزا لشرائح من ابناء الشرق الآخرين.

بطاقة نموذج

الاسم : تازة كل .

الصفات الخارجية : العمر : ثلاثون سنة .

الجنسية : باتاني من قرية بنغش .

الملاصق : غير محددة خارجيا .

المهنة : عامل بناء .

الصفات الداخلية : يعاني من ضعف التمسك بمنظومة من القيم الوازنة التي تمنعه من الاستجابة لحاجاته البيولوجية / الحيوية، ويكابد مشاق مغريات الجنس، فضلا عن حرمانه من ممارسة الحب بشكل طبيعي في غياب ابنة عمه لكنه في النهاية يعجز عن التمسك بمنظومته القيمية فيقع . انه نموذج مكبوت،

مأزوم بسبب سقوطه الجنسي – متردد مغترب.

اسباب الانكسار : التعرض لمثيرات جنسية حركت فيه ازمته

النهاية : قرار العودة الى قريته يفسد باحتلامه / أو ممارسة العادة السرية وتفرغ الطاقة الجنسية التي عرضته للعودة حتى لا يزداد تلوثه.

– هروب من الضاغظ القيمي لكنه لا يحل مشكلته : «نجوت من ان يكون مصيري كمصير حافظ الذي اشيع عنه انه على علاقة محرمة مع احدى النساء فكانت نهايتهما الموت معا» ص 106.

من الذي يعلن نهايته : هو : يعترف :

واستلقت على فراشي، طلبا للنوم، لكن النوم هرب من عيوني، فرحت ارقب طلوع الفجر بينما يدي تلامس بقعة خشنة في «شروالي» اثر لزوجة كانت قد جفت.

مدى الوعي الذاتي : يعي مشكلته لكنه عاجز عن حلها.

(آل مغضوب برسم البيع)

عبدالله مغضوب نموذج آخر يلتقطه القاص ليحمله الكثير من الدلالات للخطاب الاجتماعي. تركيبة تمثل جيلا نشأ في حضن التغيير أو بمعنى أدق من ثمار التحول الاجتماعي. عبدالله مغضوب شاب مواطن سافر الى أوروبا لكي يتقن تقنية هندسة البترول لتكون سلاحه وهو يعمل في مجال الثروة الوطنية. عبدالله مغضوب يحمل طموح وحلم ورغبة كل شباب الوطن في العثور على الموقع المناسب والمشروع في مجال انماء الوطن، لكي يحقق ذاته ويخدم وطنه ويمارس حقه الطبيعي في الحياة : المهنة والزوجة والبيت.

لكن الواقع وايقاع التغيير جاء بما لم يكن في حسبان، اكبر من كل طموحاته وتطلعاته. لقد اكتشف هذا الشاب بعد عودته انه لا يساوي شيئا، صفرا، وانه لن يحصل على فرصته الحقيقية في وطنه بل ان كل شيء في هذا الوطن يعتبر خصما مضادا لوجوده وطموحه في الثروة الوظيفية والزوجة والبيت وايضا في الهوية التي تذوب وسط جيوش العمالة المهاجرة التي تتحدث بكل اللغات الا

اللغة التي يعرفها.

هذا الواقع الضاغطي حول عبدالله المغضوب الى بطل مأزوم فالواقع يحجمه ويحبطه ويسلبه مشروعية تحقيق الحلم، بل يقتل محاولته للحلم، ويحوّله الى شيء تافه. وكموقف احتجاجي يفكر عبدالله مغضوب في بيع نفسه وعبر هذه اللامعقولية والعبثية يحاول النموذج ان يدين كل شيء في الواقع الذي يعيشه ويتلاشى كأنه صرخة احتجاج رومانسية.

لقد اكتض عبد الله آل مغضوب بهذه الاحتجاجية معلنا انكساره وعجزه ولم يستطع أن يكون اداة ايجابية تفعل فعلها الارادي لتغيير واقعة وكأنه بهذا الموقف يعتبر الواقع وحشا يصعب منازلته وبفرديته الخالصة التي تحاول أن تقدم موقفا فلسفيا ينتهي، لا يحاول مجرد المحاولة، تحويل الشروط الاجتماعية لصالحه ومع فقدان الفعل يبدو كأنه اشبه بالطفل الذي ينتظر من يأخذ بيده «بينما هو في يديه سلاح الوعي والتعليم والثقافة والطموح المشروع»(*).

وعبر هذا البطل يحاول القاص أن يكشف ضغط الواقع على تلك الشريحة، ويرصد قسوة الايقاع الاجتماعي على نماذجها ومدى احباطاتها المتتالية في العمل والزواج وكافة مناسط حياتها الاخرى ان تعطيله عن العمل قاده الى ان يكون مضمحلا ووقحا وسكيرا وعرييدا يمضي يومه «في شبه غيبوبة على ناصية مقهى اكتظ بالهنود» ص 45.

وهذه النهاية ضيعت منه اسمه وعنوانه أي افقدته هويته لان قبيلته «شدت رحالها وركبت طائرة بوينغ 747 ورحلت تحت جناح الليل قبل ان يسفر النهار عن ضوئه الى جهة غير معلومة» (ص 45 ، 46)، وكما افتقد قبيلته التي اغتربت وتركت الوطن للعمالة الاجنبية تلهو وتمرح وتستمتع وتجمع الثروة. افتقد ايضا حبيبته لان : «الصحراء البريئة الهادئة تفترس ابناءها والذباب، يقصد المهاجرين انقضوا على العسل – يقصد البترول – يلتهمون» بل ان هذا التحول من الممكن ان يحول حبيبته «باميل» الى وحش آخر اذا جاءت الى هنا، لأن باميل ككل اجنبي ستتحول الى امرأة تبيع جسدها لتنهش جزءا من الثروة مثل مارغريت التي طلبت لقاء المتعة ألف درهم منه.

* السباحة في عيني خليج يتوحش – ص 43.

عبد الله آل مغضوب ليس في أزمته مفرداً انها ازمة جيل يهرب مثله الى شاطئ الغياب ومعه يسكرون ويضحكون ضحك القهر والعذاب وهم واعون بأزمته. سكير وعرييد وعاق وغدا سيقولون عنك كلاماً أقنع.. أنت فقط من تملك القرار «ص 49» وفي مواجهة هذا الاحباط المتعدد لا يتورع عبد الله عن القول «تغادر القدرة على الحلم فتغادر المكان الى مكان آخر في داخلك وهذا الهروب الى الداخل يعكس حجم أزمته التي شكلتها البطالة وحرمانه من الاقتران بعائشة لأن أباه الغني لا يقبل بغير الغني.

وعبر العرض العبي يبيع نفسه في مزاد علني وسط الاجانب يحاول عبد الله آل مغضوب أن يجد ارضاً، وطناً، يشعر في حضنه وكنفه بالانتماء والامان. لكن العبثية هنا تدل على وعي النموذج بحجم أزمته، وهو يعرف ان أحداً لن يشتره، فيسير لأول مرة في اتجاه معاكس للبيت ويمضي حاملاً أضغاث أحلام وهزيمة وأمالاً خائبة. «ص 54».

وكالعادة يحاول القاص عبر الثنائيات المتناقضة كشف أزمة النموذج لديه،

وتبيان خطوط انكساره واغترابه :

مقابل	انك افضل منهم حيث تعلن ما تفعله .	– « ان الجميع يشربون هنا سرا، يزنون، يسرقون... يحتالون.
مقابل	مارجريت تمتلك فيلا جميلة على شاطئ الخليج.	– أمك سمت الصندوق الشعبي بيتا
مقابل	الصحراء قاسية يا حبيبي، بفضلها بعد ان شبعنا من أكل اللحوم اخذت تفترس العمر وتغتال البراءة	– في بريطانيا «كنت تحلم بوطن معبود وبامرأة معبودة في هذا الوطن
مقابل	قالت له : انتهى الامر، فقد تزوجت من شاب لائق ينتمي الى عائلة معروفة وحين ودعته كان في عينيه جمود وانكسار.	– قرأ رسالة عائشة الاخيرة قالت منها لا تتصور ان تعيش مع غيرك.
مقابل	ألم تنغلق كل الابواب في وجهك ألم تطرد من الارض وعائشة والقبيلة ؟.	– تصور لو اشتريت امرأة تأخذك إلى بيتها تطعمك تسقيك تحقق حلمها في رجل متوثب .

* ماذا يريد القاص ان يقول ؟

– ان التحول الاقتصادي والاجتماعي يتم بمعزل عن ابناء الوطن بل يغلق كل الابواب امامهم.

– ان كل الطرق الموصدة تعكس عدم الثقة في أبناء ذلك الجيل.

– ان الجيل المتعلم الذي يشعر بالاحباط من الواقع والاغتراب داخله لا يجد امامه سوى الضياع بالسكر والعربة وتدمير نفسه.

– ان الاجانب يفوزون بثروات البلاد ويتكالبون عليها تكالب الذباب على العسل الاسود.

– ان المجتمع كله يعيش حالة اغتراب والسياس الاجتماعي الذي يحمي الانسان غادر المكان راكباً طائرة.

– فقدان الشباب لحق الزواج ممن يحبون يعني فقدانهم للارض التي يقفون فوقها.

– ان الجيل الذي يستحق ممارسة الدور في تنمية بلاده مهمش ومحكوم عليه بالاغتراب والضياع والغياب عبر المسكرات رغم ان هذا الجيل متعلم وواع بحقيقة ازمته.

(بطاقة نموذج)

الاسم : عبدالله مغضوب

الصفات الخارجية : غير محدد الدقة ما بين 30 – 34 (ولد في سنة الوهيلة – اسم موقعة محلية قديمة في دبي عام 1938 بالقرب من طوي ميثا. «بئرماء» في اطراف دبي.

الجنسية : مواطن له امتداده التاريخي في عمق الارض بانتسابه الى قبيلة ركبت الطائرة البوينغ 747 ورحلت تحت جنح الليل.

المهنة : مهندس بترول عاطل عن العمل – درس تقنية هذه المهنة في بريطانيا لمدة ٧ سنوات.

الملاحم : شاحب من مميزاته الحالية «هالتان سوداوان حول العينين الغائمتين في سحابة محترقة، ووجنتان عظيمتان فوقهما شعيرات كالأشواك ووجه يغيب خلف غلالة من السواد والعذاب والحزن البارد ص «45» مضمحل باستثناء أنف امتد الى الامام في تحد ووقاحة، يحملق الى الشارع بعينين مطفأتين» «ص 45».

الصفات الداخلية : يعيش حالة غيبوبة بفعل السكر والتعطل عن العمل ولا يقيم لأية معايير اهمية يشعر بعدم الانتماء «قبيلتك ذلك امر بات مشكوكا فيه - «ص 45» يشعر بأنه كيان ذائب وهش ص «46» «خائف متى تغرب هذه الشمس يا عبدالله لتنسحب الى مساحات اكبر من الظل والظلام - «ص 46» راحل دوما الى الداخل، ويستدعي الذكريات، مصاب بالغثيان «بمغادرة الفراش الوثير سعلت كثيرا وحين قالت لك ادفع الف درهم تقيأت على العتبة» ص 47، انت نصف مجنون - ص 48. يتوق الى الانعتاق من الواقع غدا يكتمل النصف الثاني فتصبح حرا طليقا وتطير في الفضاء مثل الفراش والعصافير - ص 48. افكاره مكتئبة يعاني حالة من الضعف والتشتت - ص 48. كثيرا ما يفقد القدرة على الحلم - ص 50. احيانا يعيش حالة تشوش الذكريات، في المواقف المصيرية الي ينكسر فيها حلمه مثل الزواج والوظيفة بصمت (مواربا خيبة مربعة) ص 48. يشعر تجاه العالم بالاشمئزاز و (ينسحب مهزوما) ص 51. ويشعر بالتفاهة وتنفجر داخله غصه كريمة مثل انفجار الدمع ... معبأ بصورة داخلية وظمأ وبكاء.. ومذلة - ص 52. تطارده حيث يشرب (أفكاراً جديدة جنونية) ص 52.

آخر احلامه ان تشتريه امرأة حين يعرض نفسه للبيع (ص 53) يعلن عن نفسه بافكاره الجنونية (لقد اهنت اهانة بليغة) ص 54.

اسباب الانكسار : يعيش في صندوق خشبي تسميه امه بيتا ص / 46-47 / الشعور بالاغتراب قبيلتك شدت الرجال / ص 46 / والوطن مليء بكافة الاجناس واللغات الانكليزية، الاوردية، السواحلية، الهيروغلوفية، الملييارية / ص 54 / لم ينل حقه في وطنه بسبب (الصحراء تفترس القمر) / ص 48 / والذباب المنقض على العسل الاسود المتفجر من بطن الصحراء / ص 49 / لم يعمل في وظيفة مهندس بترول وعرض عليه أن يكون مساعدا لامين المستودعات في شركة نفط بألفي درهم / ص 50 / ووكيل احدى الوزارات طلب منه مراجعة القسم - قسم

التوظيف بعد اسبوعين (لم يتحقق الوعد).. فقد عائشة لان والدها رفض وظيفته في المستودعات وعائشة بدورها تزوجت شابا لانقا ينتمي الى عائلة معروفة وكبيرة / ص 52 .

النهاية : غيبوبة السكر (على ناصية مقهى اكتظ بالهنود) / ص 45 «تلبسه حالات الجنون العبثية السير باضغاث احلام وهزيمة آمال وخيبة اي انه مهزوم رافض بسلبية على الارض حيث توقفت بقعة لامعة لبصقة تلمع فوق الاسفلت / ص 54 .

من الذي يعلن النهاية : هو

(ها أنت تدرك انك تسير في اتجاه معاكس للبيت).

مدى الوعي الذاتي : عبدالله مغضوب مدرك لطبيعة ازمته وسبب اغترابه الذي يدين المجتمع حيث يشعر بأنه مجرد من كل شيء الانتماء والتواصل مع المجتمع الذي يحرمه من كل شيء . الامن الامان والهوية والزوجة والبيت والمهنة التي تساعد على تنمية وطنه لكن ادراك عبدالله مغضوب محكوم بالانكسار لانه يفكر بفردية في ازمته رغم ان قطاعا عريضا من ابناء جيله يعيش ازمته وقد وصفهم بالطيور البيضاء المسترخية فوق الشاطئ يتكدسون في بقع الكلام يضحكون يثرثرون يغنون يدخنون يحترقون يشتمون ينزلق الشراب فوق دشايشهم.. يأكلهم قهر ويشربهم عذاب / ص 49 .

السمة* : «رشدان السمة» نموذج آخر من ابناء الوطن التقطه القاص من سوق السمك ليقدمه كنموذج بقدر ما يدين التحول والتغير الاجتماعي يدين نفسه لان «رشدان السمة» لا يملك آليات التطور ولا يعرف قانون التكيف ويعاني ازمة متعددة على صعيده النفسي والاجتماعي.

* السباحة في عيني خليج يتوحش - ص 27 .

رشدان السمة كائن يحمل ملامح وصفات عصر منقرض، يقدمه القاص بطريقة لا تجعلنا نتعاطف معه ولكن نرثي له لانه يدين نفسه . صياد قديم، عانى الكثير فصار هيكل عظميا مكسوا بالجلد المحروق وهذا الارتباط التاريخي بالبحر والصيد ترك ملامحه حتى في عينيهِ فصارت شهرته (رشدان السمة) لانه من

دون رموش.

رشدان السمكة في طريقه الى الانقراض. ذاتيا واجتماعيا. لانه فقد مبررات التواصل وانه خارج ايقاع النمو في السوق، وخارج ارتفاع التطور الاجتماعي. وهو وان كانت له فروع. فحالتها لا تسر. انه في حاضره ومستقبله مشوه وميؤوس منه، لانه لم يتكيف، ووقف في وجه التطور الذاتي انتظارا لما يأتيه. وزمن التحول لا يمنح خيرا ته لكل منتظر او مستسلم لن يعطيه سوى الفتات.

رشدان السمكة كنموذج للمواطن الذي مسه تيار التغيير يحاكم نفسه في السوق وهو يظن انه يحاكم المجتمع والعصر والتغير، فهو عبر حاله مع رفيق كفاحه البدين الذي طار بثروته يقدم نفسه كشخصية منكسرة ومغترية ايضا.

انه يتمسك بالحرفة القديمة، بعد ان كان يغوص، أخذ يشتري السمك ويبيعه في السوق انه يتحول الى قوة هامشية في المجتمع ونتيجة وضعيته الهامشية باع ارضه ومنزله وفسد ابنائه ولم يستفيدوا مما قدمته الدولة من مدارس وخدمات وماتت زوجته فتزوج هندية وانجب منها طفلا مشوها ومن خلال حواراه مع الشخص الذي يكشف بانوراما نهايته وانكساراته رغم ما يبدو من عناده وصلابته ورفضه لما حدث من تغير أنه يعيش في الماضي كأنها حالة مرضية : (أنا اعيش كما في الماضي... لا أنساه) / السباحة في عيني خليج يتوحش ص 31/ و: انا الماضي بعينه. انظر... ورغم ان (الدنيا تغيرت... كل شيء تغير). انه وهو يرى العمران يسد البقاع : (ارى وكأني لا أرى .. الحمد لله على كل حال) وبهذه التواكلية والقدرية يتوقف.

واذا كان واقع رشدان كذلك، فان مستقبله ايضا مماثل في فروعه او اولاده ميؤوس منه، لان عائلته فاشلة فأولاده (لا بركة فيهم ولا نفع) فقد / «دخلوا المدارس وخرجوا اسوأ حالا... ورغم انهم عملوا في اعمال كثيرة لكن لا فائدة منها سامحهم الله كم يعربدون ويسكرون، وزوجته الاولى (الرحمة لها) انتقلت الى جواره يوم بدأت الامور تتبدل... لذلك تزوج هندية انجب منها آخر ابنائه سلوم.. متسخ القدمين الذي دخل ايضا السوق».

الحاضر يلفظ رشدان ويسلبه الزوجة والثروة ويمنحه هندية غريبة تكمل مأساته، لذلك فهو يتمسك بموقعه في السوق ويرفض أن ينتقل الى مهنة حارس

للبيت الذي باعه من قبل للغني الذي شاركه معاناة الماضي لكنه انتفع في الحاضر وصار ثريا حين اتقن معرفة قانون التغيير.

الناس تغيرت ورشدان لم يتغير مثلهم واولاده فاسدون لذلك استسلم لواقعه في السوق متحسرا على الماضي الذي كان رغم معاناته ومكابدته وبذلك يقدم القاص رشدان السمكة كنموذج لمن لا يستطيع التكيف. النموذج المحيط والعاجز عن التطور وان اعلن تمسكه بالماضي.

ومن خلال مواقف التضاد ايضا حاول القاص ان يبرز نموده ويوضح مفاصل الضغوط عليه والتي كانت سببا في انكساره:

– هيكل عظمي اسمر الجلد جاحظ العينين هرم فقير.	مقابل	– رجل بدين، نظيف، ثري.
– الاسم رشدان دلالة جيل الماضي	مقابل	– عدم التسمية دلالة هلامية لحاضر وعدم وضوح ملامحه.
– «السلام عليك» يا رشدان السمكة فيها الحميمية المحملة بالسخرية	مقابل	– «مرحبا يا عمي» تعبيرا عن الانكسار امام الثروة.

ماذا يريد القاص ان يقوله ؟

1 – ان التغيير الاجتماعي والاقتصادي الذي حدث أوجد انقساما طبقيًا في المجتمع بين افراد الشريحة الواحدة.

2 – ان الثراء يحدث بأساليب غير مقبولة وبوحشية.

3 – ان السمك الذي يمارس مهنته بحرية ، افضل من ان يكون اجيرا في بيته بعد ان كان مالكا.

4 – ان التغيير الذي حدث لم ينقل شرائح الفقراء للوضع المناسب بدليل فساد ابناء الصياد وانفلاتهم اجتماعيا.

(بطاقة نموذج)

الاسم : رشدان

اسم الشهرة : (عرف بين زملائه برشدان السمكة) ص 29.

الصفات الخارجية ...

العمر : غير محدد بالسنوات مما يعني انه تجاوز الـ 50 سنة (وجوه الباعة والسماكين متفغضة شاحبة وهزيلة عليها آثار سنين قاحلة) ، (ص 29).

الجنسية : مواطن.

المهنة : بائع في سوق السمك بعد ان كان صيادا وغواصا قبل ظهور النفط

الملامح : (هيكل عظمي مكسو بالجلد الاسمر المدبوغ) أهم ما يميزه الى جانب هيكله العظمي المكسو بالجلد الاسمر المدبوغ عيناه الواسعتان الجاحظتان والدائرتان الشبيهتان بعيني السمكة في دائرتيهما وخلوهما من الرموش – ص 29 ، غترته مصفرة – ص 32.

تثائب كاشفا عن بقايا اسنان هرثة في جوف فمه – ص 32.

الصفات الداخلية :

يعيش حياة روتينية في السوق «يبسمل في فتور» يعاني حزنا صامتا اذا تحرك يلعن ويسخط «اللجنة عليكم» يشعر بالنقص تجاه الاثرياء «مرحبا يا عمي» ص 30. يمتلك نوعا من العناد كما في ايام الغوص نادم على الماضي متحسر على احواله (ص 31) محبط لفساد اولاده «سامحهم الله». كم يعريدون ويسكرون (ص 32) غير قادر على المواجهة حال كل الفقراء. لا نملك الانفوسنا المغلوبة (ص 33) قدرتي «كل شيء يتغير لكن النصيب وحده لا يتغير» (ص 33) يائس من المستقبل كل شيء ولى الادبار ... مكاني هذا (ص 35).

اسباب الانكسار :

باع بيته بسبب الحاجة وضاعت منه الارض التي يملكها بعد ان آلت الى الثرى زميله القديم في الغوص.

النهاية :

التمسك بالبقاء في السوق لبيع السمك بدلا من ان يكون ناطورا للمنزل الذي كان يملكه.

من الذي يعلن نهايته :

هو :

(هل تريد ان يقول الناس ان رشان السمكة هجر السمك ليعمل ناطورا في بيته؟).

الراوي :

ظل رشان ثابتا خلف مصطبة السمك وسط الضوضاء وروائح العرق التي اعتادها انفه جيدا.

مدى الوعي الذاتي

رشان السمكة يعي مشكلته لكنه ايضا عاجز عن الفعل ومستسلم لانه حسب تصوره الفرص غير مواتية، ويعتبر بيع السمك ممارسة عمل بحرية رغم انها هامشية كما هي مهنة «الناطور» وكلها مهن خدمية بائع وناطور ولكنه يفسر ما حدث له التفسير القدري ويعتبر التطور الذي طال غيره نتيجة «النفوس الجامحة بوحشية».

منشور ضوئي

في هذا العمل القصير يمتد الانكسار الى الاطفال. ان الحلقة واحدة التي تمارس فعلها في الكبار هي نفسها التي تلتهم اطفالهم ويتضح من النص القصصي ان الانكسار ايضا صفة يمكن توارثها كما يورث القهر والصفات الجسدية، هذا لان القاص يحاول ان يدين بقوة عبر نماذج مختلفة التي يلتقطها او التي يشكلها فنيا لتقول خطابا سياسيا مرة يتلبس التعبير الفني واخرى المقولة السياسية المباشرة.

نموذج قصة منشور ضوئي (طفلان) من الفقراء القاص لا يحدد هويتهما وان كان المقصود بالطبع الاطفال المواطنين والقانون لا يسميهما لكي يكونا رمزا لاجلية الاطفال الواقعيين تحت سوط الظروف ذاتها ولا يضع نقيضا لهما رجلا، بل طفلا آخر بدينا دلالة بحبوحة العيش والثروة وهو لا يسميه ايضا كرمز لقوة اجتماعية واضحة من صفاتها ولا ضرورة لتسميتها لانها تدل على نفسها بملامحها وتجسدها المادي وفي تقديم اطفال الفقراء بتعدد (طفلين) يعني كثرتهم وبتحديد طفل الاغنياء بطفل واحد يعني التمرکز وكما يحمل الطفلين ملامح وصفات وخطاب الانكسار عبر القهر الاجتماعي والخوف والضعف يقدم الطفل البدين معياراً لقوة شريحته أو طبقته فهو الطفل الأناني والقوي والجبار.

الطفلان الفقيران يعيشان مع اسرتيهما في صندوقين خشبيتين تتألق في عيونهما النجوم لكن الحزن يطاردهما منذ ولادتهما، حدود عالمهما خلال الصندوق «الغرفة الخشبية» يلحمان احدهما باللعب والآخر بسرور لأن أباه وعده وهو يقول ذلك من زمان (ص 63) ويرحلان الى تلك (العمارة) التي تشع منها اضواء باهرة، تلك العمارة مشيدة، بالطوب، والحديد واوسع من كل مدركات الطفلين لان والد احدهما يقول ان بإمكان الطائرة ان تحط فوقها (ص 64).

هذه العمارة الفذة كما تمثل مجالا للرغبة واللامعقولية في تصور الطفلين تعتبر بالبقايا التي تلفظها في (الصنية) أي مكان القمامة موردا لهما يبحثن فيها عما يسد حاجتهما من اللعب المهشمة والاشياء الغريبة التي لم ترد على خاطر أي منهما.

القاص يحمل حوارات الطفلين الفقيرين كثيرا مما يريد ان يقوله مباشرة مبكرا استحالة الانتقال التاريخية لهذه الشريحة من وضعيتها الاجتماعية.

— قال ان الناس يسكنون فيها

— أحقا؟

(وساد صمت قطعه الآخر).

— وهل نسكن نحن فيها

— لا تكن احمق نحن لا نستطيع ذلك.

— لماذا؟

– سوف نسقط من فوق !! ص 64.

ويصل القاص الى هدفه مباشرة :

– البارحة قبل ان اناث سمعت امي تتأوه بصوت خفيض وتطلب من ابي ان يحضر لها تفاحا فصرخ فيها ابي ان تتركه وقال يكفيه ما به من قهر....
أتعرف ما هو القهر؟

– لماذا لم تسأله ... اظن انه مرض يعاني منه ابوك... ص 64.

هذا القهر الشائع الذي يتعرض له الكبار هو نفسه الذي يمارسه المجتمع عبر رموزه على الاطفال أحدهما في القمامة وجد صندوقا جميلا والآخر عثر على سروال فالتقطه رغم تلوثه بالبراز، وهذا الامل المهشم لم يكمل تحقيقه فقد قفز اليهما الطفل البدين ليتنزع الصندوق بصفعة ممارسا عليه القهر.
وقبل ان ينفصلا كل الى اهله قال احدهما :

– لا تنس ان تسأل اباك عن معنى القهر. ص 65.

قد يبدو أن القاص يحمل نموذجية تقول خطابا سياسيا مباشرا يتجاوز حدود قدرة مرحلتهم العمرية لانه كان يقصد ذلك محاولا الاحتجاج غير المباشر وغيرهما بل ان تسمية القصة ب (منشور ضوئي) توضح هدف القاص بابرز فعل الظلم الاجتماعي الشامل على الكبار والصغار معا. لقد أنطق الكاتب الطفلين بلسان الكبار وإن لم يغفل في بعض الاحيان على خصوصية حديثهما عبر التساؤلات التي يطرحها الطفل دوماً خلال مرحلة تعرفه الى العالم والظواهر المحيطة به.

وكعادته يستخدم القاص التضاد عبر الثنائية ليصل الى اغراضه فهو، يضع :

– الصنادق الخشبية بأطفالها المصابين	مقابل	عمارة شاهقة حديثة مشيدة من
بالحزن والقهر والملطخين بالوحل		الحديد لتتهبط فوقها طائرة دلالة
والغبار والحرمان والمعرضة		القوة وتشع بالأضواء وفضلاتها تمثل
للاحتراق فورا بعود ثقاب .		كنزا للآخرين كما ان اطفالها
		يتميزون بالبدانة وهي كرمز اجتماعي
		اكبر من تصور اطفال الصناديق الخشبية.

مقابل	طفل البناية الشاهقة مرفه بدليل بدانته.	– أطفال الصنادق محرومون من اللعب وحتى الملابس الضرورية مثل السراويل لتستر عورتهم.
مقابل	طفل الاغنياء اناني يكتنز كل شيء لنفسه وينتزع بالقوة ما يجده في يد الطفل الفقير بل انه خطف... الصندوق وجري صوب العمارة الحصن الذي يحميه.	– اطفال الفقراء ضعفاء وغير قادرين على حماية ما يصل اليهم رغم انه نفاية وبقايا ولا شيء لديهم سوى الدموع.

ماذا يريد القاص أن يقوله

- 1 – ان الظلم الاجتماعي يشمل الفقراء كبارا وصغارا والقهر سمة اجتماعية
تشكلهم وتضغط عليهم وتكسرهم.
- 2 – الفقير غير قادر على حماية نفسه اثناء احساسه بالضعف الاجتماعي.

(بطاقة نموذج)

الاسم : غير محدد كدلالة رمزية لاتساع القصد.
الصفات الخارجية : اجساد صغيرة ملطخة بالوحل والغبار.
الجنسية : غير محددة مباشرة وان كانت الصندوق الخشبية دلالة للمحلية.
العمر : اطفال.

المهنة :

الملامح : تبدو عليهم ملامح الحزن.

الصفات الداخلية : في حالة تساؤل دائم ودهشة.
اسباب الانكسار : العجز عن المواجهة والاحساس الطفولي بالفقر.
النهاية : احدهما ترقرت في عينيه الدموع وتساءلا بدورهما عن معنى
القهر.

من الذي يعلن النهاية : الاطفال والراوي .

مدى الوعي الذاتي : غير مدركين لأزمتهما الذاتية لانهما طفلان وان كان القاص حاول بالنهاية المفتوحة ان يوحي بانهما ادركا الازمة بالتساؤل عن معنى القهر.... والتماع النجوم في السماء حين افترقا.

(صفعتان)

بطل هذه القصة ليس من النوع القروي الساذج الذي تبهره اضواء المدينة. بطلها يمتلك وعيا محددا ويمارسه بطفولية واضحة أو كما قيل له على لسان الشرطة.. بمراهقة، (لعب عيال) ص 39. نزل الى المدينة لا ليعيش حالة الانبهار لكن ليكتشف المدينة. الاكتشاف لعبة تروق له والمقارنة هواية محببة واسيرة بالنسبة اليه. يمارسها بين الحين والآخر.

شاب جامعي يعيش في خورفكان تلك القرية الجميلة، (السكون، الهواء الجاف، الفقر، الكسل، الناس الطيبون، الصيادون، المزارعون). (ص 30). وكل حين يهبط الى المدينة (ربما لانه يجد فيها نقيض القرية «المدينة جميلة جدا – الحركة الضوضاء البشر غير العاديين العمارات الواجهات الانيقة، السيارات الفارهة، فوق الطرقات المغتسلة، الصحف، الكتب النساء يعملن في السوق رائحات غاديات) (ص 30).

انه يكتشف المدينة حين يهبط اليها على مستوى اصعدة مختلفة، المراقبة والنظر، الحوارات مع الاصدقاء، الارتباط بالعالم عبر الكتب والصحف والمجلات التي تصل اليها. انه الهبوط الذي يعطيه زادا بين الزيارة والاخرى. القرية بالنسبة له تمثل الركود الذي يصيب بالضجر والملل لان ايقاعها رتيب وشبه ساكن بينما المدينة تدفق وانهمار وهو مواطن شاب يأتي اليها حاملا بساطة القرية لا تعقيداتها: «انه يغزو المدينة غزوا استكشافيا» (ص 32).

قل انها مشكلة حضارية إبدأ، نزوع الى الانفصال عن محيطه الاساسي للاندماج في عالم جديد. حلم التطور، المدينة تلبى طموحات الانتقال النفسي بالنسبة اليه لذلك فهي مصدر الجذب الدائم او النقطة التي يحج اليها كل حين

ويعيش ساعات أخرى تمنحه فيها المتعة وتوفر له مجالات السيطرة التي يفضلها المثقفون : «سهر لدى صديقه ، تحدثا في كل شيء ، السياسة ، المرأة ، الجامعة السيارة الالكترونية ، الكواكب وأشياء أخرى كثيرة» (ص 29) .

والطريف في هذا النموذج الذي اسماه القاص «سعيد عبدالله» والقادم من خورفكان لا يأتي المدينة حاملا قيم البراءة والنقاء والقيم الدينية والقواعد الضابطة التي يحملها أي مهاجر من الشرق إلى الغرب ويصطدم معها الاصطدام الحضري ولكنه يأتيها حاملا استعدادا آخر يلاعبها بما هو اقصى وأكثر جرأة هل كان يسعى لان يعري حريتها الشكلية الواضحة ويرفع قشرتها وليكشف انها محافظة حتى النخاع بل غبية جدا كما وصفها الراوي في نهاية القصة (ص 40) ام انه لا يملك المعرفة فيحاول؟.

النموذج في هذه القصة محمل بالاستفهام والسؤال (ص 31) والمدينة تثير لديه هذه الملكة التي ترتد الى مكنها كلما وصل القرية ففي خورفكان (الحياة العادية) ايام رتيبة وعمل يتكرر يوما بعد آخر الصيادون المزارعون كم هم طيبون يحدثونه في شؤونهم حتى الخاصة منها والخاصة جدا كعلاقاتهم مع نسائهم... رائعون في صفاتهم.. بينما (المدينة فيها اشياء أخرى الناس يفكرون بطريقة تختلف عن طريقة ناس القرية متحضرون) (ص 31).

ومن خلال المشاهدة يقرر سعيد عبدالله ان يختبر المدينة في احدى نسائها الغاديات (ساقان ممتلئان ومؤخرة متناسقة مع الجسد الطويل.. تمشي وحدها (ص 32) يتصادم مع القانون الاخلاقي العام بسؤالها «عفوا هل من الممكن ان تمارسي الجنس معي؟» (ص 33) . وهذا السؤال المجنون والوقح كان يطرح فهما غريبا يتجاوز عادات المدينة ويعني سلوكا جنونيا من «صايغ، ضائع» على حد تعبير تلك المرأة وهو كلام ناب ويعتبر اعتداء على الآخرين من مراقب على حد قول ضابط الشرطة (ص 35 و ص 38) بينما يعني بالنسبة الى سعيد عبدالله ابسط قواعد الممارسة الديمقراطية (قولي نعم او قولي لا.. لك ما تشائين.. ص 34) او كما قال للضابط (المفروض انها تتقبل قولي، ولها حق القبول او الرفض هي حرة، هي حرة وانا حر من حقي ان اطلب ما اريد ومن حقها ان تلبي او ترفض في هدوء ولا داعي لهذه الضجة- (ص 36).

وينتهي الموقف بصفتين من المرأة على وجه سعيد تحت سمع وبصر ضابط الشرطة وقضاء ليلة ونهارها في السجن المركزي ليخرج وهو يشعر شعورا مغايرا تجاه المدينة مبادرا لايقاف سيارة تاكسي في طريقه مرة اخرى الى خورفكان. لقد اكتشف والعهد على الراوي ان المدينة ليست الا كالمرأة التي خاطبها. جميله جدا ولكنها غبية جدا لا تملك في داخلها غير الصراخ الاهوج (ص 40) بصخبها وضوضائها وناسها المزركشين بالثياب والسيارات والساعات الفاخرة (ص 40).

هذا النموذج الغريب والمغرب في المدينة لم يدرك قانونها لذلك صفعته وكان صفتين كانتا ضروريتين ليعود الى رشده ويكتشف غياب تلك المدينة التي كانت تمثل حلم انعتاقه من جمود القرية. هل كانت المدينة غبية فعلا. ام انه لم يعرف مفاتيح المدينة فكانت تلك الحادثة القشة التي كسرتة وجعلته يحمل احباطاته بالتجربة ويعود هاربا الى القرية مع اول اصطدام مقصود.

الواقع ان هذا النموذج القلق نفسانيا وفكريا، لم يكن في مواجهته مع المدينة مسلحا بارادة قوية وانما تميز بالهروبية فضلا عن المثالية التي تصل الى حد الغربة في علاقة بجدل مع واقع المدينة. كان يطرح اسئلة غير معقولة اجتماعيا رغم منطقيتها لكنها مثلت (اعتداء على حرية الآخرين) وفي المعيار الاخير تمثل وعيا مشوشا لا يحمل هاجسا فلسفيا راسخا قدر ما يبدو وكأنه مغامرة خاسرة او محاولة استفزازية عبثية تدور في اطار تفرغ اللغة من مدلولاتها الاجتماعية عبر ما استقر لها من معان واستخدامها (ببراءة).

وتدليلا على قمع المدينة للشباب القروي، وضع القاص علاقات التضاد الواضحة كما يلي:

مقابل	المدينة مزخرفة، لاهثة سريعة، براق، رائحتها جميلة مزدانة الشوارع مليئة بالحيوية والدفع والنساء الجميلات.	مقابل	خورفكان القرية جافة تتميز بجفافها وغبارها وحجارتها وركودها.
مقابل	المدينة تجذبها بحواراتها وشبابها ومغرياتها ولياليها واغراءاتها التي ترضي رغباته.	مقابل	القرية تطرده بهدونها ورتابة احاديثها ووقائعها

المدينة مشغولة بالفلوس اي ملوثة ماديا .	مقابل	– خورفكان «القرية» نظيفة الهواء أي نقية .
المدينة نظيفها براءة أخذ يحرق فيها وتابع التحديق .	مقابل	– دشداشته ليست نظيفة ورأسه حاسرة، لا أحد يلتفت له .
خورفكان تبقى وجه النقاء والبراءة والصدر الذي ينتظره من اغترابه ويعود اليه بعد طول غياب .	مقابل	– المرأة التي طلب مصاحبتها جميلة جدا وغبية جدا وتمثل المدينة بزخارفها .

وهكذا يعود سعيد عبدالله الى قريته حاملا خيبة التجربة وانكساره في المدينة التي مثلها بالمرأة الجميلة لكنها غبية وهوجاء .

* ماذا يريد القاص عبر هذا النموذج :

- 1 – ان المدينة تشكل عنصر جذب براق للشباب بما تضمه من مبهرات ومغريات وكثيرا ما تكون رحلة المنجذبين العودة الخائنة أو الانبهار والضياع في تلافيفها .
- 2 – ان ازمة المثقف او المتعلم تبدو في مثالية تعامله مع الواقع التي قد تصل الى حد السذاجة .
- 3 – ان قانون اقتحام المدينة يحتاج الى فهم مغاير وحركة واقعية أو حيلة وخديعة .
- 4 – ان المدينة معادل التطور التي تمثل القوة القهرية بمركزيتها لا تقبل أن تكون ديمقراطية وتغضب، وتتعتت عند أول مجابهة .
- 5 – ان بعض الشباب الباحث عن هوية يعتبر التحضر حالة تقبل الحوار... أي حوار حول كل القضايا، فالتحضر يعني الديمقراطية، أو هي أحد أوجهه المغيبة .

(بطاقة نموذج)

الاسم : سعيد عبد الله

الصفات الخارجية :

العمر : عشرون عاما .

الجنسية : مواطن يعيش في خورفكان ويحمل حكاياتها ويفهم قانونها بكل رتبته وإيقاعه.

المهنة : طالب جامعي

الملامح : دشاشته ليست نظيفة، حاسر الرأس

الصفات الداخلية : يصاب بعدم القدرة على التركيز في لحظات، يرى الأشياء وكأنه لا يراها بعيون زجاجية ليس بها تعبير من أي نوع ص 29 مبهور بالمدينة ومدفوع إليها «المدينة كانت تغريه» ص 29، 30 «لأنها جميلة جدا، رحبة جدا، مفتوحة جدا، حرة جدا ص 30 وهو محمل دائما بالاسئلة الاستكشافية ص 32 مغرم بالاندماج ضمن المدينة «نساء المدن رائعات كالمدن نفسها ومتحضرات كالمدن ص 33، يمارس الجرأة الاستكشافية بالاسئلة «المجنونة» وهو غير مدرك لأبعاد محاولاته لكنه على استعداد لتحملها مقابل حرية ممارسته لها «لكنها لا شك مغامرة ستسفر عن ضحك أو رثاء، أو بكاء أو كشف جديد ص 34.

أسباب الانكسار : عدم ادراك كيفية امتلاك مفتاح المدينة وعند اول صفة تلقاها انسحب هاربا، لأنه لم يكن قادرا على المواجهة والتعلم من التجارب. انه يشعر بفقدان العلاقة على المدينة فغادرها عائدا الى القرية التي كان يلفظها.

النهاية : عدم القدرة على التفكير نتيجة المأزق الذي وقع فيه والانسحاب منكسرا.

من الذي يعلن النهاية : الراوي :

«انسابت به السيارة في الليل عبر الصحراء تاركا خلفه المدينة بصخبها وضوضائها وناسها المزركشين بالثياب والسيارات والساعات الفاخرة تفوح من ثيابهم روائح حلوة، تشي مظاهرهم بالفخامة. لا شيء في رأسه يفكر، ليس يستطيع لكنه أحس وهو يتحسس وجهه المصفوع ان المدينة صفعته صفة قوية على غير ما توقع، وبأنها ليست الا كالمرأة التي خاطبها جميلة جدا لكنها غيبة جدا لا تملك في داخلها غير الصراخ الاهوج ص 40.

مدى الوعي الذاتي :

عبدالله سعيد مغامر غير صلب، يسعى للاستكشاف ويخوض المخاطر ويعي ما يفعله في اطار محاولته الذاتية لكنه لم يستطع أن يواجه فانسحب بعد التجربة المريرة.

(الفأس) (*)

المدينة أصل البلاء هكذا يصل القارئ الى قناعة راسخة حين ينتهي من قراءة قصة الفأس . المدينة مفسدة، سارقة، مبتزة، خادعة، تسرق جهد الكادحين وتستمتع بحياتهم وتمتص اعلى ما لديهم. المدينة لم تكف باعتبارها نقطة جذب فقط، بل لعبت دورا اخطر، لقد ذهبت الى القرية وطعنتها في اعلى ما لديها.. الشرف.

ملئية هي بالرموز تلك القصة، والصراع الحادث بين ابرز نموذجين أو رمزين يوحى بعدة مستويات للنص. الاول على الصعيد الفردي. قصة خيانة زوجة مزارع لزوجها الفلاح الصلد. والثاني ما بعد الفهم المباشر اي الرمز الدال لقصة الصراع الاجتماعي، وادوات الرمز وتوظيفاته : الفأس أداة التغير، الدجاج المشوي ورائحته كناية عن الثروة المسروقة ورائحة الخيانة، العدس طعام المزارعين والتعبير عن حرمانهم، الموازة بين المرأة الفتية التي لا تشيخ والارض.

هكذا يحمل القاص نصه بكثير من الدلالات التي تتكيف وفق التفسيرات المختلفة. ما يهم هنا التركيز على دلالة الحادث الفردي. فسلمان المزارع النشيط وهب عمره للارض واعطاها شبابه من دون ملل فهذه مهمته لكن زهرة زوجته التي جاوزت الثلاثين والناضجة والمتفجرة بالحياة والطاقة لم تكن بمستوى الاخلاص ذاته. لقد منحت نفسها لابن المدينة المرفه الذي يأتي بشعره المصفف وجسده المعطر فيستمتع بعافية زهرة الزوجة الخائنة.

* البیدار.. عبدالحمید أحمد، دار الكلمة، ص 53.

سقطت زهرة من دون علم سلمان ورحلة سقوطها كانت مبكرة إلا أن سلمان القوي ظاهرياً كانت اعراض الشيخوخة تدب في عظامه وعضلاته لكنه كان ما يزال يحمل إصرار أيام الفتوة.

زهرة المتفجرة كانت تريد فعلاً غير روتيني، رجلاً آخر على مستوى حيويتها وقوتها، كان ضغط الداخل عليها أقوى من أية كوابح أو علاقة زوجية، لذلك سقطت في وحل الخيانة وقدمت عافيتها ودلالها ودجاج سلمان الى ابن المدينة الذي يمثل لها نقطة التلاقي فمع واقع التطور عبر العلاقة الانبهارية وفي الوقت نفسه نقطة التمرد على واقعها الرتيب، العفوي الذي تعيشه مع زوجها المزارع

– اني احب رائحتك، هذا العطر الذي تضعه جميل ! ص 62.

– انتم يا ساكني المدينة رائعون، شعركم مرتب ونظيف، ثيابكم من حرير، وتعرفون الحب جيداً وسمعه يرد عليها:

– وانتم طيبون، والجمال لديكم، انظري الى لحكمكم كم هو متماسك قوي مليء بالعافية! ص 62.

هكذا المدينة تذهب الى الريف لتفسده وتخربه وتستمتع بقدراته.. اي تفسد الارض بالريف الذي تلعب به. مبرر الخيانة عند زهرة ان زوجها سلمان لم يلتفت لها، فضل ان يكون كما تدعي له اثناء اكتشافه الخديعة انه (يعمل كالحمار منذ الصباح حتى المساء اليس لاجلها ولابنائها وللارض؟) ص 61.

ان مبرر خيانة زهرة هو السبب في انكسار سلمان فهو قد وقع في وهم الصواب حين جند نفسه وطاقته الى الارض، العمل، مغفلاً ارضه الاخرى. زوجته. لم يكن على مستوى الادراك لطبيعتها كامرأة قوية شابة – ادركت هي نفسها او وقعت في اسر مندوب المدينة بابهاره فاستسلمت.

كان سلمان يدرك انه اضعف من قيادتها او بمعنى آخر في تلبية التزاماته تجاهها : كان وهو يعمل لا يفكر في شيء غير هذه الارض التي تحت قدميه وتحت شفرة فأسه كانت تعطيه الاحلام فيرى الحقل قد اتسع وازدادت شجيرات وكبرت مساحة الخضرة فيه..... وكان يقول لنفسه ان ذلك سيسعد زهرة كثيراً، فبماكاني ان اشتري لها فستاناً جديداً.. وعطراً ناعماً من النوع الذي تحبه وشيئاً من الصابون لجسدها المليء بالصحة ص 56، 57.

الملاح: جسمه يوحى بالقوة الا انه في داخله بدأ يشعر بالخور والضعف ص 55 وبعد فترة يصيبه داء المفاصل ص 61 غير مرتب الشعر وخشن وغير نظيف كما كشفته زهرة اثناء لحظتها مع عشيقها ص 62.

الصفات الداخلية: قوي داخليا اي شديد العزيمة مع هذا فان شعورا بالهزيمة لم يخالجه قط ص 55 وهو شخصية منبسطة حيث زوجته زهرة بشبابها مما يعني تفاؤله فضلا عن انه مسرور لانه يمتلك الارض.. وزوجته ناضجة ص 56 وقد جعل الارض حدود حياته اي ارتبط بها انتماء وعملا مما يعني انه يلتزم ولا يدخل عليها بشيء لكي يسعدها. ويعود فينقلب ويظن انه اصيب بالخرف والشيخوخة اي انه يدخل مرحلة انعدام الثقة في الذات ويستتبعها شعور بالتبرم والشك والمرارة تاكلين الدجاج وحدك وانا الذي اشقى طوال اليوم ص 60، 61 متردد في مواقفه الى حد التخاذل ولم يكن يملك سوى الاحساس بالفجيرة والصمت والوصول الى حالة غير عادية من التآكل والضعف ثم ينقض غاضبا مهمما بالانتقام لكن النهاية لم تتم لانها مفتوحة فقد يكمل طريقه للانتقام وقد يتراجع.

اسباب الانكسار:

فجيعة الكبرى بالخيانة الزوجية ومدلولاتها الاجتماعية حيث لم يبخل على الزوجة بشيء لكنها منحت نفسها الى سواء في وجوده وانكساره يتبدى في تقاعسه منه البداية عن الانتقام فضلا عن الاثر النفسي الغائر الذي تركه داخله إذا انتقم بقتلها .

النهاية :

استفحلت فيه احساسات الفجيرة واستبدت به قوة غاشمة فبدأ متأكلا ضعيفا وشائخا بعد ان سرقت الزوجة / الارض شبابه وعمره ولم تطعمه الدسم. ونهاية القصة تبدو مفتوحة لانها وان كانت تدل على اتجاهه في الانتقام لكن السياق النفسي للنموذج مع وجود صفة التردد لديه يعني احتمالين إما الانتقام او التراخي ربما خوفا من الفضيحة او عجزا عن المواجهة ناهيك عن حجم الفجيرة الهائل الذي يضغط عليه بفعل الخيانة ويلتصق به طيلة حياته المتبقية انه وان انتقم لنفسه سيبقى محل التندر والاقاويل.

من الذي يعلن النهاية : هو :

—الارض لا تحرث من هنا فقط ص 64 .

— الراوي :

ومشى خارجا من الحقل صوب البيت وكان كلما دنا شم رائحة الشواء فسارع
الخطى بهمة شاب والفأس في يده يقبض عليه بقوة كما لو انه سيهوي به على
الارض ليشق به مجرى للماء ص 64 .

مدى الوعي الذاتي :

يتميز هذا النموذج بامتلاك الوعي الواضح وهذه الصفة عكست ذاتها على
فعل البطل الى حد كبير فبدت النهاية مفتوحة وتحتمل قيامه بفعل الانتقام وهو
يعرف ان ازمته لا تنتهي بانتهاء المشكلة وانما يقطع جذورها حتى لا تنبت وان
ربطه الواضح بين الارض والزوجة ومحاولة المزج بينهما يدل على ادراكه
الفطري لطبيعة المشكلة الاجتماعية فالارض تحتاج الفأس ليصلحها وقطع منها
كل النباتات الطفيلية والزوجة تحتاج الى الحزم والقوة لتعرف انها في كنف
رجل قوي.

والقصة عموما ذات بعد رمزي اسقاطي تحاول ان تقول حكمة اجتماعية .

(خلاله S.E.L)

طائر جريح في فخ صياد ماكر (*)

ليس هناك من دليل آخر أبلغ من نموذج «خلاله» لكي يعبر عن البطل في
قمة انكساراته لدى عبدالحميد أحمد. نموذج تتوافر لديه كل مواصفات الانكسار:
الجمود، الهامشية، البلادة، الاستسلام، الخوف، قابلية اللاتطور. الانغلاق
على الذات، المصروع، غير المتمكيف مع المستجدات انه بقايا عصر ساقها قدرها
الاجتماعي للدخول في عمق عصر آخر اكثر تطورا وانطلاقا وانقلابا.

بين العصرين يبدو «خلاله» هيكلًا قابلاً للتفسيخ والانهيال. خلاله هذا كان

* البیدار.. عبدالحميد.. دار الكلمة للنشر.. ص 93 .

بل إنه في اللحظات التي تعقب الامسيات المرهقة في العمل تلح عليه زهرة «وهو يراها الى جانبه متوثبة الجسد في دفء حارق يمتص التعب» وبعد حادث رائحة الدجاج المشوي التي كان يشمها اضطر سلمان الى ان يسكت وان يتناول عشاء المعتاد على مضض ... ونام ص 59.

وعبر الموقف المتردد والتداعي يتأزم سلمان وهو يسمع صوت زوجته تخونه في احضان ابن المدينة الذي جاء الى القرية ويدرك حجم خديعته منذ زمن حينما تشمم لأول مرة رائحة الدجاج المشوي الذي كانت تعده زهرة لعشيقها وتدعي انها صادرة من بيت الجيران وبمكابرة تقول له : «هل جننت ليس لدينا دجاج مشوي لعله عند الجيران ص 59 بل تزرع في اعماقه انه يخرف ص 59 وسلمان تلبية لعنصر الانكسار الكامن بداخله يعيش الوهم الذي اقنعت به زهرة فخرج ذات مرة يتشمم الهواء المحيط ببيت الجيران فلم يشم رائحة دجاج تنبعث من هناك اكد لنفسه وقبل أن ينام اضاف : هذا امر عجيب ولعلي بدأت اخرف حقا ص 60.

لقد تجسد الانكسار في اقوى صوره حينما سمع صوتها في احضان عشيقها : لم يعد يشعر الا بالدم ينزف من عروقه يصعد الى رأسه يكاد يتفجر منه سحب نفسه وعاد الى الحقل وقد غابت آلامه تماما واستفحلت فيه احساسات الفجيعة ص 62.

ورغم انه «انبرى واقفا متوثبا كمن عاده شبابه الغض 63 وحمل فأسه وقبض عليه كمن يقبض على شيء عزيز يخاف أن يفقده. خطأ خطوات وهتف في غضب وانه مشى خارجا من الحقل صوب البيت وكان كلما دنا شم رائحة الشواء فسارع الخطى بهمة شاب والفأس في يده يقبض عليه بقوة كما لو أنه سيهوي به على الارض ليشق به مجرى للماء رغم هذا الاندفاع الجريء الذي يعني توجهه للانتقام فان النهاية المفتوحة تلقي ظلال الشك على سلوك النموذج فقد يتراجع او يخور في الطريق وهذه الاحتمالية في العمل الفني تتيح الفرصة للتأويل وفق منظور القراءة.

والقاص ايضا استخدم نمطية الثنائيات المتناقضة ليرز حجم الصراع الذي يعيشه النموذج :

– يوصي زوجته برعاية الدجاج والاولاد	مقابل	زوجه لا ترد عليه فقد حفظت وصاياه حفظا .
– سلمان رغم احياء جسمه بالقوة الا انه في داخله بدأ يشعر بالخور والضعف	مقابل	زهرة فتية ملانة الجسم بشكل مثير ذات وجه صبوح وعينين باسنتين حلوتين وهي لا تفقد حماس الشباب ونضارته مع الايام.
– سلمان يعمل ولا يفكر في شيء غير هذه الارض التي تحت قدميه كانت تعطيه الاحلام بتوسع الحقل واخضراره	مقابل	زهرة تحب العطر والفساتين الجديدة والصابون .

– ماذا يريد القاص قوله عبر هذا النموذج :

- 1 – ان الاصلاح الاجتماعي اذا لم يرافق النشاط الانمائي تفسد القضية خاصة وانه يربط بين الارض والزوجة وركز على دور الفأس في الاصلاح .
- 2 – ان المدينة مفسدة الى حد كبير وهي لا تكتفي باستقطاب عافية القرية وامتناص خيرها بل تخرق البناء القيمي للقرية وتفسدها وتلوث نساءها .

(بطاقة نموذج)

الاسم : سلمان

الصفات الخارجية :

العمر : على ما يبدو أنه جاوز الأربعين بالقياس الى أن زوجته تجاوزت الثلاثين ولكنها مليئة بالفتوة وهو يعترف له (انت والارض سرقتما عمري وشبابي اشيوخ انا فتصغران أنتما) ص 56

الجنسية : مواطن

المهنة : فلاح مزارع وهب عمره للارض ويعيش حياة الفلاحة وبكل تفاصيلها الاستيقاظ المبكر والاستراحة في الظهيرة وتعاطي الطعام الذي يقبل عليه المزارعون عادة.

مع حمارة يقومان بدور خدماتي، هامشي، غير منتج، ينقلان امتعة الناس من البيوت والدكاكين الصغيرة المتناثرة الى الفرضة او يجلبان الماء ص 98 هذه الشخصية وجدت نفسها فجأة تركب المرسيدس وتغترب، فيضيع حمارها وينفق بين جدارين أو تحديداً بين عصرين من الزمن فقد انتقل ليعمل حارس مدرسة. نمطية القديمة تسيطر عليه حتى في عصر المرسيدس والملايين التي امتلكها حين جاءت التعويضات مقابل دخول بيته الصغير في «القصر» أي اعادة تخطيط المدينة.

بقدر ما شعر بالخوف من اجتياح بيته وكيانه، لم يكن يعرف ان الثروة ستهبط عليه، لقد احتفظ بهيئته نفسها، وغترته ذاتها، وسلوكه نفسه الذي كان يمارسه وهو ينتقل الى المدرسة بحجارة مسعود في مرحلة الثروة والمرسيدس الفخمة. كل ما طرأ عليه بعد ضياع حمارة بدخول المرسيدس حياته انه استعان بهندي ليقود السيارة لكن خلاله كان يقوم بتنظيفها وتلميعها.. اي لم ينتقل ولم يتغير رغم دخول ايقاع التغيير حياته، وما أدراك ما ثلاثة ملايين تمثل التغيير.

ازاء هذا الوضع لم يتطور خلاله لأن «زمن الحمير ولى» وخلال ينظر الى كل شيء بذهول مستسلما كاستسلام الجثة لانتقال الرمال فوقها ص 110 منذ ركب المرسيدس وصار لديه قصر «عيناه ترحلان الى الاشياء في زهول أخرس، أعمى... شيء لا يصدق، لا يصدق خلاله البتة ولا يكاد يجد تفسيراً في رأسه الذي غشاه صمت مميت» ص 107.

(ان خلاله S.E.L) الذي كان خلاله ومسعود نموذج منكسر بفعل الاجتياح الاجتماعي الذي حدث، وانكساره يعني هامشيته، وانه بقي من زمن ولى «زمن الحمير راح» ونهايته قد حدثت بالموت / لحماره أي طابع عصره الاقتصادي كوسيلة عمل. وبصمته المذهول الذي يعادل موت حمارة، لانه لم يتطور.

وعبر التناقضات افلح القاص الى حد كبير في تكثيف صورة النموذج :

مقابل	خلاله وسيارته المرسيدس في
	علاقتهما الحميمة تعبيراً عن
	حميمية عصر بسيط
خلاله وسيارته المرسيدس في	
علاقتهما الروتينية والباردة تعبيراً	
عن عصر الغربة والقسوة والتحول	
الشكلي.	

ردود الآخرين عليه : قلنا لك ان مسعود لن ينفك بعد اليوم هل تريدنا ان نترك السيارات لتحمل الاغراض على ظهر حمارك ص 99 .	مقابل	– كان يشعر بالجدوى مع حماره «كنا نعيش» ص 99 .
الدنيا تغيرت ألا تعلم هذا؟ ص 100 .	مقابل	– زمن الحمير راح ص 100 .
في الصباح تمتلئ الشوارع بالسيارات والمارة والضجيج ص 102 .	مقابل	– خلاله يمتطي ظهر مسعود لأول مرة في حياته بدءا من عمله كحارس في مدرسة ص 102 .
خلاله لا يصدق لضعفه ، حسرة شيء ما ، يهدد حياته الأمانة فيتساءل : وأين أسكن ص 104 .	مقابل	– بيتك الخريان سيأتيه القص وهذا معناه تهديد لكيانه المستقر ص 13 .
خلاله يركب سيارة لامعة فارهة ص 107 .	مقابل	– الحمار مسعود يجوب الاحياء الجديدة يفتش في زباله الطرقات عن حطام يتلقى الضرب المبرح من الاهالي الغافلين هام على وجهه ص 106 .
خلاله يمارس الصمت الشديد.. كصمت الموت المرعب لان زمن الحمير ولى ص 110 .	مقابل	– مسعود يموت متعفنا بين جدارين ورائحته تثير بالغثيان والدوار القرب من منزل خلاله الجديد ص 198 .

* ماذا يريد القاص ان يقوله من خلال النموذج :

- 1 – ان ايقاع التغيير الذي حدث كان مباغتاً لنماذج غير مؤهلة للتغيير
فجلست في المنطقة الرمادية للتغيير وتعد حالة مرشحة للانقراض.
- 2 – ان التغيير المادي الحادث يمس القشور أما الجوهر فما زال يحتاج
الكثير من الجهود.
- 3 – ان اعباء الانتقال من زمن ايقاع الحمير الى زمن ايقاع المرسيدس
قاسية. تطعن الافراد وتصيبهم بالانهيار وتجعلهم ضحايا لعصر التغيير.

4 - ان الثروة الهابطة على نماذج غير مهيأة للتطور تشكل ضغوطا فائقة في غير صالح الافراد.

5 - ان التطور الذي طال بعض النماذج.. شكلي، فنمطية استخدام المرسيدس مثل نمطية استخدام الحمير.

(بطاقة نموذج)

الاسم : «خلاله».

الشهرة : «خلاله».

الصفات الخارجية :

العمر : غير محدد بالسنوات وان كان يعيش المرحلة الانتقالية بين عصرين اجتماعيين «قبل النفط وبعد ظهوره» الى مرحلة متقدمة من عمر الدولة التي بدأت فيها تعيد التخطيط وتمنح التعويضات.

الجنسية : مواطن متزوج من «خاتون» البلوشية، انجب منها طفلا.

المهنة : قبل النفط كان يمتهن نقل الماء والاشياء الى الناس بواسطة حماره مسعود ص 98 وبعد التحديث انتقل للعمل حارسا «ناطورا» لاحدى مدارس الدولة ص 102 .

الملامح : سحنته سمراء مشدودة، عيناه ضامرتان تبرقان في خفوت اشبه بجمرتين تنطفئان، تذبلان تحت هبوب ريح بطيئة، يسير بطيئا، روتيني، وثيابه متسخة ص 95 .

جسمه نحيل، قامته طويلة كالعصا ص 98 وجهه نحيل ص 101 ... دسداشته مصفرة وغترته هرئة ونعالة بالي ص 105 وعيناه ترحلان الى الاشياء في ذهول اخرس أعمى، ص 107 .

يقبع في المقعد الخلفي للسيارة في جلسة مستكينة، ينظر ببلاهة الى الشارع والناس ص 108 .

الصفات الداخلية : مذهول من ايقاع التغير، لم يعد يدرك ما جرى له، استقبال

كل شيء بذهول تام، وباستسلام يشبه الجثة او استسلام طائر جريح ص 95، حزين، وجل، وفي لحماره، لولاه لمات جوعا ص 96 طاردهم غيمة الحزن الثقيلة ص 98 لأنه صار من دون عمل مع حماره مسعود لا يعرف غير الحزن المخيف الجديد المدمر ص 100 والى عمله الجديد يمضي راكبا حماره «بعينين لا تساؤل فيهما البتة 8 ص 102 لكنه بعد فترة هناء «داهمه شبح الخوف من الجوع وارتد قلبه من المفاجأة الجديدة الغامضة ... التعويضات ص 102 والحيرة تتغلغل في داخله ص 102 ايامه مليئة بالذهول والخوف من مجهول أت من آمال لا قرار لها ص 104 .

«يوزع نظرات بلهاء لا معنى لها ص 105 في دراسة اشتملت أفكاراً مختلطة صاخبة... فوجد نفسه غارقة في هموم جديدة ص 106 وبعد هبوط الثروة عليه صار مشتبك الذهن مشغولا بالعد على أصابعه ويجوب الطرقات شاردا ص 106 ويعيش حياة رتيبة قاسية لا يكاد يحس بوجود الزمان لا يحس الوجود بالمفاجآت والغرائب في عالم جديد . خلاله ينسلخ عنه الصمت والذهول وسراويل الوهم الطافح في الرأس ص 108 ويجلس على كرسيه في المدرسة في صمت شديد كصمت الموت المرعب ص 109 «مستسلما كاستسلام الجثة لانتقال الرمال فوقها او كاستسلام طائر جريح لفخ صياد ماكر ص 110 .

اسباب الانكسار :

«منذ ان تبدلت الاحوال اكتسب خلاله S.E.L صفات جديدة أذهلته ص 95 . لقد وجد نفسه في مدار آخر يدور به في سرعة تثير الدوار ص 96 غير آمن على يومه وغده وزوجته خاتون الشرسة وحماره مسعود الذي يعطف عليه كولد ص 96 بعد ان فقد الناس احتياجهم الى طاقة عمله لان زمن الحمير راح ص 100 ولان الدنيا تغيرت ص 100 فإن الحزن يطارد خلاله ويهدده الخوف من الجوع .

وانتقل خلاله الى العمل كناطور متحفظا بحماره لينقله ولكن هدوءه لم يدم كثيرا فقد فزع حينما طرح مخطط تعديل المدينة فجاءته ثروة تعادل الملايين الثلاثة ومنذ تلك اللحظة خلاله يفقد طمأنينته والحيرة تتغلغل داخله ص 103 . ماذا يفعل بكل تلك الاموال وقد انتقل الى قصر وركب سيارة مرسيدس 500 S.E.L صار ايقاع حياته روتينيا ومجال سخرية الناس فهو لا يعرف كيف يتصرف

بل انه يعيش في الايقاع نفسه القديم ويتعامل مع الثروة تعامل الذهول والبلادة لانها اكبر من احتمالاته، أكبر من مداره النفسي والتاريخي لذلك يواجهه بالصمت والذهول بعد الجزع من الانتقال الاولى لنشاطه كناطقر بعد أن كان يقوم بخدمة الناس على حماره لقد كان «خلاله» مستسلما للتغير من دون ارادة أو أنه أشبه بالطائر الجريح في الفخ لأنه جاء من زمن آخر، «زمن الحمير ولى».

النهاية :

ممارسة الذهول والصمت والاستسلام لكل ما يفعل تجاهه من دون مقاومة او تطور.

من الذي يعلن النهاية : الراوي :

«لكن خلاله S.E.L ما زال ينظر بعينيه في ذهول وهو يجلس فوق الكرسي في صمت كصمت الموت مستسلما كاستسلام الجثة لانتشال الرمال فوقها او كاستسلام طائر جريح لفخ صياد ماهر» ص 110.

مدى الوعي الذاتي :

«خلاله» غير واع بأزمته لا يدرك حقيقة ما حدث حوله لا يسيطر عليه سوى الشعور بالفزع والخوف والבלاهة شعوره هو الشعور البدائي نفسه كأن قوى خفية مجهولة تهدده ولا يدري معناها او كنهها ولا يملك نحوها غير الصمت الخائف.

وهذا الهم الاجتماعي الضخم الذي يشغل القاص ويسيطر عليه حين إقامة بناء شخصياته ورصد احباطاتها واغترابها وخيبتها وتشاؤمها او بلادتها لم يكن يشغل عبدالحاميد احمد عن الصياغة الفنية التي حاول قدر الامكان فيها استخدام بعض التقنيات الجديدة في اسلوب القص دون الاكتفاء بالسرد والوصف بل توظيف التدايعات والتقنية الصحافية احيانا والمونتاج السينمائي والتشكيل والاكاء على شعرية اللغة ورقتها وهواجسها ومحمولها العاطفي والبيئي.

القاص يلجأ احيانا الى الخطاب المباشر مثل :

— لقد وجدوا فيك نفطا كثيرا ص 15 / السباحة /

و - اساطيلهم المحملة بعدة الدمار والخراب تربض قريبة منا ونحن ساكنون
ص 41 / السباحة /

و - اليوم يا بامبلا الصحراء فريسة سهلة اما سمعت عن الذباب المنقض
على الاسود المتفجر من بطن الصحراء ص 49 / السباحة /

(لكنه ايضا يلجأ الى تشكيل لغة جميلة ورقيقة تصل الى درجة الشاعرية:
«قارة مزروعة بالرياحين ... او هكذا حين رآها فوجهها مغرق في العذوبة
والحزن وشعرها ظلال مفروشة لكل المعذيين» ...) ابنة الوطن كانت حلما للطائر
المحترق في عذابه ص 57 / السباحة /.

ويمارس ايضا الكتابة ذات العمق الياحيي مثل حك اعماقه الشرسة
ليستخرج الجدوى والمستقبل لم يكن هنالك الا ربح تصفر بين الجدران للحمية
الخربة حطام واشلاء ودخان وحشرات وسيقان مبتورة وبطون مندلقة على
الاسفلت تضع وليدها على الرصيف لتفاجئ الجميع بأن وليدا كهلا غارقا في
الشيخوخة وثمة بومة فوق عود يابس تنعق و غراب اسود اللون يقشر تفاحة
فرنسية حلوة المأكّل والمذاق في الداخل منذ البدء الخديعة تكبر وتتمطى
كاللبانة في قم قحبة، تنتشر الى الخارج لتشكل الكون ولتصير هي الكون من
جديد» ص 45.... (البیدار)، كما لا يغفل عن تضمين لغته للمحمول التراثي الذي
ينتمي الى المكان مثل ذكر اسماء بعض الاحياء والمدن والاشارات التي تدل
على انتماء القصة لواقعها عبر اللهجات المحلية والهندية الاوردية والعربية
السهلة وايضا اللغة الصحفية.

عبدالحميد أحمد بأبطاله واحباطاتهم وانكساراتهم وبعض طموحاتهم التي
يحملهم اياها نموذج جيد للادب القصصي في الامارات يعد بالمزيد الذي يتجاوز
المرحلة التعبيرية التي امتدت عبر مجموعتيه «السباحة في عيني خليج
يتوحش» و «البیدار» على صعيد الشكل والنسق والنماذج، وهذا هو المتوقع
منه اذا تفرغ الى ادواته وفنياته بدلا من ان تسرقه مهنة البحث عن المتاعب.

الهوامش والمراجع

- 1 - محمد ابو خضور - دراسات نقدية في الرواية السورية، منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق 1981 ص 6.
- 2 - المجموعتان صدرتا عن دار الكلمة والثانية صدرت في العام 1987.
- 3 - الدراسة تدور حول البطل وتشكلاته في قصص الامارات ترصد حالاته، انكساراته هرويه، اغترابه، دلالاته.
- 4 - عبد الحميد أحمد (توصيفات عامة حول القصة القصيرة والرواية في أ.ع.م) بحوث الملتقى الاول للكتابات القصصية والروائية في دولة الامارات - الشارقة من 27 فبراير الى 1 مارس 1985 ص 6، 7 غير منشورة.
- 5 - المصدر السابق نفسه ص 11.
- 6 - المصدر السابق نفسه ص 11.
- 7 - العربي بن جلون، تيار الوعي في الادب المغربي المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق 1983 ص 20.
- 8 - توماشفسكي، نظرية الاغراض، نظرية المنهج الشكلي، مؤسسة الابحاث العربية، ترجمة ابراهيم الخطيب ص 192.
- 9 - فخري صالح، القصة الفلسطينية القصيرة، دار العودة، بيروت ص 11.
- 10 - نعيم اليافي، التطور الفني لشكل القصة القصيرة. ص 122.
- 11 - علي، شلش في عالم القصة، مطبوعات دار الشعب المصرية، يناير 1978 ص 51، 52.
- 12 - ميشال بوتور،، بحوث الرواية الجديدة، ترجمة فريد انطونيوس، منشورات عويدات، بيروت الطبعة الثالثة 1986، ص 65، 66.
- 13 - عبدالله ابراهيم، بنية الوعي في رواية الحرب، الأقلام العراقية، العدد 9 سبتمبر 1987 - ص 27.
- 14 - لويس مليكة وآخرون، الشخصية وقياسها، مكتبة النهضة المصرية القاهرة.
- 15 - احمد عزت بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان - بيروت، ص 290.
- 16 - المرجع السابق نفسه ص 23.
- 17 - المرجع نفسه ص 22.
- 18 - هذا الكلام يأتي وفقا للمفهوم الفرويدي عن الشخصية نقلا عن د. احمد عزت راجح، اصول علم النفس، دار العلم للملايين، بيروت، دون سنة اصدار، ص 546.
- 19 - المرجع السابق نفسه ص 551 - 562.
- 20 - نقلا عن صلاح فضل، منهج الواقعية في الابداع الادبي، منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة الثالثة 1986 ص 142 - 145.

-
- 21 - المرجع السابق نفسه ص 146 .
22 - المرجع السابق نفسه ص 146 .
23 - راجع مجموعة السباحة في عيني خليج يتوحش ، دار الكلمة ، ص 43 .
24 - صلاح ، فضل ، المرجع السابق نفسه ص 153 .
25 - المرجع نفسه ص 154 .
26 - المرجع نفسه ص 161 .
27 - المرجع نفسه ص 162 .
28 - ميخائيل باختين ، شعرية دوستوفسكي ، ترجمة الدكتور جميل ناصيف التكريكي دار توبقال للنشر - المغرب - الطبعة الاولى ص 68 .
29 - راجع كتاب محمد كامل الخطيب ، انكسار الاحلام ، سيرة روائية ، منشورات وزارة الثقافة دمشق / 1987 .
30 - محمد دكروب ، الادب الجديد والثورة ، دار الفارابي ، الطبعة الاولى 1980 ص 87 - 88 .
31 - محمد كامل الخطيب - مرجع سبق ذكره ، ص 13 .
32 - المرجع السابق نفسه ص 13 .
33 - المرجع السابق نفسه ص 21 .
35 - توماشفسكي ص 206 ، نظرية المنهج الشكلي . مرجع سبق ذكره .
-

وهم الواقعية .. مأزق الكتابة في الخليج

الدكتور سعيد مصلح السريحي

أيها السادة :

لأنني أعرف أننا سوف نختلف طويلا فقد أثرت أن ابدأ طرحي بمسألة لا أظنكم سوف تنازعونني صدقها فلعلها من مسلمات من أنازعهم الأمر في هذا القول، غير أنني أردت أن أتخذها جسراً أعبره إلى ما أريد. أو أعبره إليكم.

ذلك أنني أزعم أن تحقق الموضوعية لأي مشروع لا يمكن أن يتم ما لم تتحقق هذه الموضوعية في المناخ الذي يطرح فيه ذلك المشروع، وأن صدق النتائج العلمية التي يتوخى الوصول إليها مشروط بصدق علمية الوسائل التي تتخذ لانجاز تلك النتائج. فإذا ما تأمرتم معي على التسليم بهذه المسألة التي توشك أن تنزل منزلة البهية فإني زعيم عندئذ أن كل منجزاتنا الثقافية وغير الثقافية وكل مشاريعنا سوف توضع تحت طائلة المساءلة التي من شأنها أن تنتهي بها إلى أتون الادانة، وأخال أنكم ستفقون معي حول هذه النتيجة إذا ما جمعت بيننا ريبة المثقفين وشكهم في طوباوية الخطاب الرسمي وتفاؤل من تخفى عليهم حقائق الأمور.

ذلك أن كافة المنجزات والمشاريع إنما تم التخطيط لها وتنفيذها في وضع يتسم بالانهيار على كافة الأصعدة فجاءت عبارة عن محاولات للانقاذ أكثر من كونها محاولة لتأسيس حضاري لأمة تبحث عن المستقبل وتؤمن به. ولعل الداء ينسرب إلى بدايات النهضة حينما جاءت انطلاقاً من الآخر - على حد تعبير العروى - فاتسمت الاجابة العربية على التحدي الغربي الذي فرض عليها منذ ما ينيف على قرن من الزمان بإحدى سمتين : الإنكفاء على الذات في محاولة لتحسينها او الفناء في الآخر بغية الوصول الى مكانته عن طريق تقليده والاقتداء به، فكانت كلتا الاستجابتين مَرَضِيَّة فالأولى وقفت موقف الرفض لكل منجزات الآخر متبينة موقفاً متشدداً أفضى بها إلى الوقوف خارج حركة العصر، والثانية جاءت حركة اتباعية انتهت إلى حالة من التغريب انبتت فيها عن جذورها.

وحين تناول الدكتور برهان غليون أزمة الثقافة العربية الراهنة وأسباب الاخفاق التي تتعرض لها ردها الى «وجود موقفين أساسيين يحددان بشكل عام تفكير وسلوك المجتمع العربي من الحقبة التاريخية الراهنة وما نتج عنها ويتجاوز الموقفان تجسيدهما في معسكرين متخاصمين ليصبحا في الواقع لحظتين في الوعي العربي ويشرطا موقف العربي من ذاته ومن العالم»⁽¹⁾. ثم انتهى الدكتور غليون إلى أن العربي قد وضع بذلك أمام إخراج مأساوي لا مخرج منه فإما الحفاظ على الذات مع التخلي عن الحضارة والتاريخية والفعالية أو الانخراط في الحضارة والدخول في العالمية والتاريخ مع التخلي عن الذات بكل ما يفضي إليه هذا الحرج المأساوي من شق وعي العربي وهز أعمق أعماقه وتدمير روح المبادرة والابداع فيه⁽²⁾.

وما يعيننا في هذا المضمار هو أن المشروع الثقافي العربي قد حمل منذ البداية بذور محنته حينما جاء استجابة لظرف تاريخي محدد ثم ما لبث هذا الظرف التاريخي أن آل إلى وضع سياسي متقلب ارتهن له المشروع الثقافي حتى بات من المؤلف انتقال التوجه الثقافي في بلد من البلدان من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار لمجرد تغيير النظام الحاكم فيه أو حتى تغيير العلاقات التي تربطه بالدول الصغرى أو الكبرى.

(1) برهان غليون : اغتيال العقل 25 (دار التنوير. ط الاولى 1985).

(2) برهان غليون : اغتيال العقل 36.

ولم تكن الثقافة خارج الخطاب الرسمي بأكثر من ثقافة معارضة تبحت بدورها عن الخروج من المأزق وتلتسمه في غير السبيل الذي تنتهجه السلطة. وهذا كله أفضى بالثقافي إلى أن يرتهن ارتهاناً جبرياً بالسياسي مسائراً له أو مناهضاً، وظلت الثقافة تتحرك على اعتبار أنها جواب للسياسة أو رد فعل لها، تبرير لأعمالها أو كشف لممارساتها، باختصار ظلت الثقافة تتحرك أو تُحرَّك من خارجها.

وإذا ما نظرنا إلى واقع عالما العربي اليوم والخليج جزء لا يتجزأ منه، فإن بإمكان نظرة عجلَى أن تكشف سوء ما آل إليه من فجيرة في كل ما كان يطمح إليه ويخطط له على المستويين الرسمي والشعبي. تلك الفجيرة التي يختصرها الدكتور منذر عنبتاوي حينما يقول «كل تراجع رسمي عن الأهداف الكبرى وإكبيه تضاؤل شعبي في التمسك بها، فقد تقزم هدف الوحدة الاستراتيجي، دولة الوحدة الكبرى، إلى أن أصبحت المحافظة على جامعة الدول العربية هي غاية المني، وتقزمت الأهداف المرحلية من وحدة الهدف إلى وحدة الصف إلى التضامن العربي ومنها نزولا إلى وحدة الصمود والتصدي إلى أن أصبح الصمود وحده أملا يداعب الخيال، أما مجتمع الكفاية والعدل الذي حلمنا به طويلا فقد تحول إلى مجتمع استهلاك لا كفاية فيه ولا عدل ولا بقاء فيه إلا للأقوى والأكثر ثراء أول من يعرف من أين تؤكل الكتف... مجتمع أصبح فيه عدم استيراد الكازوزة والسجائر مطلباً وطنياً، ولا داعي بعد ذلك لبيان ما أصاب هدف تحرير فلسطين من تشويه وتقزيم بعد وصول الجحافل الاسرائيلية إلى ابواب أكثر من عاصمة عربية» (١).

وأدت كل تلك الانكسارات إلى استمرارية الجدل القائم بين المثقف والسياسي غير أنه جدل قائم على تبادل التهم، ففي الوقت الذي راح فيه المثقف يدين السياسات التي أفضت إلى كل تلك الهزائم ويعزو غيابها عن أداء دوره إلى ما فرض عليه من عزلة تنامت في ظل غياب الديمقراطية وانعدام المشاركة والتفكير لمبدأ الشورى. في هذا الوقت أخذ السياسي يتشكك في طروحات المثقف وينظر إليها على أنها مصدر إخلال بالأمن والاستقرار، ويتهم المثقف بالخروج عن دوره كمثقف ومحاولة التلبس بدور السياسي.

(١) د. منذر عنبتاوي : دور النخبة المثقفة في تعزيز حقوق الإنسان العربي. كتاب (الديموقراطية وحقوق الإنسان في الوطن العربي) ص 278. مركز دراسات الوحدة العربية. سلسلة كتب المستقبل العربي (4) ط الأولى 1983.

في هذا الجو الذي يعج بغبار الهزائم والتهم وتلتبس فيه الحقائق وتختلط الأدوار طرحت مسألة الابداع باعتباره وسيلة من وسائل النضال وأداة من أدوات التغيير قبل أن يكون تجلياً للمقدرة الانسانية على الخلق والابتكار ومضماراً لتألق الروح في شوقها للمطلق والمستحيل.

وفي هذا الجو كذلك تم النظر إلى منجزات الابداع انطلاقاً من الدور الذي يمكن أن تؤديه فأدينت بعض هذه المنجزات انطلاقاً من أنها لم تكن متجاوبة مع ما تقتضيه المرحلة التي تعيشها الأمة من تجنيد كافة مقدراتها لذود الخطر المحيق بها، وكذلك كرست بعض النماذج الابداعية لما التمس فيها من مضمون ساخط أو ثوري أو لأنها نتاج لرجال عرفوا بالسخط أو بالثورة.

يختصر الدكتور الرميحي هذه النظرة الى الابداع في قوله :

«إن الابداع ليس هدفاً بذاته وإنما هو وسيلة ضمن وسائل أخرى تهدف جميعها إلى تقدم الأمة ورفيها وإلحاقها بركب الحضارة المعاصرة، والابداع في ذلك مبشر بالتغيير وناقد للقائم وجالب للبديل الأفضل»⁽¹⁾.

وهكذا نرى أن السؤال عن الدور جاء سابقاً على السؤال عن الماهية، والسؤال عن الدور في جوهره ينصب على المضمون وإمكانية تجنيد هذا المضمون في عمليات «التبشير بالتغيير ونقد القائم وجلب البديل الأفضل» ولذلك كانت الاجابة على هذا السؤال هي تكريس ما عرف في الخليج بالكتابة الواقعية في مختلف فنون الابداع، وبعيداً عن تقويم السؤال أو تقويم الاجابة فإننا سوف نكتفي بإشارة، لكم أن تعتبروها عابرة، وهي أن السؤال عن غاية الابداع حينما يجيء سابقاً على السؤال عن ماهيته فإن من حقنا عندئذ أن نضع علامة استفهام وتعجب حول الاجابة وان لم نستطع الطعن في صحتها. بإمكاننا أن نختصر المسألة بأن نقول إن الكتابة الواقعية هي الاجابة الحتمية على سؤال لنا ان نشكك في شرعية أولية طرحه على أقل تقدير.



(1) مجلة التعاون : السنة الأولى، العدد الأول، يناير 1986م ص 114، (الامانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية).

وإذا ما نظرنا إلى هؤلاء المثقفين الذين تداولوا هذا السؤال ثم تداولوا إجابته، ولنبدأ منذ الآن في توضيح دائرة بحثنا وقصرها على الخليج العربي، إذا ما نظرنا إلى هؤلاء المثقفين فإننا نجدهم ينتمون إلى الطبقات الشعبية التي تكون القاعدة الاجتماعية للوطن العربي، هذه القاعدة التي ظلت منعزلة أو معزولة عن أدق وأجل القرارات والأحداث التي تتحكم في مصيرها وتوجه مستقبلها فهي متلقية للأحداث متأثرة بها أو مستفيدة منها في أحسن الأحوال دون أن تمتلك أدنى فرصة للمشاركة في صنع القرار أو إبداء الرأي، وبعيداً عن الدخول في متاهة ما إذا كانت هذه القاعدة مؤهلة لاتخاذ قرار أو للمشاركة في صنعه أم لا، بعيداً عن هذه المتاهة، فقد أحس المثقف المنتمي إلى هذه القاعدة انتماء وثيقاً أن من حقها عليه أن يكون اللسان المعبر عنها على اعتبار أنه يمتلك القدرة التي لا تمتلكها أو الفرصة التي لا تتاح أو الجرأة التي لا تقدم عليها، والعلاقة بين هذا المثقف وبيئته أشبه ما تكون بعلاقة عشائرية تجعل من الابداع وسيلة من وسائل رد الدين أو الوفاء بالمعروف، وتجعل من المثقف الجديد لسان حال الجماعة والمجسد لأفراحها وأتراحها.

وهذا يعني أن النظرة إلى لغة الابداع سوف تُرصد من زاوية وفائها لنقل واقع هذه الجماعة ومقدرتها على تصوير أحوالها، وكشف ما تعانيه من تخلف أو ترزح تحته من ظلم أو يعتلج في داخلها من سخط وغضب، والنظرة إلى لغة الابداع من هذا الجانب من شأنها أن تجعل الكتابة الواقعية هي النموذج الذي ينبغي اعتماده للوصول إلى الكتابة التي تقتضيها المرحلة وتستوجبها الظروف.

ومن هنا نلاحظ أن السؤال الاجتماعي يفضي بدوره إلى تبني الكتابة الواقعية، والتي من شأنها عندئذ أن تجد صدًى طيباً لدى الوسط الاجتماعي نفسه على اعتبار أنه إنما يقرأ فيها نفسه وأنها تعبر «تعبيراً صادقاً» عن معاناته، وبذلك يتحقق للمثقف نوع من الرضا عن النفس المنبثق عن إحساسه بأداء ما يستوجب الانتماء عليه، دون ملاحظة أن الابداع هنا إنما تحرك أو حرك من خارجه، وأن الرضى الذي تحقق إنما جاء من خارج المسألة الابداعية أيضاً.

وقد ساعدت على ذلك العوامل المختلفة التي تعرضت لها هذه الطبقة الشعبية فخلخلت تماسكها وأفضت في نفس الوقت إلى زعزعة القيم التي كانت

ترتكز عليها وذلك في ظل خطط تنموية انصبت على الاعتناء بالجانب المادي بحيث انتهى الحال بالمجتمع الخليجي إلى الوضع الذي بإمكاننا أن نستشهد عليه بما جاء في مقدمة مشروع خطة التنمية الثقافية في دول مجلس التعاون والتي تبناها المفكرون والمثقفون الذين شاركوا في ندوة العمل الثقافي المشترك المنعقدة في الرياض في مارس 1986م، جاء في مقدمة المشروع :

«إن منطقة الخليج العربي تعيش فترة اقتصر فيها التنمية على المظاهر المادية من مشاريع اقتصادية ومصانع وطرق ومزارع وعمران وما إليها، وبالرغم من وفرة ما تحقق للمنطقة في هذا المجال فإن ما حققته ثقافياً لا يزال بعيداً عن التنمية الشاملة القادرة على الاستمرار واسعاد الانسان، كما أن ما تحقق ليس في غالبيته الا مظاهر مادية طارئة تيسرت بفضل تدفق النفط ويزول معظمها بزواله ما لم تأخذ الثقافة مكانها في التنمية من خلال النظام الاجتماعي والتعليمي والاعلامي، لأن فصل الثقافة عن تلك النظم سينتج عنه تصدع في الفكر والابداع والعطاء العلمي» (1).

ما يعيننا الآن هو أن المجتمع الذي يتعرض لمثل هذا الضرب من التنمية من شأن معاناته أن تشكل إغراء للمبدع بحيث تصبح مسألة رصد دراما المتغيرات في حد ذاتها مادة جيدة للكتابة، والنقل الحرفي لها حجة جيدة لادانة وضع من الأوضاع والمطالبة بتغييره.

فإذا ما أضفنا إلى كل ذلك أن الواقعية تتكىء على ايدولوجيا ظلت مرفوضة من قبل الخطاب الرسمي مواجهة من مختلف أجهزته بحرب اعلامية لا تمنح هذه الايدولوجيا حقها من الدرس والنظر الموضوعي أو حتى الرفض المبني على الفهم والبحث العلمي، إذا ما أضفنا إلى كل ما سبق فإن بإمكاننا ان ندرك الاغراء الذي تشكله هذه الايدولوجيا للمثقفين الذين يقفون موقف الانتقاد من الخطاب الاعلامي السائد ويبحثون في ضوء التحديات التي تواجه المنطقة عن خطاب بديل من شأنه ان يشكل حلاً مقترحاً للخروج من المأزق الحضاري الذي انتهت إليه الأمة. يساعد على ذلك اتسام الخطاب الاعلامي على المستوى الثقافي بسممة تكريس الوضع الراهن والتعامل مع المستقبل بمنظور طوبائي يغض النظر عن كل المثالب التي تتسم بها الأوضاع الحالية وكذلك ما يعانيه

(1) مجلة التعاون ع 6 شعبان 1407 هـ .

هذا الخطاب من عزلة عن حركة الثقافة العالمية وما انتهت إليه من انجازات في مضمار العلوم الانسانية وانكفائه على نفسه في محاولة استلهاام الماضي لوضع حلول لمأزق الحاضر وخطط لتطلعات المستقبل الثقافية، مما أفضى به إلى الانفصال عن حركة الثقافة العالمية من جهة وعن الوضع الراهن للواقع الثقافي من جهة أخرى.

ندرك من هذا كله أن الواقعية لم تكن سوى التمظهر الكتابي لفلسفة تحاول طرح البديل ودعمه بكافة السبل بحيث يصبح الابداع مجرد «وسيلة من وسائل أخرى تهدف الى تقدم الأمة» على حد تعبير الدكتور الرميحي السابق.



في ضوء ما سلف نستطيع أن نفهم كيف أن الكتابة الواقعية ظلت هي المأل الحتمي الذي تنتهي إليه الكتابة في ظل الظروف التي تشكل الوضع الثقافي في المنطقة ولذلك ظل هذا النموذج من الكتابة يسيطر على كتابات الجيل الجديد وتزداد سيطرته حينما يجدون المؤازرة والتأييد والاشادة من كتاب ونقاد همهم إذكاء حس الانتقاد للوضع السائد لدى الأجيال الجديدة وتجيش أكبر قدر ممكن ممن يحملون في باخلهم حس الانتماء للجماعة ويضطلعون بالتعبير عن همومها حتى بات من المألوف أن نهتف لنص من النصوص لا لشيء الا لأن كاتبه امتلك الجرأة فقال ما لا نستطيع أن نقول أو صرح بما نكني عنه. مع إدراكنا أن ذلك يشكل خطرا على أدبية الخطاب وإن انتهى إلى شيء فإنما ينتهي إلى تكوين خطابي سياسي معارض وليس فنا إبداعيا.

وامتد التأثير إلى الكتاب الذين انطلقوا في تجاربهم الابداعية من إدراك واع لطبيعة العمل الابداعي واستطاعوا من خلال هذا الادراك أن يسهموا في تطوير الحركة الأدبية في مناطقهم وذلك من خلال أعمالهم وآرائهم، وتجلى هذا التأثير في تغير نظرتهم النقدية من ناحية وتغير طبيعة الكتابة لديهم من ناحية أخرى فأعلن بعضهم إدانته لمرحلته السابقة واكتفى بعضهم الآخر بأن ترك لأعماله إعلان هذا التحول.

ولعل من أهم مظاهر هذه الكتابة في الشعر طغيان النزعة المباشرة والتقريبية، وانغلاق الشعر على الموضوعات المتعلقة بالثورة والنضال والتحرير

والتغيير وغياب الحس الانساني الذي ينفث على جمال الوجود ويحاول سبر أغوار النفس الانسانية، وكشف امكانات اللغة وتحولات الأشياء مما دفع شاعراً كمحمد جبر الحربي ذات يوم أن يصرخ :

(أصبح من الصعب أن تكتب عن عيين جميلتين لأنك تريد ان تكتب عن عيين جميلتين، هاتان العينان الجميلتان فيما لو كتبت إما أن تتحولاً بقدرة قادر وعلى طريقة بعض مثقفينا الذين يحملون النصوص ما لا تحتل إلى عيين فلسطينيتين أو جنوبيتين أو.. أو.. يسقط النص ويسقط الكاتب لأنه تجرأ وتحدث عن عيين جميلتين.... هم لا يحكمون على القيمة الجمالية، والجدة في النص، إلى غير ذلك من المسائل المهمة، أو هم لا يسعون إلى ذلك فكل ما يحتاجونه إخراج بطاقة مما يحفظ عادة في الجيب لتتحول المسألة إلى صراخ تعودناه)^(١).

والبطاقات التي يشير إليها محمد جبر الحربي هي تلك التهم الجاهزة التي أصبح من السهل إلصاقها بمن يخرج عن قائمة الموضوعات التي هيمنت على الشعر، فقد أصبح من المألوف في أوساطنا الثقافية أن نتهم مبدعاً بالذاتية والارتكاس نحو الرومانسية والانفصال عن الهم القومي والمشاركة في تغييب الوعي وأصبح تعميدنا للمبدعين مرهوناً بمدى ما تنطوي عليه كتاباتهم من قدرة على (تصوير الواقع المأساوي)، وتحريك الحس النضالي لدى الطبقات الشعبية.

(١) مجلة اليمامة ع 873 س 34 في 1406/1/18 هـ

وقد أفضى ذلك كله إلى ظهور ضرب من الكتابات المتشابهة تدور في فلك موضوعات متقاربة وتتداول معجماً واحداً وتتحرك نحو غاية واحدة.

وأصبح القارئ هو الشبح المهيمن على العملية الابداعية، فالمبدع مسكون بهاجس التعبير عنه في البدء، ومسكون بهاجس الوصول إليه في الخاتمة.

ولعلنا ندرك من خلال ذلك السياق الثقافي المؤلم الذي كتب فيه الأستاذان قاسم حداد و أمين صالح بيانهما (موت الكورس) وسر تلك النبذة الحادة التي اتسم بها ذلك البيان حينما راح يتحدث عن السؤال عن القارئ ذلك السؤال الذي أصبح سؤالاً سلطوياً في وسطنا الثقافي. يقول بيان الكورس :

«لا يعيننا القارئ الذي مثل الأعمى، يسألنا بعد كل خطوة عن المعنى والمغزى، هذا القارئ سناخذه برفق، وفي صمت، إلى أقرب مأوى للعجزة.... لمن نكتب ؟ سؤال داعر، خبيث، جبان يدعو ضمناً إلى القبول والامتثال، إلى المهادنة والتملق، إلى كبح كل خروج عن المألوف، سؤال لا يعيننا بأي شكل من الأشكال ولا نحترم من يطرحه. نعلن موت الكورس»⁽¹⁾.

ولعل حدة النبذة في هذه الفقرة واقتناص اسم البيان منها يؤكد لنا أنها هي الفقرة الأساسية والمركزية التي تتبني عليها الرؤية فما لم نتخلص من شبح القارئ وسلطوية السؤال عمن نتجه إليه بكتاباتنا لن نستطيع أن نتحدث عن التجريب واكتشاف الأشكال وتميز الرؤى وسوى ذلك مما انطوى عليه البيان.

إن تلك النبذة الحادة التي اتسم بها البيان لا يمكن لنا أن ندرك سرها إلا في ضوء السلطوية الاجتماعية التي بدأت تهيمن على الابداع متلبسة برداء مراعاة القارئ ومستواه الثقافي والتي تجلت في الحملة العنيفة التي واجه بها مجموعة من الأدباء هذا البيان وعدوه هروباً من مواجهة المسؤولية التاريخية الملقة على عاتق المبدع.

في ظل هذه السلطوية التي أخذت طابعاً معيارياً صارماً أوشك المبدع أن يستحيل هو نفسه إلى صوت شاحب، يردد ما يراء منه ترديده وما يضمن مباركته قبل كتابته وتأيينه قبل دراسته حتى صار المبدع رقماً او فرداً في كورس ضخم يردد مقاطع محددة من نشيد وطني ميزته الوحيدة أنه نشيد وطني معارض للصياغة الرسمية لذلك النشيد. ومن هنا أصبح من المألوف الخلط بين الكتابة والثورة على نحو من شأنه أن يفقد كلا منهما وظيفته فتتداخل الأدوار وتختلط الأوراق، وأصبح القارئ ينتظر الثورة والحلول والتغيير تخرج من بطون الكتب لينام رائق الذهن على سرير مريح على حد تعبير بيان (موت الكورس).

وقد ألمت الكاتبة السعودية رجاء عالم بهذا المأزق الذي انتهى إليه مفهوم الابداع فكان موضوعاً لمسرحيتها «الموت الأخير للممثل» والتي حرصت على إهدائها «الى الخارجين عن النص» ذلك النص الذي أصبح سيقاً جبرياً يملئ شروط الابداع ويصنف موضوعاته ويحدد خصائصه وأساليبه ويقوم بناء على ذلك

(1) أوراق : ع 19، 23 يوليو 1985 ص 12.

مبدعيه والذي أصبح عمودية جديدة تحتاج الى مجاهدة غير يسيرة وشجاعة غير قليلة للخروج عنها.

في هذه المسرحية يصبح المبدع السائد مجرد ممثل يتلبس أدوار البطولة أو تتلبس به أدوار البطولة دون أن يكون له وجود حقيقي :

في الفصل الثاني من المسرحية يدور هذا الحوار بين ممثل شمشون وزرقاء اليمامة :

«زرقاء اليمامة : أنتَ شمشون؟

ممثل شمشون : أنا ... (يصح بعد تردد).. ممثل شمشون ..

زرقاء اليمامة : وأنتَ ؟؟

ممثل شمشون أنا... ؟ (متلعثماً) أنا ... ممثل..

زرقاء اليمامة : هذا ليس اسماً ولا هوية.. (يحدق فيها بحيرة.. تلح عليه) حين تخرج من هنا .. ما تكون ؟.

ممثل شمشون : (بدهشة) ما أكون ! (يستدرك) أنا ممثل .. بين العروض أنا... لا أجد ... (يقطع حديثه فجأة ويحدق فيها بخوف) ماذا تريدان بمجيبك هنا ؟؟.

زرقاء اليمامة : (بهدهوء) أريدك أنتَ .

ممثل شمشون : (بدهشة) أنا ؟! (يضحك مضطرباً) لكنني لا أستطيع التعاقد مع فرقة أخرى.. عقدي هنا ...

زرقاء اليمامة : أنا لا أريد عقداً ..

ممثل شمشون : (بحيرة) لا أفهم .. ما الذي تريدينه إذا ؟!

زرقاء اليمامة : أنا ؟ أشعربي كما الحلم الطارىء، يحتاج جذراً يوطئه .. أنتَ ، جذورك ضاربة في الأرض هناك، وكفيلة بطرد هذا الجاثم فينا.. إلآم تحمل عقمك، وأحمل خفتي وتتوزعنا الطرق؟ لِمَ لا تفهم كم نحن بحاجة إليك لتفجير هذه الخشبة بالحياة؟.

ممثل شمشون : مهلاً .. أنت تفسدين كل شيء.. هذه الخشبة ؟! أنا أفجر هذه الخشبة ؟!

زرقاء اليمامة : وكل الأخشاب في الخارج ..
ممثّل شمشون : غباء .. غباء.. على هذه الخشبة أعيش .. أصرخ بكل صوتي ..
زرقاء اليمامة : وماذا تقول ؟ (يحدق فيها، تعود لسؤاله) تصرخ بماذا ؟ هذا هو
المهم ...

ممثّل شمشون : أدوار عظيمة بالطبع .. (تنظر إليه بشك، ينفجر شارحاً) أنا هنا
صوت المناضلين ، الكاچين، صوت البؤس .. والوجود الحقيقي.

زرقاء اليمامة : ووجودك الحقيقي ؟ متى تكون ما تريد ؟
ممثّل شمشون : على الخشبة طبعاً ...

زرقاء اليمامة : على الخشبة تردد ما كتبه الآخرون .. لكن، ماذا عما تريد قوله
أنت ؟.

ممثّل شمشون : لست مؤلفاً ...

زرقاء اليمامة (مقاطعة) متلبس أنت بالتمثيل .. من دور لدور ل ...

ممثّل شمشون (بحدة) ولم لا ؟!

زرقاء اليمامة : أنت الصدى إذأ... لا أنت الذي ثار ولا الذي استسلم .. ولا الذي
عرق ولا الذي عاش ومات ..(1).

وإذا كانت مشكلة الشعر قد تجلت في طغيان الصبغة الشعرية عليه
وانغلاقه على موضوعات محددة وتداوله لمعجم شعري أوشك أن يكون محدد
الألفاظ محدود التراكيب وما يستتبع ذلك من غياب لتمييز الشعر من حيث هو
محاولة من أجل استكشاف المجهول وسبر أغوار الغيب وكسر المألوف وتجاوز
المعتاد واقتدار على الدهشة وتمثّل للحرية في أقصى مراتبها.

إذا كانت مشكلة الشعر هي هذه فإن مشكلة الكتابة القصصية والروائية أنها
راحت تلهث وراء رصد الواقع وتسجيله متبينة التعبير عن الهموم الاجتماعية
مدعية فضح الممارسات التي يواجه بها هذا المجتمع والكشف عن التمزق الذي

(1) رجاء عالم : الموت الأخير للممثل 61 - 63 (دار الآداب . بيروت ط الأولى 1987).

يعاني منه نتيجة الأوضاع الاقتصادية والسياسية والثقافية التي يمر بها، وهي إذ اضطلعت بذلك فإنها لم تستطع أن تصنع منه إبداعاً حقيقياً في تمثل دراما هذا الصراع بل وقفت عند حدود التسجيلية التي تجتهد في رصد العادات والتقاليد والأحداث والحكايات الشعبية وأساليب الحديث اليومي مضحية في سبيل ذلك بالكتابة على اعتبار أنها قدرة على الخلق، خلق الرؤى وخلق الأشكال.

يقول القاص السعودي عبد العزيز مشري، وهو القاص الذي ألفنا في محيط المثقفين السعوديين على دعوته بالقاص الواقعي، يقول في حوار أجري معه متحدثاً عن تجربته القصصية وما طرأ عليها من تحول سبقه صمت طويل ومراجعة للعلاقة بين المبدع ومجتمعه :

«قادنا هذا في النهاية إلى كتابة قصة تقرأ فتفهم .. قصة تكتب من أجل أن يكون جوهرها هو الذي يتحكم في شكلها وليس العكس .. كل هذا كان ضمن روافد تشكلت حول معنى الأدب ومعنى الكتابة ومعنى أن تعصر ذاتك من أجل أن تقدم شيئاً للناس، وهؤلاء الناس محتاجون أن يفهموا لماذا تقدم هذا، ومن أجل ماذا وكيف تقدمه».

وحينما يسأله محاوره قائلاً : «ألا ترى أن هذا تضحية بالكتابة؟» يكون الجواب صارماً وواضحاً وصادقاً فيقول المشري «نعم، قد يكون تضحية، ليس على حساب تجربتك الفكرية فقط، إنما على حساب كل كيائك.. هو كفاح مع الذات قبل أن يكون أمام من يجابه هذه الذات المتطورة»⁽¹⁾.

والتضحية بالذات المتطورة ومقاومتها خطاب ثقافي لا يقل خطراً وميكافيلية عن الخطاب السلطوي الذي يستهدف قمع ومقاومة أي تمييز وخروج عن السياق والمألوف الذي من السهل التحكم فيه والسيطرة عليه.

والتضحية بالكتابة هي النتيجة التي بإمكاننا أن نخرج بها فيما لو درسنا النتاج الإبداعي لمثل هذا الضرب من التوجه الذي يتأسس على تجاهل الفرق بين الواقع واستطبيقا الكتابة باعتبارها خلقاً قائماً بذاته يستهدف أول ما يستهدف تدمير عناصر هذا الواقع لخلق وجود آخر أقل ما يقال فيه إنه مفارق أو

(1) مجلة اليمامة : ع 872 في 11/ محرم 1406 هـ.

مغاير بحيث تمنحه هذه المفارقة أو المغايرة مشروعية وجوده فلا يغني عنه شيء سواه.

ان الكتابة حينما تتخلى عن كونها كتابة ويصبح جلّ همها مطاردة العالم الخارجي واقتناص خصائصها من خصائصه وقيمتها من الحفاظ عليه وتسجيله فإنها عندئذ تتركس إلى جاهزية التعبير وعادي الصور ومألوف التراكيب مرصعة نفسها بشيء من التحسين والتزيين كمحاولة ماهيتها عن طريق المبالغة في الاستقصاء والمبالغة في التصوير والنقاط اللهجات العامية وترصيع ذلك كله بمسميات الأشياء والعادات والتقاليد والألقاب والكنى مؤسسة ذلك كله على وهم البحث عن الخصوصية.



أيها السادة :

اسمحوا لي أن أقول إن الكتابة لدينا في الخليج مهددة ومصدر تهديدها هو غياب التصور الحقيقي لمفهوم الابداع ودور المبدع وعلاقته بواقعه من جهة وقارئه من جهة أخرى، وقد اختلطت الأوراق وتداخلت الوظائف فأصبحنا نفتنح من الأدب بما ينطوي عليه من مضامين تظل مهما تعددت محدودة، ووظائف تبقى مهما سمت قاصرة.

وللخروج من هذا المأزق على مبدعينا أن يدركوا دورهم الحقيقي وأن يسعوا جاهدين إلى تطوير أدواتهم بدل أن يرهنوا أنفسهم لجمهور قراء يعاني من نسبة للأمية مرتفعة، وأجهزة تعليمية وإعلامية تحاول اقناعه بقبول ما هو سائد ومألوف ومتعارف عليه، أو أن يرهنوا كتاباتهم لوظائف هي مهام أجهزة أخرى يختلف دورها عن دورهم، على مبدعينا أن يفرقوا بين وظيفتهم الابداعية ووظيفتهم التعليمية والإرشادية. وإذا كان لهذا المجتمع من حق علينا فإن لآفاق الفن العليا وتشوق الروح نحو المطلق حقاً علينا كذلك، وبوسعنا أن نناضل في سبيل هذا المجتمع وأن ننحني بأنفسنا من أجله، غير أن لذلك سبله التي نعيها جميعاً ولا نفعل ذلك فإننا سنظل أشباحاً لمناضلين وأشباحاً لمبدعين ثم لا يثمر نضالنا شيئاً ولا يثمر ابداعنا شيئاً.

جده 1408/4/20 هـ

م 1987/12/11

عن الكتاب الادبي في الخليج العربي

الدكتور : علي جواد الطاهر

مقدمة :

الخليج المقصود، معروف، هو الخليج العربي، وهو عربي بما دار مداره من سكانه منذ الزمن القديم وعلى مر التاريخ، وتزداد التسمية صحة في الحاضر والمستقبل ما يزداد اهله من يقظة وسعي جاد، وبما تراه منطقته من اهمية، حتى بعيدا عن التعصب القومي ولم التعصب اذا وضع الامر كما يقتضي الواقع والعقل والمفهوم الصحيح للقومية والحضارة.

وتأخذ الاقطار العربية مدار هذا الخليج اسماءها في نطاق الوطن العربي : العراق، الكويت، السعودية، البحرين، قطر، الامارات المتحدة، عمان.

هي سبعة أقطار. ولا بد من ذكر قطر آخر هو عربي بأهله وبأرضه يتصل اكثر ما يتصل بالعراق. هو الاحواز يتمم العراق في جنوبه الشرقي والى الغرب من شط العرب وقد سمي مرة بخوزستان ومرة بعريستان ومرة بالاھواز، والمعنى واحد من حيث هو قطر عربي. ولا بد من ان ينال الاحواز حقه في الحياة بأي معنى من معاني السياسة. واذا كان موضوعنا الكتاب، فالاحواز جزء لا يتجزأ من هذا الموضوع لما لقطره في الكتاب من ضلع ولما يجب ان يعاد اليه من حق طبيعى له فيه.

بين هذه الاقطار الثمانية تشابك كثير في أشياء تضيء عليها طابعا من التميز يسهل الدرس دون ان يجعلها وحدة مغلقة تعزلها عن الوطن الكبير ودون ان يعزل شؤون الكتاب العربي وأدبه. ان الاقطار الثمانية جزء من كل، وغاية ما يطلب من طابع التميز محور ييسر مهمة الباحث لرباط جامع ضمن الرباط الاجمع، بل إننا، ومن أجل هذه الحاجة المنهجية سنكتفي من العراق بالبصرة، ومن السعودية بالمنطقة الشرقية وإننا من اجل هذا التيسير اقتصرنا – ما أمكننا – الاقتصار – على الكتاب الادبي.

وترجع سمات من وحدة الطابع الى زمن موغل في القدم، ويكفي دليلا على ذلك هذه الآثار التي يكشف عنها الحفر والتنقيب فرجعت القرابة الى الوف السنين قبل الميلاد من العهد السومري وما قبله وما بعده – ويبقى علينا واجب الجد في التنقيب وتوسيع دائرته الجغرافية.

وكان العراق من اكثر المواقع ظهورا في التنقيب، فعرفنا فيه ما عرفنا من أمر الخط المسماري والكتابة على الطين، وعرفنا الاساطير والملاحم وكلكامش خاصة ... وهذا يشير الى الكتاب بمعنى من المعاني، ويشير كذلك الى امكان الزيادة، والى امكان الوصول الى اشياء من ذلك في غير العراق من التاريخ القديم.

ثم تتوالى العصور قبل ظهور الاسلام وبعده على اختلاف من الاسماء..

واذا مررنا عابرين على ما سمي بالعصر الجاهلي على الرغم ما فيه من شعر وخطابة ودلائل الكتابة والكتاب، وعلى ما كان معروفا من شعر وخطابة وكتابة في عصر الاسلام ومعها قبائل تنتقل او تقيم ومدن تستوطن او تشيد... ومن ذلك البصرة، فلا بد من نص خاص على القرآن الكريم كتاب العرب والمسلمين كلهم، وكتاب الخليج كذلك ودون شك.

ويرجع النص هذا خصوصا على ما استلزم القرآن الكريم من درس وتنوع في مواد ذلك الدرس متصل بما استدعت الاسباب من فكر وأدب.. وكتاب. وكان فيما كان مجد البصرة الفد – والبصرة خليجية، هي عين الخليج، والمربد عينها – ان شئت. وهي موئل عزيز للكتاب والادب تولى درس تاريخ الحضارة العربية – الاسلامية بيانه وما زال مجال ينتظر الباحثين درسا وتحقيقا وتنقيا عن الضائع.

ولا يمنع المرور العابر باحثا في شؤون الارتباط المبكر بين ابناء الخليج في أمر الكتاب - على الأقل - من ذكر للخليل بن أحمد الفراهيدي - وهو أشهر من ان يعرف في عالم الفكر والادب واللغة.. أو الكتاب. ويكفي - فيما يكفي - انه صاحب (كتاب العين). واذا تأخر تحقيق (كتاب العين) ونشره اكثر مما يجب، فقد استدرك العراق ذلك الفائت فأصدر هذا الكتاب الجليل محققا في ثمانية اجزاء، ولا بد من اذاعة هذا الخبر.

والخليل بن أحمد بصري، وربما وصف بالبصري، وهو فراهيدي يحمدي، والفراهيدي بطن من الازد، ويحمد بطن من الازد، والازد هم ازد شنوءة من تميم وكانت مساكنهم في عمان. واذا كان الخليل صاحب (العين) فهو صاحب لكتب اخرى غير العين في العروض والايقاع ورسم الحروف وهو الذي (ابعد بدائع لم يسبق اليها).

ثم أنه استاذ سيبويه، وقد قدم سيبويه من شيراز الى البصرة فلزم الخليل، ثم صار - من بعده صاحب (الكتاب) الذي عرف بالكتاب فقط، وما كان ليكون لولا الخليل فهو كتاب الخليل كما هو كتاب سيبويه، ومن سيبويه لولا عرب الخليج، وعرب شيراز وشيراز من الاحواز بوجه من الوجوه اذا نظرنا الى خارطة اليوم او انها قريبة منها في ابعاد الحدود. كيف لا، ومن سيراف التي هي منها على الخليج شرقا، ومن سيراف - خرج فيمن خرج - السيرافي ابو سعيد الحسن بن عبد الله صاحب كتاب اخبار النحويين البصريين وقد تعلم وعلم ما بين سيراف وعمان وعسكر مكرم - والبصرة.

للكتاب في البصرة وحدها تاريخ ينهض على اعلام الخليج تفسيراً وفهما وحديثاً وفكراً ولغة ونثراً وشعراً - والامر معروف في تاريخ الادب - من كان من ابنائها او من وفد عليها فصار منها معتزاً بها. ولا موجب لذكر جرير والفردق، والمربديين والمسجوبين وبيشار وابي نواس وابن المقفع والسيد الحميري.. ومن ينسى الجاحظ (القائل في الكتاب) مقولة الحضارة السائرة: «ونعم الذخر والعقدة هو، ونعم الجليس والعدة، ونعم النشرة والنزعة ونعم المشتغل والحرفة، ونعم الانيس في ساعة الوحدة، ونعم المعرفة ببلاد الغربية ونعم القرى والدخيل، ونعم الوزير ونعم النزيل (..) الكتاب وعاء ملئ علماً، وظرف حشي ظرفاً واناء شحن مزاحاً وجداً...».

كتاب البصرة هو كتاب العرب كلهم، والحضارة كلها، وقد تولت الدراسات والفهارس امره، ولن تقف منه عند حد، ونكتفي هنا بمثلين.

الاول : ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي البصري، ولد وترعرع في البصرة وانتقل الى عمان ثم عاد الى البصرة ثم عاش بفارس في كنف آل الميكالي – غير بعيد عن الخليج. وهو (عراقي كما هو عماني كما هو للعرب كلهم. نذكره – هنا لظاهرة التشابك ولعملين شهيرين جدا من آثاره هما : (الجمهرة) و (المقصورة).

الثاني : ابو العباس محمد بن يزيد الازدي، منحه أزدشنوءة في عمان الى البصرة ومنحته البصرة الى بغداد ويكفي لذكره كتابه الكامل في الادب واللغة، وما كان له في بغداد مع ثعلب الوارد على بغداد من الكوفة..

نكتفي، ونمضي لان كتاب البصرة هو كتاب العرب كلهم، وكتاب الحضارة كلها وسيظل على مر العصور خلال قوتها وضعفها، لدى مجد بغداد، وفيما عرف بالفترة المظلمة وفي العهد الذي ساد فيه آل عثمان.. ويستأنف قوته لدى النهضة الحديثة، وعوامل بعث التراث ونشره وعوامل النهضة كلها وفيها البعثات والمطابع والصحافة والمدارس والجامعات والاستشراق.

ونعود الى الخليج .. ونبدأ بالبصرة (من العراق) – بعد النص على ان للكاتب بحثا مسهبا بعنوان (الكتاب الخليجي) نشر في مجلة (عالم الكتب) بعديها المخصصين للكتاب الخليجي (الرابع من المجلد الثالث، والاول من المجلد الرابع 1983/1403) وان الموضوع من التشعب والتعقيد بحيث يصعب ان ينهض به قلم واحد وان لا بد له لدى المطالبة بالاحسن من تضافر جهود تعمل على الملاحظة والتعليق وبيان الخطأ وتحديد الثغرات وزيادة ما يجب ان يزداد.

1 - (العراق - البصرة)

وفي البصرة، نلتقي - ونحن في العهد العثماني - بثلاثة - او اربعة - اعلام لهم مكانتهم ودلالتهم في التشابك الخليجي. وهؤلاء هم :

الشيخ عثمان بن سند - ولد في نجد وعاش مع ابيه في الكويت ثم وفد الى البصرة ومن البصرة الى بغداد (زمن الوالي داود باشا) ونذكر من مؤلفاته : اصفى الموارد من سلسال احوال الامام خالد. وسبائك السجد في اخبار احمد نجل رزق الاسعد واشهر كتبه : مطالع السعود في اخبار الوالي داود - بقي مخطوطا ولم يطبع الا مختصره.

وآل باش أعيان - وهم آل عبد السلام الكوازي العباسي، جاءهم اللقب منحة من السلطان العثماني. يهمننا من امرهم مكتبتهم العامرة، ودارهم منتدى الادباء وتوالي ابنائهم على التأليف ألف عبد الواحد - الذي تعلم على الشيخ عثمان بن سند - تاريخ البصرة وألف ياسين بلوغ المرام في مناقب الشيخ عبد السلام، وألف الشيخ عبدالقادر تاريخ الاسرة العباسية وثلاثة من الكتب مخطوطة تنتظر من يزيل عنها الصدا.

وآل الطباطبائي - واشهر من يذكر منهم السيد عبدالجليل وهو اديب شاعر ذو ديوان (طبع مرارا) أثره خارج البصرة اكثر مما هو داخلها، ومن هنا اقترن

بالزيارة (مع آل خليفة يوم كانت تابعة لحكام البحرين ثم انتقلت الى قطر) ولا
تعدم من نسب ولادته الى الزيارة هذه، واقترن بالبحرين وقد انتقل اليها مع آل
خليفة وبالكويت ويعد مؤسساً لحركتها الادبية.

ونذكر مع هؤلاء الثلاثة مؤلفاً رابعاً هو محمد بن خليفة النبهاني مكي اقام
برحلة الى البحرين وشرع يؤلف في البحرين عن البحرين، ثم جاء البصرة فبغداد
وحين جاء بغداد اشير عليه ان يجعل تأليفه عاماً لجزيرة العرب فاضاف اليه
زيادات وسماه (التحفة النبهانية في امارات الجزيرة العربية) نشر الجزء الاول
منه في بغداد .. واراده في اثني عشر جزءاً صدر منها (في مصر) اجزاء :
البحرين، البصرة، المنتفك، الكويت – ولم تصدر الاجزاء الباقية ولعله لم يكتبها.

ويرد على البصرة اديب موصلي هو سليمان فيضي فيكون عاملاً في النهضة
وعلماً في التأليف ويشهد التاريخ فيه الانتقال من العهد العثماني الى العهد
العراقي، نذكر له – هنا – انشاء جريدة الايقاظ في العهد العثماني ثم تأليفه –
في العهد الجديد – الرواية الايقاظية، والتحفة الايقاظية في الرحلة الحجازية.

ونذكر من سعة حياته عمله بالمحاماة في المحمرة.. ومن مؤلفاته مذكراته
في (غمرة النضال).

اننا مع سليمان فيضي في عهد جديد من الفكر والتأليف والتجديد
الاجتماعي، هو عهد النهضة – ان شئت.

وقد اسهم معه آخرون قدموا الى البصرة من مدن عراقية فكانوا في خدمة
نهضتها كابنائها في الصحافة والطباعة والتعليم والفكر والادب وهؤلاء، أو من
هؤلاء : عبدالرزاق الناصري، وعبدالجليل برتو، وعبدالوهاب الامين، وخلف شوقي
الداودي ولهؤلاء فضل في التمهيد لجيل أكثر حداثة وادخل في الفكر والادب
والمنهجية وفضلهم جزء من فضل عام في تقدم التعليم والكتاب والسياسة
والادب.. وعوامل النهضة الاخرى. وسبل التدرج في الدراسة العالية وتعدى
اكثرهم مرحلة البكالوريوس (الليسانس) الى الدكتوراه. ونذكر منهم :

عبد الجليل الطاهر، نوري جعفر، فيصل السامر، علي الدياج، عبدالامير
الامين، عبد الامير دكسن، عبد الرزاق الهلالي، رزوق فرج رزوق، ابراهيم البصري،
نجيب المانع.

وجلهم - إن لم يكونوا كلهم - بصريون وقد اشتغلوا وبرزوا في فروع مختلفة من المعرفة والتأليف: الأدب، الاجتماع، التربية، الجغرافيا، التحقيق. واختص منهم عبدالامير الامين بشؤون الخليج حتى صار علما فيها وحجة بها. غير ما كان للآخرين من مقالات صحفية وبحوث ادبية وشعر وقصص وغير ما كان لمحمد القريني من ديوان شعر باسم (تغاريد الحياة) (1936).

يلحق بهم من الجامعيين من جيل تال محمد جبار المعيب في التحقيق خاصة وعناية بشعراء البصرة، ومن غير الجامعيين الهواة لدرجة التخصص حامد البازي.

ويحس الشباب بضرورة تكوين الكيان الادبي لمدينة الجاحظ وضرورة الاعراب عن الكيان الادبي في البصرة فينشرون الشعر والقصة ويكتبون المقالة ويؤلفون الكتب وفيهم - فيمن فيهم - من الشعراء خاصة بدر شاكر السياب وسعدي يوسف وزكي محمد الجابر. ويقرر الشباب الخروج من العزلة وبيان مفهومهم الادبي باصدار كتاب مشترك وقد صدر فعلا سنة 1956 بعنوان (مختارات من الادب البصري الحديث) جاء في مقدمته (في هذه الاعوام الحاسمة، المليئة بالاحداث، المتسمة بالطابع الجدي (٠٠) تبرز (٠٠) التجمعات (٠٠) ونحن في البصرة، مدينة النهر والبحر والاغنية نحس العلاقات الظرفية ونتمثلها ونحاول ان نبدا اشياء عنها، اشياء تتصف بالاصالة والعمق والخلق، ولهذا كانت دعوتنا الى الادب البصري الجديد تحمل خصائصنا والوان مدينتنا ذات - الانفساح والاشعاع، ان دعوتنا هذه لا تتصف بنوع من الاقليمية (٠٠) هذا الانسان، الانسان البصري (٠٠) نريد ان نؤدي واجبا من أجله (٠٠) وفي هذه (المختارات) حاولنا ان نمثل الحركة الادبية (الصاعدة) في البصرة (٠٠) ان هذه (المختارات) لأدباء شبان انها لم تفتح نوافذها الخضراء لغيرهم واطن السبب اننا نرتاد بقاعا مجهولة متوهجة حيناً ومظلمة حيناً آخر، ليست كتلك الغرف ذات الضوء البارد التي يقضي فيها شيوخنا اوقاتهم ونحبهم ..).

وقد ضمت المختارات شعرا ونثرا: لبدر شاكر السياب صاحب «ازهار ذابلة» و «اساطير» و «حفار القبور» و «المومس العمياء» و «الاطفال والاسلحة» وبالغ درجة نظم «انشودة المطر» وسعدي يوسف صاحب (القرصان) و (اغنيات ليست للآخرين) وعبد الجبار داود البصري صاحب (طريق الى ابي الخصب) وزكي

محمد الجابر ومصطفى عبدالحميد وعبدالحسين علي الشهباز.

وستزداد مكانة هؤلاء في الادب ويذيع اسمهم (عدا عبدالحسين علي الشهباز) وتتعدد مؤلفاتهم..

ولم يكن هؤلاء كل من في البصرة من شعراء وكتاب ولم يكونوا حلقة لم تتصل بهم حلقة بعدهم والعدد غير قليل نذكر في الشعر محمود البريكان.. وفي القصة مهدي عيسى الصقر ومحمود الظاهر ومحمد خضير وكاظم الاحمدي.. والقصاصون كثيرون بمجاميعهم وبالمجموعة المشتركة الصادرة سنة 1972 باسم (13 قصة) .. ولا ننسى محمود عبد الوهاب من الرواد وسميرة المانع وديزي الامير من النساء.. ومطبعة يوسف يعقوب حداد (وهو قاص) فيما ساعدت على الطبع.

ومناسب جدا ان يصدر كشاف خاص بالمؤلفين البصريين.. أو ابداع البصرة – في الاقل. ونعتذر بالقليل – هنا – عن الكثير وبالاجمال عن التفصيل وقد يعمل لنا الكشاف الاستاذ عبد الجبار عبد الرحمن (مؤلف فهرست المطبوعات العراقية).

ويبقى امر جامعة البصرة، وهو أمر مهم وقد افتتحت سنة 1964 ولها حسابها في تاريخ الكتاب وتاريخ الادب ولم تؤسس جامعة البصرة – اصلا – للبصرة وحدها وانما كان في أصل النظرة اليها الخليج كله يوم لم تكن جامعة غيرها على مدارها. وفي الجامعة – كما هو بديهي – كلية للآداب واخرى للتربية وتقدمت الدراسة فيها وكانت الدراسات العليا ورسائل الماجستير غير مؤلفات الاساتذة وانتظار درجة الدكتوراه.. غير المجلة وغير المطبعة.

ويذكر للجامعة من اهم ما يذكر مما نحن فيه تأسيسها (مركز دراسات الخليج العربي) سنة 1974 جزءا من رسالتها التي انشئت من اجلها وتوالت حينئذ الندوات والدراسات والمطبوعات من كل نوع في خدمة الخليج أولا.. وتعدى عدد المطبوعات رقم المئة والخمسين. واذا كان الهم الاول للمركز سياسيا، اجتماعيا، تاريخيا، عربيا، فان للادب من كل تلك مكانا ونذكر مثلا : الشعر والشعراء في الخليج العربي، شاعرات من الخليج، الصحافة البصرية، شعراء بصريون، والظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري من مشاهير اعلام البصرة، الاصمعي ناقدا ..

وتفتتح مجلة المركز – مجلة الخليج العربي – صدرها للموضوعات الادبية بمقدار صلتها بالخليج وقد تتسع قليلا.

واذا كانت جامعة البصرة رائدة في الخليج وكان انشاؤها حافزا لجامعات خليجية مناظرة فان انشاء (مركز دراسات الخليج) كان كذلك.. على اختلاف في الدرجة والبعد والقرب من التخصص.. ومثله المجلة.. ويذكر له خصوصا التفاهم مع المؤسسات المناظرة وقيام عمل (المركز) مثمر مشهود له مع مبادرات نادرة لمساعدة الباحثين وانا واحد منهم وقد اجابني عن كل سؤال وسهل لي الافادة من مكتبته غير هداياه من مطبوعاته القيمة انه في هذا قدوة، وبعد اتصال دائم ومنهج مشترك.

فالحديث عن الكتاب البصري يطول وابرز مقوماته الادب وقد دخله من زأول الادب في السبعينات والثمانينات.. وصار للبصرة فرع من اتحاد الادباء في العراق وقد يقوم بمهمة تأليف كتاب خاص في الموضوع.. مبينا ارتباطاته العامة بالخليج والادب العربي.

واذا ذكرنا للبصرة مربوها القديم وجب ان نذكر مربوها الجديد وقد عاد الى الحياة بوجه حديث منذ عام ١٩٧٠ يلتقي فيه الشعراء والادباء من كل مكان.. ويسجل ندوة للالقاء والسماع والنقد والمناقشة.. ويجمع جل ذلك في كتب.. ويتكرر الملتقى على مدد تقرررها وزارة الثقافة والاعلام.. وصار منذ عام 1985 سنويا.. وفوائده في عقد الصلات وتبادل الرأي وتقارب وجهات النظر.. غير قليلة.. ومن ثمرات ذلك – وخلال المربد السابع لعام 1986 كان الاتفاق بين امانة اتحاد الكتاب العرب واتحاد الادباء والكتاب (الناشء) في الامارات على عقد هذه الندوة ذات المحور الخليجي كما يفهمه ويعالجه خليجيون اولاً.

اما ما قيل وكتب وألف عن الحرب العراقية – الايرانية (منذ 1980) وللبصرة منه نصيب أكبر.. فكثير له بليوغرافيا خاصة به.

ونذكر – للفائدة واستكمال دلالة الباحثين – ان العراق يلتزم الابداع.

2 - (الكويت)

يتخذ الدارسون عام 1843 م، بدءاً للتاريخ الادبي الحديث في الكويت والعالم هو عام نزول عبدالجليل الطباطبائي فيها مهاجراً (اضطراباً) اليها من البحرين فكان نواة الحركة الجديدة وكان تلاميذه خالد عبدالله العدساني، والعدساني صديق ملازم للشاعر عبدالله الفرج.

ويسهم الشيخ يوسف القناعي والسيد ياسين الطباطبائي في حركة التعليم المدرسي.. ويتصدر عبد العزيز الرشيد لدى عودته من جولة في الآستانة والقاهرة واتصاله بمناهج الاصلاح، التيار الفكري فيلتف حوله الشباب الناهض : خالد الفرج، وخالد العدساني، واحمد البشر الرومي.. ومال اليه المتحررون فكروا امثال صقر الشبيب.. فتأسست الجمعية الخيرية والمكتبة الاهلية ثم تأسس النادي الادبي.. واصدر عبدالعزيز الرشيد مجلة (الكويت) وألف (تاريخ الكويت) - وسينتقل الرشيد الى اندونيسيا.. وخالد الفرج الى المنطقة الشرقية من السعودية.

كما ألف الآخرون ومنهم من طبع كتبه ومنهم من ابقاها مخطوطة ويذكر من الآخين محمود شوقي الايوبي - عراقي نزل الكويت فعلم وألف ونظم ونشر. تلحق بهم وجبة جديدة اكثر محاولة للتجديد في الشعر والفكر والتأليف شديدة الحماسة مخلصة للأدب منها : فهد العسكر، واحمد السقاف، وعبدالله

ذكريا الانصاري وعبدالله سنان، وفاضل خلف وعبدالله حسين وعبد المحسن الرشيد وعبد الرزاق البصير.. وأحمد العدوانى.. لهم المقالة والقصيدة والتاريخ والدراسة.

ونذكر منهم البعثة الى القاهرة وبيت الطلبة الكويتيين في القاهرة ونشاط ادبي من اوجهه مجلة (البعثة) ومسرحية شعرية الفها الطالب احمد العدوانى.. ونشرتها (البعثة).

الذي طبع من آثارهم قليل، ويأتي في مقدمة ما طبع ديوان عبد الله سنان : نفحات الخليج، ويُعاتب الآخرون على تأخرهم في النشر مع تمكنهم من أسبابه. وطبع عدد لا بأس به من المؤلفات للسقاف والانصاري وفاضل خلف والبصير وحسين والرومي.

من هذه الكتب ما هو خاص بالكويت، وللانصاري كتاب عن فهد العسكر، وفاضل خلف في القصة، «احلام الشباب».

ويذكر السقاف لدى دراسته في العراق مثلاً على التشابك، وعلى دخول العراق موضوعاً في مؤلفاته.

وقد يكون أحمد العدوانى من الاصغر سناً في الرعيل.. ولكنه قد يكون الأكثر نشاطاً ادبياً وحماسة للجديد وبروزاً في المجتمع الادبي حتى قال عبد الله أحمد الطائي : احمد العدوانى (الاديب المسيطر على القيادة الفكرية في الكويت حتى اليوم، تختلف الآراء حول غيره الا هو، فالآراء معظمها تتفق على انه الشاعر الاول في الكويت يمسك بدقة التجديد فكل مجدد يأتي بعد العدوانى..) - ص 15 من كتابه الادب المعاصر في الخليج العربي، القاهرة 1973.

ولئن خص العدوانى بهذا الوصف - وهو به قمين - نشاطه وحركته وجرأته وتجديده - ان الآخرين جديرون بالاهتمام كذلك وبقي اكثرهم في الميدان الادبي والكتاب الادبي..

وتتكون في الكويت (رابطة الادباء) سنة 1964 ويكون لها دلالتها مقرونة بنشاطها وطموحها ومحاضراتها.. ويكون للرابطة (سنة 1966) مجلتها (البيان)

تعكس النشاط والطموح مع فترات قد تعتريها لا تلبث ان تزول بهيئة تحرير جديدة او طلوع جيل جديد.

هذا الجيل اكثر إبداعا في الشعر وتقدما في القصة ومنهجيا في التأليف وطلاعة في المسرح ومجالا للمرأة واطلالة على الترجمة..

والشعر اولا - متأثر - كما هو طبيعي بالحركة العربية التجديدية عامة وبالسباب خاصة.

واذا بقي للعدواني مكانة فلقد تأخر في إصدار ديوانه.

وتقدم في الابداع محمد الفايز معلنا عن وجوده مثبتا شخصيته غير متوان في نشر ديوانه الاول (النور من الداخل) (سنة 1966) وفيه قصيدة (مذكرات بحار)، انك إزاء هذا الديوان إزاء شاعر جديد لا غبار عليه يأخذك بفننه وصوره ولفقاته لا تستكثره على الكويت بعد ان تابعت مسيرة الادب فيها في تتابع (الاجيال) وتوالي التمهيدات ، وكان لا بد من ان ينهي ذلك - بعد الاتصال الذي كان مع العالم العربي كله ومع العراق خصوصا - الى مثل محمد الفايز و (النور من الداخل) ولا تقل تلك العوامل الخارجية من اهمية التكوين الذاتي للشاعر ومن الموهبة الكامنة فيه وفطرة الشاعرية.

ثم اصدر ديوانه الثاني (الطين والشمس).. ويزداد الامل فيه وتزداد مسؤوليته ازاء نفسه.. أملين الا يدركه فتور.

ولم يكن الفايز وحده.. في هذا الضرب من دلائل الجدة الجديدة في الفن الشعري.. ولا سيما موجتها الاولى وفيها خليفة الوقيان وديوانه (المبحرون) مع الرياح (ط1، سنة 1974، ط2 سنة 1983)، وخالد سعود الزيد وديوانه (صلوات في معبد مهجور) (1970).. وعلي السبتي وديوانه (بيت من نجوم الصيف) (سنة 1969، ط2 سنة 1982)..

أنقف عند هؤلاء أم نسير؟ نقف لنرى الاصاله والحياة وجديد المعاني والصور ممزوجا بجديد الطموح والحس الوطني والمشاعر الانسانية.. واهمية خاصة بذلك في الأجيال الادبية في الكويت..

ونسير لان الابداع لم يستمر فما صدر لهم من شعر بعد ذلك لم يرتفع، وأكلت

بعضهم الوظائف الادارية وغلب على آخرين البحث والدرس.. وربما ثنت الخيبة آخرين.

نسیر ونذكر ان احمد العدوانی استدرک بعض الفاتت فأصدر دیوانه المنتظر (أجنحة العاصفة) سنة 1980 (ومتأخره زمنا دون متقدمه).

وواصل محمد الفایز النشر وإصدار الدواوین (حداء الهودج) (رسوم النغم المفکر) (بقایا الالواح) (1978، لبنان والنواحي الاخری (1989) ذاكرة الافاق (1980).. ولكنه لم يبلغ ما بلغه فی شعره الاول.. وكأن الشعر استحالی صنعة..

وطلع یعقوب السبعی، ولشعره طراوة.. ولكنه عاد لا یوحی بالامل الکبیر وطلعت المرأة فکان — فیمن کن — : جنة القرینی وخزنة بورسلی، وشعرهن شعر فقط واختلفت الآراء فی الدكتوراة سعاد الصباح..

وکان لا بد للشعر الکویتي من نهضة جدیدة کالتی بدأت مع العدوانی والفایز ولا تختلف الکویت فی ذلك عن حاجة الاقطار العربیة الاخری..

* * *

والقصة نوع جدید فی الکویت (کما هو فی غیرها.. ولدی من سبقها) ثم انها فی تعدد وتطور ویمكن ان یؤلف فیها کتاب.

وقد ذکرنا مجموعة فاضل خلف : وی تقدم الفن القصصی ویذكر — فیمن ینکر — سلیمان الشطی فی مجموعته (الصوت الخافت) (1970).

ولاسماعيل فهد اسماعیل دلالة خاصة فی التشابک الخلیجی وهو بصري جاء الکویت بعد ان نشر مجموعته الاولى (بقعة داكنة 1965) فی العراق ، ومن ثم مضى یوالی النشر فی الکویت قصصا وروایات قصیرة (كانت السماء زرقاء. المستنقعات الضوئية. الحبل. الضفاف الاخری. الاقفاس المشتركة. ملف الحادثة. الشیاح. النیل یجری شمالا. الطیور والاصدقاء) وبدا علیه فتور بعد تنقل فی انواع الكتابة الادبیة کأنه توقف عند حد محدود.

وتدخل المرأة عالم القصة وتوالی اصدار المجموعات والروایات القصیرة حتی تصل الی ما تصل الیه من شهرة خارج الحدود عل ید لیلی العثمان وقد جاءت

القصة عن طريق الشعر (وديوانها همسات 1972) فكان لها - فيما كان : امرأتان في اناء 1976 الرحيل 1979. الحب له صور 1982. في الليل تأتي العيون 1984. المرأة والقط 1985 ولم تكن الشهرة - مهما تكن عواملها - على غير اساس.

وألفت الاجيال المتوالية كتباً كانت الريادة المنهجية الناجحة فيها لعبد العزيز الرشيد، ثم توالى الرحلات والمذكرات والمقالات المجموعة والبحوث غير الاكاديمية.. بانتظار الجامعة، وقد جاءت الجامعة وافتتحت في 15/10/1966 ولكلية الآداب الصدارة منها (1386/1966) ولموضوعات ادبية كويتية وخليجية اهمية خاصة لدى البحث وكانت اول رسالة للمجستير بعنوان (الشعر الكويتي الحديث) عملتها عواطف الصباح وصدرت - بعد وفاتها - سنة 1973.

ونذكر في الدراسات الادبية : لنورية صالح الرومي الحركة الشعرية في الخليج العربي بين التقليد والتطور (1980) محمود شوقي الايوبي : حياته وأثره الشعري (1984). فهد العسكر (1987).

ولخليفة الوقيان - القضية العربية في الشعر الكويتي (1977).

وألفت ليلي محمد صالح في (أدب المرأة في الجزيرة والخليج العربي) 1403 / (1982).

ولا تنسينا هذه البحوث الكويتية جهود استاذ مصري عمل طويلا في جامعة الكويت (منذ سنة 1970) وكان من القلائل الذين اخلصوا للادب المحلي توجيهها وتوجيها، تأليفا وحركة، جامعيًا وصحفيًا - هو الدكتور محمد حسن عبد الله وقد ترك الكويت عائداً الى بلاده (سنة 1987) وأحسنّت (الرابطة) اذ ودعته في حفلة تكريم، وأحسنّت (البيان) اذ خصصت لما قيل فيه عدداً خاصاً. كان طليعة مؤلفاته (الحركة الادبية في الكويت) صدر جزؤه الاول سنة 1973 وبقينا ننتظر الجزء الثاني ولم يتحقق المنتظر (واعيد طبع الجزء الاول).. وصدرت كتب مهمة في بابها منها (الصحافة الكويتية في ربع قرن - كشف تحليلي) وكتاب (ديوان الشعر الكويتي) 1974..

ولا تنسينا بحوث الجامعيين جهود اديب كويتي مر اسمه معنا شاعر في موجة التجديد هو خالد سعود الزيد وقد جد واجتهد وجود وأجاد في تأليف كتاب

بعنوان (ادباء الكويت في قرنين) صدر في ثلاثة اجزاء كبار فيها التعريف العلمي بالاديب والمختارات ذوات الدلالة.

وله معه مؤلفات اخرى مهمة منها خالد الفرج : حياته وأثاره، الشاعر عبد الله سنان (بالاشتراك مع د. عبدالله العتيبي) سير وتراجم خليجية، قصص يتيمة في المجلات الكويتية، المسرح في الكويت، مسرحيات يتيمة في المجلات الكويتية.

الجهد مجد مشكور لولا خشية ان يكون من اسباب الجور على الشاعرية.

وعناية الزيد بالمسرح في مكانها ووقتها، فلمسرح (والمسرحية) مكان في الكويت يحسن ان يحفظ تاريخه قبل فوات الاوان، ففيه فرق وممثلون ومسرحيات (اكثرها بالعامية).. ويذكر من كتاب المسرحية سعد الفرج، وصقر الرشود، وعبدالعزیز السريع.. ومحمد النشمي.

وبلغ من الاهتمام المسرحي ان أسس معهد التمثيل انتدب له من مصر اكفا الاساتذة : زكي طليمات وعلي الراعي..

وللكتاب حظه من عناية الحكومة (ومطبعة الحكومة) واذا كان ذلك بدأ على غير منهج فقد انتهى الى التخطيط والمنهج وكفي أن يؤسس في وزارة الاعلام (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب) : مشرفه العام احمد مشاري العدوانى ونائبه د. خليفة الوقيان. ويتولى المجلس - فيما يتولى - جانبا من نشر التراث العربي. وابرز اعماله اصدار سلسلة (عالم المعرفة) الشهرية وما ذلك بالامر السهل وقد صدرت الحلقة الاولى منه في كانون الثاني 1978 وما زالت السلسلة مستمرة متنوعة تسهم فيها الاقلام العربية اسهاما جادا تأليفا وترجمة، وفي هذه الاقلام ما هو خليجي، وفي الموضوعات ما هو أدبي.

وتضطلع وزارة الاعلام بمشروع ضخم مهم جدا هو سلسلة (من المسرح العالمي) وصحيح ان الاقلام المترجمة ليست كويتية ولكن يكفي الكويت قيامها بالمشروع واستمرارها على إدامته. وكان يمكن ان يسهم في الترجمة قلم كويتي هو محمود توفيق وقد باشراها وهو طالب في مصر ولكن الموت حال دون المواصلة ولن يعدم وريثا.

وتصدر عن وزارة الاعلام مجلة على الغاية من الاهمية هي عالم الفكر – دورية تصدر كل ثلاثة اشهر رئيس التحرير فيها أحمد مشاري العدوانى، مستشار التحرير دكتور احمد ابو زيد (مصري). له فضل كبير في شأنها. العدد من المجلة كتاب قيم او مجموعة كتب مهمة.

ومجلة (العربي) اشهر من ان تذكر..

والمجلات التي تصدر عن الجامعة مهمة منها (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية) وهي تمثل في الكويت التخصص الخليجي بما يلتقي مع مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة.

ولم يتوقف جيل (الشيخ) كله عن الكتابة والتأليف والنشر فتجد مثلاً عبدالله زكريا الانصاري يؤلف (الشعر العربي بين العامية والفصحى) (1973) (وخواطر في عصر القمر 1976) وعبد الرزاق البصير ينشر (تأملات في الادب والحياة) و (في رياض الفكر) و (روح القلم).

وفاضل خلف (سياحات فكرية) 1977.

ونذكر للخاتمة المعارض الدولية التي تقيمها الكويت للكتاب (ودليل معرضها الذي هو كتاب بيبليوغرافي مهم) او تشارك فيها خارج الكويت، وقد صار للكويت مطابع وأحدث المطابع، ودور نشر خرجت من دور المكتبة الصغيرة وزادت عدداً، من امثلتها ذات السلاسل ، ووكالة المطبوعات، ودار القلم، وابدت شركة الربيعان نشاطاً يلفت النظر (وقد ولدت سنة 1977) ومن اصدارات الاخيرة كتاب (نازك الملائكة)،. الكتاب التذكارى الذي اشرف عليه الدكتور احمد المهنا (جامعة الكويت) 1984.

وختاماً شكراً جزيلاً للدكتور خليفة الوقيان على اجابته عن رسالتنا اليه وعلى ما رافق الجواب مما كان متيسراً من بيبليوغرافية المطبوع الكويتي والمتيسر غير قليل لو طبع لعمت فائدته ..

3 - (السعودية - المنطقة الشرقية)

مدن المنطقة الشرقية المهمة : الاحساء، القطيف، المبرز، جبيل، ثم الخبر والدمام والظهران، وهذه الاخيرة حديثة النشأة بظهور النفط في المنطقة - مع ملاحظة ان فتح الملك عبدالعزيز آل سعود لاحساء وقع في عام 1911/1331 وان المنطقة تتمتع بتاريخ علمي وأدبي على مر قرون سابقة.

ولا بد من ايضاح مصطلح تاريخي - جغرافي لارتباطه المباشر في مفهوم الكتاب او الدلالة عليه بنسبة المؤلف.. هو مصطلح البحرين، والبحرين - في الاصل وفي القديم - ليست البحرين الحالية. فقد كان اسم البحرين الحالية أوال أو جزيرة أوال، وانما هي - في معنى من المعاني - ما يعرف اليوم بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية. وكان الاسم المعروف عن الاحساء : هجر، والاسم المعروف عن القطيف : الخط، وربما دخلت معهما جزيرة أوال في اسم البحرين.

نقول هذا ونمضي.. لنعلم معنى البحراني والهجري والخطي عندما نرى المؤلفين على هذه النسبة - وهم كثيرون أو لنحذر من المجازفة في نسبة البحراني.

وكان لهذه المنطقة علماء وأدباء وكتب ومكتبات خاصة واشتهر الشاعر علي بن المقرب العيوني (من القرن السادس - السابع) وله ديوان طبع مرارا، وصدرت عنه عدة دراسات ، وهو مثل على التشابك بين الاقطار :

ومن المراجع المتأخرة عن المنطقة كتاب (انوار البدرين في تراجم علماء القطيف والاحساء والبحرين) للشيخ علي بن الشيخ حسن .. البلادي البحراني (1274 - 1340) فانه بعد ان انهى الباب الاول الذي كسره على جزيرة أوال (البحرين) فتح الباب الثاني على علماء الخط : القطيف وترجم لـ (58) منهم متحدثاً عن الفقه والحديث والتفسير.. واللغة ذاكرة مؤلفاتهم ودواوينهم مستشهداً بأشعارهم. وممن ذكرهم الشيخ جعفر بن محمد الخطي وله ديوان مطبوع.

وكسر الباب الثالث على علماء هجر (الاحساء) وترجم لـ (23) منهم أولهم ابن المقرب العيوني. وذكر من الشعراء الشيخ عبد الله بن علي الاحسائي وله ديوان شعر في مجلدين او اكثر.. وغيره.

ونضيف الى ما ذكره الشيخ البلادي البحراني من شعراء المنطقة، ومن المبرز على وجه خاص الشيخ حسين (ابن ابي بكر بن غنام) مؤلف كتاب «روضة الافكار والافهام» وقد طبع مرارا. ونضيف ابن مشرف (أحمد بن علي بن حسين ..) الاحسائي وله ديوان طبع اكثر من مرة.

ومن العلماء الادباء الشعراء الذين ادركوا الحكم السعودي في المنطقة محمد بن عبد الله بن عبد المحسن آل عبدالقادر الانصاري من المبرز في الاحساء مؤلف كتاب (تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء القديم والجديد) مصدر مهم للتاريخ والادب والشعر، وللمؤلف معه كتاب آخر بعنوان (مختارات آل عبدالقادر) مختارات شعرية والكتابان مطبوعان.

وحل في الاحساء - من العهد السعودي - مدرس مصري منتدب هو الاستاذ عبدالفتاح محمد الحلو فرأى ما في المنطقة من شعراء وما سبق هؤلاء الشعراء من شعراء فعمل (بالتعاون خصوصا مع أديب من المنطقة هو محمد بن عبد الله آل مبارك) على جمع التراث الشعري وتبويبه فكان له بذاك كتاب ضخم سماه (شعراء هجر من القرن الثاني عشر الى القرن الرابع عشر) وكان هجراً التي هي الاحساء اسم عام للمنطقة او ما يشبه ذلك. طبع الكتاب مرتين او ثلاثا ويكمل هذا الكتاب قسم الشعراء الماضين من الجزء الاول من الكتاب الذي ألفه - وطبعه - علي منصور المرهون باسم (شعراء القطيف..) هذان الكتابان والكتب

التي وردت قبلهما مهمة لتاريخ المنطقة وتاريخ ادبها وشعرها.. وطبيعي ان يكون الطابع العام لذلك الادب هو طابع أواخر العصر العثماني في متابعة القديم وتقليده وضياح الشخصية فيها وسهولة مزاوله الشعر على كل من عرف العروض والنحو واللغة ولا تعدم تجويدا هنا وهناك ولا تمتنع من الاستدلال على ان الحركة لم تكن مما يستهان به حتى قياسا الى ما كان في مصر والشام قبل بدء العصر الحديث فيهما.

ولا يمكن أن تبقى المنطقة بمنأى عن الحديث وقد فتحت فيها المدارس وقامت فيها طباعة وصحافة وصار في متناولها – وهذا مهم – مطبوع الاقطار العربية ومن ثم تأثر الجيل الناشئ بما يقرأ ويمكن أن تخصص للعراق مكانة متميزة في الصلات والتأثير وكان من مجموع العوامل ان شهدت المنطقة . ولا سيما القطيف – نهضة انبية وجيلاً طامحاً متوثباً مجدداً، جادا في أمره واضعا في الادب – والشعر خاصة – مستقبله وأمله، شاعرا بمسؤولية خاصة في البناء.. وقد نفذ – في نشر قصائده – ومقالاته – الى مجلات من الوطن العربي في العراق ولبنان ومصر: العربي، العرفان، الاديب، الرابطة العربية، الكتاب العربي.

ويمكن ان نقف على خلاصة هذه الحركة والمهم من جلّها في كتاب عبد الرحمن العبيد – الادب في الخليج العربي، وكتاب محمد سعيد المسلم – ساحل الذهب الاسود، والقسم الثاني من الجزء الاول من كتاب علي منصور المرهون – شعراء القطيف (ونذكر هنا أنه لم يصدر جزءا ثانيا) ونذكر من الدواوين التي صدرت لشعراء هذه الحركة الجديدة : النغم الجريح لمحمد سعيد الخنيزي، وشفق الاحلام لمحمد سعيد المسلم، ورسمت قلبي لعبد الواحد الخنيزي، والجريح الصامد لعباس مهدي خزام – وبقيت دواوين مخطوطة غير قليلة بينها شعر لأسماء لها صدارة في الحركة.

غير شعراء وأدباء وصحفيين وردوا على المنطقة فكانوا جزءاً من أدبها وحركتها الثقافية ودليلاً على صلة المنطقة الشرقية بمناطق أخرى من المملكة او بأقطار أخرى من الخليج : خالد الفرج وقد نزل المنطقة (بعد الكويت والبحرين) وقد اسس مطبعة في الدمام، عبدالكريم الجهيمن نجدي أنشأ أول صحيفة في المنطقة (أخبار الظهران)، سعد البواردي وقد اصدر في الخبر مجلة الاشعاع.

وأبدى أديب من المنطقة هو عبدالله أحمد شباط نشاطا ملحوظا واصدر (الخليج) مجلة - جريدة في الخبر. هي حركة ادبية تجديدية دون شك تدل عليها القصائد المنشورة والدواوين المطبوعة والمقالات التي تعبر عنها بأرائها الفنية والاجتماعية ولا سيما تلك التي كانت في القطيف من المنطقة. ولكن الذي حدث ان عمر الحركة لم يطل وان النتاج لم يأخذ مداه لتتبلور سماته ويفرض نفسه على افق اوسع.

وآلت المشروعات الفردية في الطباعة والصحافة والتأليف الى الاخفاق او ضروب من الاخفاق ولكن ذلك لا يوقف مواصلة الكلام على الكتاب في المنطقة مقرونا بالادب والشعر والثقافة عموما ..

واذا كان شعراء في المنطقة وادباؤها سكتوا او خرجوا عن المنطقة.. فلا تعدم في الساكيتين عن النشر فقط، وفي الخارجين من بقي يزاوّل الشعر وينشر هنا وهناك. ومنهم خليل ابراهيم الفزيع وقد غادر المنطقة الى قطر - ليكون مثالا على التشابك الخليجي - يعمل في تحرير مجلة العهد التي صدرت في الدوحة سنة 1974 فأصدر اكثر من مجموعة قصصية منها (الساعة والنحلة)، و (النساء والحب).

ونذكرنا في الباحثين المؤلفين : العبيد والمسلم والمرهون ونذكر هنا باحثا مؤلفا جامعيا هو عبدالله آل مبارك الذي حصل على الماجستير من القاهرة بكتابه (الشعر المعاصر بشرقي الجزيرة العربية) والدكتوراه (من القاهرة كذلك) بكتابه (ادب النثر المعاصر في شرقي الجزيرة العربية) والكتابان مطبوعان والدكتور آل مبارك عين في جامعة الرياض (الملك سعود) ومضى يواصل البحث والنشر والترقية العلمية.

ويحل بالمنطقة، بالدمام على وجه الخصوص - عبدالرحمن الشاعر (من حائل) مؤلف المجموعة القصصية (عرق وطني).

ويحل في الظهران للعمل في مهمة ثقافية من شركة ارامكو : وفي تحرير مجلتها (قافلة الزيت) اديبان قاصان هما شكيب الاموي وسيف الدين عاشو، وفي قسم الدعاية والنشر : محمود عيسى المشهدي - وهو قاص كذلك.

وحين قام نظام المؤسسات الصحفية (شعبان 1383 / يناير 1964) كانت حصة المنطقة (مؤسسة دار اليوم) (في الدمام) تصدر جريدة باسم (اليوم) كنا ننتظر لها نشاطا ملحوظا كالذي لزميلاتها في المنطقتين الغربية والوسطى ولكنها ظلت بعيدة عن المنتظر. ونذكر ان من العاملين في تحريرها لقمان يونس - الحجازي - الذي اصدر مجموعة (من مكة مع التحيات).

لا يمكن النهوض بهذه المؤسسة ومنحها الطابع الخاص بانضمام ابناء من المنطقة اليها معروفين بنشاطهم مثل خليل الفزيع وقد عاد الى المملكة ومعه من قطر - في الاقل - تجربة جريدة العهد وعبد الله احمد شباط العارف بالمنطقة المستمر على التعريف بها حتى عاد وأسس في الخبر الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع واصدر كتاب (ادباء من الخليج العربي) 1986/1406..

ويتضمن الجهد الرسمي وقد تأسست في عام 1383/1963 كلية باسم كلية البترول والمعادن بمدينة الظهران تحولت الى جامعة عام 1395/1975 ثم صار اسمها (جامعة الملك فهد).

وأُسست جامعة ثانية باسم جامعة الملك فيصل مركزها الهفوف (الاحساء) ولها فرع في الدمام تم افتتاحها في العام الدراسي 1395 - 1396/1975 - 1976 وفيها - فيما فيها - كلية التربية (في الاحساء).. ومركز الترجمة والتأليف والنشر (في الدمام).

وتقوم في البلاد (الرئاسة العامة لرعاية الشباب) ويكون من تابعها (الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون) مركزها الرياض ولها فروع منها في المنطقة الشرقية (الدمام، الاحساء) وللجمعية مؤلفات وندوات ومعارض ومسرح..

ومن توابع (الرئاسة) النوادي الادبية موزعة على المدن المهمة من البلاد، ولا يبعد ان يفتح ناد ادبي في المنطقة.

وفي الرياض تقوم (دارة الملك عبدالعزيز) منذ 1392/1972 للعناية خاصة بآثار الملك عبد العزيز وتاريخ المملكة ومجمع الوثائق وترجمة ما كان له صلة عن اللغة الاجنبية، وهي مؤسسة نشطة في بابها اصدرت الكتب والبحوث.. ولها مجلة شهرية رصينة باسم (الدارة).

نذكرها هنا.. لانها مناط الاهتمام بالخليج فيما يقابل مركز دراسات الخليج
بجامعة البصرة.. وممثلة المملكة في رابطة المراكز او المؤسسات الخليجية
هذه.. ليست الدارة قاصرة عن المهمة.. ولكننا لا نستبعد ان يكون لها فرع خاص
يتخذ احدى مدن المنطقة الشرقية مركزا له.. او ان تتبنى المركز جامعة الملك
فيصل على غرار المركز الذي شادته جامعة البصرة..

4 - (البحرين)

نكرر - عابرين - ان المقصود بالبحرين - هنا - ما كان يعرف بجزيرة أوال وقد أشرنا الى ما كان فيها من علم وادب على اتصال بهجر (الاحساء) والخط (القطيف) كما اتضح في كتاب (انوار البدرين) للبلادي البحراني. وللغة مكانها وللشعر مكانه كذلك، ولكن مادة اللغة تكرر للمؤلفات القديمة على شكل شرح او تلخيص او حواش والشعر نظم وتقليد ومنظومات.. وكان المناسب ان يحفظ في مكان ما مخطوطا او مصورا لانه تراث على اية حال، غير ما يدل عليه من تشابك مناطق الخليج ويدل عليه كذلك من اهتمام علمي ادبي - ويبدو انه ذهب كما ذهب تراث هجر والخط من نوعه بددا.. وربما كان الذي اصابه اكثر مما اصاب تراث هجر والقطيف لانه لم يستدرك في كتابين او كتب تجمع المختار منه وتعرف بالاعلام فيه ..

ويقترن (البحرين) الحديث بحكامها من آل خليفة..

وكان آل خليفة - أولاً - في الكويت..

وحين اختلفوا مع آل الصباح هاجروا وأسسوا مدينة الزبارة (في قطر) حوالي سنة 1747 وتقدمت المدينة و (تمرد) فيها آل خليفة على آل مسلم حكام قطر واستقلوا بها ولامرائها عناية بالادب وجاءها السيد عبد الجليل الطباطبائي مهاجرا من البصرة.

ثم فتح آل خليفة البحرين (الجزيرة) ونقلوا مقرهم اليها (في المحرق) وجاءهم الطباطبائي كذلك سنة 1810 وأقام عندهم ثلاثا وثلاثين سنة.

واستمر العلماء والفقهاء والأدباء على طريقتهم من القديم.

ثم جاء الجديد في مطلع القرن العشرين متأثرا بجديد العرب في مصر والشام.. والكويت .. فأسست مدرسة وأسس في المنامة ناد أدبي، وناد أدبي في المحرق رأسه الشيخ محمد بن عبدالله الخليفة ومن ابرز اعضائه عبدالله الزيد واحمد العمران. وقويت الحركة بمجيء خالد الفرج من الكويت.

وكانت صحافة وكتاب ومطبعة وتعدد الادباء والشعراء : محمد بن عيسى الخليفة، عبدالرحمن البكر، وعبدالعزیز الشملان، وابراهيم حسن كمال، وعلي التاجر، وحسن جواد الجشي وعبد الرحمن المعاودة (وله شعر ومسرحيات والجزء الاول من ديوانه) في حس وطني وعمل وطني كذلك ضد الانكليز.. وما كان ذلك ليمر دون اضطهاد وتشريد فخلع الانكليز عيسى الحليفة واتجه المعاودة الى قطر وابتعد خالد الفرج الى السعودية (الشرقية) وبقي محمد بن عيسى الخليفة على كره الانكليز.

وأشهر ادباء البحرين خارج البحرين واكثرهم نتاجا وتنوعا في التأليف وتجديدا في الشعر والرأي الفني : ابراهيم العريض (ولد سنة 1908) وكانت مجلة (الرسالة) المصرية من اسباب ذبوع اسمه، ومن مؤلفاته الشعرية : وامعتصماه (رواية تمثيلية) العرائس، قبلتان (قصة شعرية)، ارض الشهداء، شموع، ثم اصدر ديوان العريض وفيه : ارض الشهداء والعرائس وقبلتان وشموع.

وله كتب بحوث ونقد ادبي وهي : الاساليب الشعرية، الشعر والفنون الجميلة، الشعر وقضيته في الادب العربي، جولة في الشعر العربي المعاصر، فن المقتني بعد ألف عام – يعد العريض من شيوخ الادب في البحرين وفي الخليج كله وهو بدء طور جديد في ادب الخليج وشعره خاصة ولا غرو ان يتسع التجديد ويطلع فيه جيل جديد من الشباب لهم مطامحهم الفنية ومبادئهم الوطنية وعملهم الدائب واملهم الكبير. ثم يصلون الى التجمع وتأسيس ما سموه (اسرة الادباء والكتاب في البحرين) سنة 1979 (بمنهج فكري) عرفت به في اصدار طبع في

سبتمبر 1970 ثم اصدرت باشراف احمد المناعي (التعريف بالحركة الادبية الجديدة في البحرين) – مارس 1973 وقد تعود الفكرة المباشرة للتأسيس الى محمد جابر الانصاري.

وشرعت الاسرة تجتمع وتناقش وتعلن وتعمل بما اثبت وجودها ورفع مكانها وبين شأنها.. ولا بد من اصدار اعمال اعضائها والجد في نشرها، وكان من الدواوين :

أنين الصواري لعلي عبدالله خليفة، والبشارة لقاسم حداد، ومن اين يجيء الحزن لعلوي الهاشمي، وخروج رأس الحسين من المدن الخائنة لقاسم حداد.

ويبدو ان الشعراء الثلاثة هم رأس قائمة شعراء الاسرة يضاف اليهم عبدالرحمن رفيع ويعقوب المحرق.. وعلي الشرقاوي وعبدالحميد القائد وابراهيم بوهندي وسعيد العويناتي وحمدة خميس مع ملاحظة ان علي عبدالله خليفة اصدر ديوانين بعد الديوان الاول وقاسم حداد ديوانا بعد ديوانيه وعلوي الهاشمي ديوانا بعد ديوانه وللاخيرين ديوان عدا عبد الرحمن رفيع فله اربعة دواوين.

وليس شيء من هذا بالهين كما وكيفاء.. ولا يفوتك ان تلمح اثر الجديد الشعر العراقي في جديد الشعر البحراني.

والى جوار الشعر : القصة، وفي القصة (سيرة الجوع – تسعة اصوات في القصة. البحرينية الحديثة) وقد تلمح عليها صلة بالقصة العراقية الستينية ثم صدرت مجموعات قصصية لمحمد الماجد ومحمد عبدالملك وخلف احمد خلف..

وللاسرة ندوات ومحاضرات ودراسات.. لم تطبع ولو استطاعت ان تنشء مجلة لحفظت هذه المجلة كثيرا من النصوص ولكنها لم تستطع.. واهم ما يذكر – في هذه الرحلة – للدراسة كتاب محمد جابر الانصاري – لمحات من الخليج العربي 1970.

ويذكر من جهد الانصاري قيامه بتحقيق وطبع المجموعة الشعرية والنثرية للشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة (1968) وله كتاب بقي مخطوطا فيه (اقطاب الحركة الادبية في البحرين) كان الواجب أن ينشره.. ولكن الانصاري عمل في

الادارة وتوجه الى بيروت دارسا وغير من اتجاه اهتماماته في البحث - كما
سنرى على انه يبقى احدى علامات التشابك الخليجي والعربي عموما. ويزداد
الاتجاه الى الدراسة والتأليف فبعد العريض والانصاري - ومعهم - نذكر كتاب
مبارك الخاطر - عبدالله الزايد ، نابغة البحرين : حياته، أدبه، آثاره، 1975
ورسالة - ما زالت مخطوطة - لهلال الشابجي بعنوان (اتجاهات الشعر
البحراني الحديث) اجيزت سنة 1974.

ان تنامي الدراسة طبيعي وقد صار للبحرين ادب حديث زيادة على ما كان
لها من أدب قديم.. وطبيعي الا يقتصر على ادباء «الاسرة» وكتابها.. بل ان تقدم
اعضاء بارزين من شعراء الاسرة وادبائها الى التحصيل الجامعي قد يشير الى
تحول في جملة (فكرة) الاسرة او تحول في طموح اعضائها او عقبات تعترضها
تدفع باعضائها الى البحث عن سبل اخرى كالهجرة حيناً والدراسة التي تهين
(وظيفة) حيناً.

مضى الانصاري الى بيروت الى الجامعة الاميركية من اجل الماجستير
والدكتوراه ومضى علوي الهاشمي الى القاهرة الى كلية الآداب بجامعة القاهرة
سنة 1970 ليحصل على الماجستير برسالته (الشعر المعاصر في البحرين من
1925 - 1975).

ويبدو في الاديب البحراني طموح خاص ونزوع بعيد وقدرة - قد تكون خاصة
به - الى مد الجسور وزيادة الاتصال بالاقطار العربية والادب العربي ..
والمفروض ان يلقي الاستجابة وهو لاقياها في العموم.. وقد تكون صلاته بالعراق
ابين من غيرها قديما (ونحن في السبعينات) ويتوج العقد الثامن بعدد خاص
بالادب في البحرين تصدره مجلة الاقلام (بغداد - وزارة الثقافة والاعلام -
العدد الخامس، السنة الخامسة عشرة 1980) وقد صرنا نعرف اكثر اعضاء
الحركة الادبية الجديدة. وكان الجديد في اسماء الشعراء حسين علي يحيى
وغلام عبد الله والجديد في اسماء الشواعر : فوزية رشيد وايمان اسيري وفوزية
السندي وقد نالت قصيدة حمدة خميس (ان تأتي .. أذن بدء العرس) اعجاب
الاستاذ في اكااديمية الفنون الدكتور عوني كرومي فأخرجها - فيما بعد -
اخراجا مسرحيا مبدعا.

والجديد في القصة : احمد علي كمال، وعيسى الحمد، وصالح المفاعي،
وخليفه العريفي ومنيرة خليفة الفاضل.

خطوة نحو اطالة القصة، خطوة في المسرحية..

العدد الخاص كتاب قيم في بيان الحركة الادبية واعلان انجازات (الاسرة)
وتسمية اصدارات ادبائها.. ولكنه لا يزوي ما سبق ان لمحتة على الحركة من
فتور وقد قال قائل منهم : (اننا نعاني انحسارا رهيبا في جميع المجالات الادبية
والفنية ويبدو ان زمن الجزر بدأ يقتحم مواقعنا ويغزونا ..) ولكن هذا لا يعني
موت القلة الصادقة).

أجل، الفتور حاصل والشباب غير مرتاحين والعقبات كثيرة..

ولكن (الاسرة) تبقى وتحاول وتأمل.. ولا بد لها من ذلك.. (وعلى المرء ان
يسعى..) رغم الضيق ومع التفكير بالممكن فقط. او بتغيير نمط العمل .. او
الهجرة ..

وأصدر عبد الرحمن رفيع (وهو مراقب للشؤون الثقافية في وزارة الاعلام)
ديوانا صغيرا في الرياض بعنوان «ويسألني» 1980/1400 بعد ان صدر له ديوان
بالعامية وديوان بالفصحى.

وصدر عام 1981 كتابان مهمان في الدراسة الادبية عرفنا أولهما رسالة
ماجستير عملها علوي الهاشمي عن (الشعر المعاصر في البحرين) ولكنه هنا
تصرف بعنوان تصرفا غير اكايمي فجعله (ما قالته النخلة للبحر: الشعر
المعاصر في البحرين) طبعته له وزارة الثقافة والاعلام - ببغداد.

وثانيها (القصة القصيرة في الخليج العربي - الكويت والبحرين، دراسة
نقدية تحليلية) لابراهيم عبدالله غلوم - مدرس الادب العربي الحديث بكلية
البحرين الجامعية للأداب والتربية والعلوم وطابعه علمي اكايمي، ولعله في
اصله رسالة للماجستير طبعه له مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة.

وشغل ابراهيم عبدالله غلوم - مع عمله هذا - رئاسة (الاسرة).

وحين مضت الرئاسة بقيت العضوية بالطبع - وبقي التدريس، والتأليف وهما

هو ذا يكتب (ظواهر التجربة المسرحية في البحرين) ولا غرو فهو مدير سابق لمسرح أوال – وتصدره له شركة الربيعان في الكويت 1982.

وقد كتبت اليه مستعينا بعلم جديد أثري فيه موضوعا لي بعنوان (الكتاب الخليجي) لدى اعادة النظر فيه قصد إصداره في كتاب، فتفضل بجواب مفصل يبين نشاط (الاسرة) وبعدد ما صدر من آثار اعضائها – فشكرا – بهذه المناسبة – مع الاستدلال الضمني على فتور في الهمة مأتاه عقبات قد يصعب اجتيازها وقد تكون مرسومة.

وشفع رسالته بالعدد الثاني من مجلة (كلمات) التي تصدرها (الاسرة) وفيها ما اصدر حديثا في القصص (الطرائد لأمين صالح ومرايا الظل والفرح لفوزية رشيد، وفي الرواية الحصار لفوزية رشيد والهيرات لعبدالله خليفة، وفي الشعر، شظايا لقاسم حداد، وهي الهواجس والاحتمال لعلي الشرقاوي والمزمور 23 له ايضا، وفي المسرحية، فنجان قهوة للرئيس لأحمد جمعة.

ويمضي غلوم في الطريق الاكاديمي مدرسا وباحثا وطالبا للدكتوراه ضمن اهتمامه الخاص بالادب الحديث وخبرته في المسرح وحصل على الدكتوراه – دكتوراه الدولة من كلية الآداب والعلوم الانسانية بالجامعة التونسية عام 1983 وعاد الى التدريس في كلية البحرين الجامعية، وحين اصدرت (الاسرة) مجلتها (كلمات) رأس تحريرها وعمل استاذا زائرا بجامعة الكويت وفي الكويت اصدر كتابه (المسرح والتغيير الاجتماعي في الخليج العربي – دراسة في سوسيولوجيا التجربة المسرحية في الكويت والبحرين) سلسلة عالم المعرفة (105) ذو الحجة 1406 / سبتمبر 1986. ونذكر ان في البحرين كما في الكويت – حركة مسرحية ومعهد عال للفنون المسرحية.

وبدا على محمد جابر الانصاري ميل عن الادب.. الى السياسة والاجتماع وقد حصل على الدكتوراه من الجامعة الاميركية في بيروت وفضل العمل في قطر (الدوحة) ونشرت له سلسلة عالم المعرفة في الكويت كتابه (تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي 1930 – 1970).

تستمر (الاسرة) قائمة رغم الصعوبات ونذكر لها مجلتها (كتابات) ومجلتها (كلمات) وتبقى الحركة الادبية في البحرين ذات حياة وطعم خاص وفي

صدورها (الاسرة) تحاول ان تبقى حية قدر الامكان ورغم العقبات.

والدولة من جانبها تريد ان تبدو غير مقصرة في هذا المجال عموما، ومجال (الخليجية) خصوصا.. وقد أسس في مكتب سمو ولي العهد (مركز الوثائق التاريخية في البحرين) سنة 1978 ليكون ممثلا البحرين في المؤسسات المناظرة في (دراسات الخليج العربي) وان كنا نفضل ان يكون باسم اعم هو (مركز دراسات الخليج العربي) ليلتقي مع (مركز البصرة. واذا لم يتحقق هذا هنا، فقد يتحقق ضمن مشروع آخر انشأه (مكتب التربية العربي لدول الخليج) الا وهو (جامعة الخليج العربي - جامعة اقليمية متميزة) 1400 - 1980 وفي الجامعة ثلاث كليات هي : الطب والتربية والعلوم، فهل تتبنى هذه الجامعة - وهي اقليمية متميزة - انشاء (مركز دراسات الخليج العربي) ويكون للادب في هذه الدراسات ما كان لمركز دراسات جامعة البصرة؟ ولم لا؟.

مطبوعات البحرين ليست قليلة ولا بد لها من كشاف (فهرس - معجم) خاص يحفظ لها ذكرها وييسر الافادة منها ويصير أساسا يتسع كل عقد من السنوات ليصدر في طبعة جديدة.

المشروع جدير بالاهتمام ويمكن للاسرة ان تقوم به مستقلة او بالتعاون مع جهات أخرى .. وان صعب الامر فلها من مجلتها وسيلة - ولو مؤقتة - تنشر فيها هذا الكشاف على مراحل مبوبة على الشعر والقصة والتاريخ .. الخ .. ليكون حاضرا لاول امكان للنشر مجموعا في كتاب ..

5 - قطر

شبه جزيرة يزيد عدد سكانها على نصف المليون، اكثرتهم في العاصمة : الدوحة وفي 3 سبتمبر 1971 انتهت العلاقات التعاقدية مع بريطانيا واصبحت قطر مستقلة.

يقترن اسم قطر بحكامها من آل ثاني، ولآل ثاني شأن بالادب والكتابة، فللشيخ قاسم (جاسم - ياسم) ديوان من الشعر النبطي (العامي) تكرر طبعه وولده عبدالله يروي الشعر وقد امر بطبع كتب على نفقته جعلها وقفا على طلبه العلم.

ثم يأتي عهد الشيخ علي بن عبدالله وفي منتصف الخمسينات تم افتتاح دار الكتب القطرية، ونشر الشيخ علي نحو مئة كتاب (توزع مجاناً) ولهذه الكتب فهرس خاص بها، ومنها ما هو في الادب مثل : القطريات - شعر لعبد الرحمن المعاودة الذي رأيناه في البحرين شاعرا وطنيا أضطر على الهجرة الى قطر، ومثل الدرر المثنائي في عظمة الشيخ علي آل ثاني (شعر سلام شاعر الثورة الفلسطينية) ونزهة الابصار بطرائف الاخبار والاشعار لعبد الرحمن بن درهم، وعلى دروب الامير - شعر احمد يوسف حمود، وفي رحاب الدوحة شعر محمود شعبان، ومن وحي قطرله كذلك، وقطريات، شعر محمد نجيب فضل الله، والمختارات الشعرية لعلّي آل ثاني، وديوان الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني، وروض الخل والخليل - ديوان السيد عبدالجليل الطباطبائي.

وليه ابنه الشيخ احمد وفي عهده انشئ للمكتبة العامة مبنى خاص، وقامت هذه بطبع مجموعة من الكتب توزعها مجاناً، وفي عهده صدرت اول مجلة هي (العروبة) (1969) ثم صدرت مجلة (الدوحة) في العام نفسه.. ونهج الشيخ احمد سبيل سابقه في طبع الكتب على نفقته.

وتولى الشيخ خليفة بن حمد وتعددت في عهده معاهد العلم والدوائر التي تعنى بالكتاب فلقد انشئت كلية التربية للمعلمين والمعلمات سنة 1393/1973، ونشطت وزارة التربية والتعليم بتنظيم المحاضرات ثم اصدارها في كتاب باسم (حصاد الموسم الثقافي).

وأصدرت دار الكتب القطرية مجموعة من الكتب الدينية والادبية وكذلك حاول ان يفعل (المركز الثقافي) الذي عرف فيما بعد باسم (ادارة الثقافة والفنون) وعينت (رئاسة المحاكم والشؤون الدينية) بالكتاب تطبعه وتعضده شراء واذا كان اكثر اهتمامها بالناحية الدينية فان الكتاب الادبي يمكن ان ينفذ منها بوجه من الوجوه..

وافتتحت (جامعة قطر) سنة 1978 بأربع كليات هي : كلية التربية وكلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية وكلية الشريعة والدراسات الاسلامية وكلية العلوم ثم انشئت سنة 1400/1980 كلية الهندسة. وللجامعة - بالطبع - خطرها في تاريخ الكتاب عموماً وخصوصاً.

ولوزارة الاعلام نشاطها كذلك..

ويذكر في المجلات (مجلة العهد) (1974) ومن اهميتها انها قامت بنشر نتاج الناشئة في كتاب دوري اسمه (كتاب العهد) ويرجع الفضل في ذلك الى رئيس تحريرها القاص السعودي الذي رأيناه في الشرقية خليل الفرع.

وتمت حركة النشر وتولتها مكنتات ودور نشر.. في طريقها الى اتساع النطاق.

وللشعر النبطي (العامي) مكانه الاول في اقطار الخليج عامة وفي قطر خاصة وكأنه البقية الباقية من الأدب العربي او كأنه المنطلق الاول قبل الفصيحة الجديدة وقد رأينا الشيخ قاسم بن عبد الله آل ثاني يزاوله ويشجعه. ويستمر وجوده في قطر وتبرز فيه اسماء ودواوين ويجد عدد لا بأس به من

الدواوين طريقه الى المطبعة، وقد رأينا ديوان الشيخ قاسم – وقد تعدد طبعه. ونزيد ديوان الفيحاني، وديوان الخليفي، وديوان الكواري، ومن هذه الدواوين ما طبع مرتين، غير ما صدر باسم (من الشعر القطري) ومن الدواوين ما بقي مخطوطا .. ومن أواخر ما صدر ديوان (هوى الزينة) لعبد الرحمن المناعي (منشورات دار الغد البحرينية).

ولا بد لمن يبحث (الادب) الفصيح ان يشير اليه في «الزيارة» قبل ان تؤول الى قطر، وقد الممنا بها لدى دراسة (البحرين) ورأينا – فيما رأينا – مقام السيد عبد الجليل الطباطبائي فيها بضيافة آل خليفة يوم كانوا فيها.

ثم نعود الى الدوحة، ونرى عناية شيوخها بالكتاب عموما وبالادب خصوصا ونرى أدبيين في قاعدتها هما الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن درهم مؤلف كتاب «نزهة الابصار بطرائف الاخبار والاشعار» وقد طبع سنة 1359 وأعيد طبعه سنة 1383/1963 والشيخ عبد الرحمن بن صالح الخليفي مؤلف كتاب (بستان الاكياس والافراد من الناس).

ونرى لدى وقفة خاصة عند الشعر الفصيح – غير ما رأينا من شأن الطباطبائي – وما يمكن ان نراه من شأن شاعر نجدى اقام طويلا في قطر هو محمد بن عثيمين .. – نرى الشاعر القطري ماجد بن صالح الخليفي (1873 – 1907) وديوانه مطبوع، قطر 1963..

ويكون هؤلاء ما يسمى بالمرحلة الاولى من تاريخ الادب القطري الحديث، وهم اقرب الى القديم في تأليفهم او شعرهم .. تمهيدا لخطوة متقدمة لها طابعها من العصر الحديث ولاكتشاف النفط (عام 1950) أثره فيها لما استحدثت من وسائل الثقافة والتعليم والاتصال، وتنوع في الانماط الادبية.

وطبيعي ان يحدث التطور تدرجا ويبقى اثر القديم (في الشعر خاصة) في الجديد ان في الاغراض (وللمناسبات مكانها في المديح والثناء) وان في اللغة او العروض ويذكر هنا شاعران الاول بحراني – رأيناه في البحرين – ورأينا له ديوانين مطبوعين ديوان المعاودة 1942 ولسان الحال 1952 – هو عبد الرحمن بن قاسم المعاودة جاء قطر وعاش في كنف شيخها وبرز شاعرا متميزا على حظ من الجديد، وقد جمعت معظم اشعاره.. في مجموعتين جديدتين اسماهما :

القطريات، ودوحة البابل، الاولى طبعت عام 1957 م ببيروت ايضا.. وله شعر نظمته بعد ذلك ولم ينشر..المعاودة شاعر بحراني ثم قطري يمثل هذه المرحلة نحو الحديث، ومعه شاعر قطري هو أحمد يوسف الجابر (المولود عام 1903 م 1321 هـ في الدوحة) وطبيعي ان يكون اقل قربا من الحديث من المعاودة .. وقد دخلت قصائد له في كتاب (درر المعاني) .. ثم طبع ديوانه اخيرا (1983) محققا.

وجرى ذلك تمهيدا لتجديد اكثر تعدى (الافكار والمضامين) الى «الشكل الخارجي للقصيدة، فظهر ما يعرف بالشعر المرسل» ويذكر في شعراء (التجديد) هذا مبارك بن سيف وله (الليل والصفاف) 1983 و (انشودة الخليج) 1983 كذلك وعبدالرحمن المناعي.. وتسير القافلة وتدخلها الشواعر كذلك..

وحين اقام نادي طلبة قطر في القاهرة مسابقة ادبية احتلت فتاتان المنزلة الاولى والثانية في الشعر – ينظر تراث قطر للانصاري – ويتطور النثر كذلك وعلى وجه واضح اذا قيس اسلوب جديد باسلوب قديم .. وللصحافة اثرها والتعليم الحديث اثره.. وذكرنا من المجالات (العروبة) و (العهد) و (الدوحة) وزادت وتعددت وتنوعت ودخلتها (المرأة) فيكون للمقالة شأن وللقصيدة ولل مسرحية.

ويمكن ان نرجع في الصحافة والمقالة من المؤلفات القطرية (أو المطبوعة في قطر على الاقل) الى (الصحافة القطرية – نشأتها وتطورها) تأليف حسين احمد محمد وأسامة سيف الدين باشراف الدكتور احمد حسين الصاوي، قطر، مطابع الدوحة الحديثة 1983. وكتاب (الصحافة القطرية والقضايا العربية) للدكاترة: عاصم الدسوقي، عبدالخالق لاشين، عبدالرحيم عبدالرحمن، عادل غنيم، قطر، مطابع الدوحة الحديثة 1984..

وكتاب (بذور الصحراء) نشأة المقالة في قطر وتطورها (تأليف عائشة السليطي) قطر الناشر دار قطري بن الفجاءة 1984.

اما في القصة فـ (لعل اولى المحاولات.. كانت المحاولات التي بدأها الاستاذ يوسف نعمة رئيس تحرير مجلة العروبة وذلك في اواخر الستينات حيث ظهرت قصة (بنت الخليج) ثم مجموعته: (لقاء في بيروت) 1970 و (الولد الهابت) 1971 (وهاتان المجموعتان عبارة عن مقالات خبرية او حكايات

عادية). ثم تعدد نشر القصص في الجرائد والمجلات ودخلت ميدانها المرأة. اما الكاتب الثاني الذي جاد قلمه بمجموعة لا بأس بها من القصص القصيرة فهو الاستاذ خليل ابراهيم الفزيع - وهو كما رأيناه من المنطقة الشرقية بالسعودية - اقام حيناً في قطر يرأس تحرير مجلة العهد ويشجع الشباب والشباب على النشر ويتبنى مشروع اصدار كتاب دوري باسم (كتاب العهد) كان من حلقاته (الساعة والنخلة) تضم (15) قصة له، منها مجموعة (أنت وغاية الصمت والتردد) لكلثم جبر - ينظر كتاب الادب القطري الحديث لمحمد عبد الرحيم قافود وتراث قطر وثقافتها المعاصرة للدكتور محمد جابر الانصاري.

وتتعدد القصص وتحاول ان تخرج من الحكاية والشاعرية الى الفن الحديث والواقع او - ان شئت وكما قال قافود من الاتجاه الرومانسي الى الاتجاه الواقعي في كتاب اصدرته جامعة قطر بعنوان (القصة القصيرة في قطر - دراسة فنية اجتماعية) 1985 وقد استعرض قصصا نشرت في الجرائد والمجلات ابان عن مكان متزايد للمرأة واحال على كتاب (7 أصوات في القصة القطرية الحديثة - منشورات ادارة الثقافة والفنون بوزارة قطر) نشر في حولية كلية الانسانيات 1984.

وتحدث الدكتور محمد جابر الانصاري في كتاب (تراث قطر..) عن (الساعة والنخلة) وعن (قصص كلثم جبر) وتحدث كذلك محمد حمد الصومغ (في كتاب ناندا وهو من مطبوعات مؤسسة العهد القطري) فقال (المقاطع السبعة عشر التي يتكون منها كتاب ناندا (..) تبدأ على هيئة اقصوصة لا تلبث ان تغيب في الخواطر الشعرية او في التأملات الذهنية او في الحوار غير المرتبط بسرد قصصي مجدد).

وحين اقام نادي طلبة قطر في القاهرة مسابقة ادبية لاعضائه حازت الفتاة الجائزة الاولى والثانية في القصة وقد نشرت القصتان في كتاب (الحصاد الثقافي) - ينظر الانصاري في (تراث قطر ..).

وللمسرحية شأن البدء - كما هو طبيعي.

وهرد اسم عبد الرحمن المناعي في مسرحياته (ام الزين) و (باقي الوصية) و (هوبيل يا مال) و (الجريمة) و (يا ليل يا ليل) و (الحذاء الذهبي) (المغني)

والاميرة) و (هالشكل يا زعفران) كما يرد اسم خليفة عبد الكبيسي ومسرحية (السر المكتوم) واذا كانت هذه المسرحيات باللهجة العامية فلا بد من ان تعقبها مسرحيات بالفصحى ولا بد من ان يتقدم فن كتابة المسرحية – مع تقدم المسرح نفسه..

وتأتي مع مرحلة الحديث والجديد الدراسة المنهجية وهي ثمرة البحث الجامعي الذي يرينا الفرق الهائل اذا تذكرنا كتابي ابن درهم والخليفي. لقد شرع قطريون يخرجون من بلادهم للدراسة (الى مصر خاصة) ومنهم من يحصل على الماجستير ومنهم من يحصل على الدكتوراه والعدد يتزايد مع الزمن ليفي جامعة قطر بأساتذتها القطريين.

يهمنا في طليعة الجامعيين – هنا – محمد عبدالرحمن قافود (كافود) فقد حصل على الماجستير (مصر – الازهر) بكتابه القيم (الادب القطري الحديث) وقد صدر سنة 1399/1979 (اعيد طبعه سنة 1982).

(وطبيعي ان يكون من مصادرنا المهمة – هنا) ويعين للتدريس في جامعة قطر وينشر بحثا في (حولية كلية الانسانيات) ويواصل مسيرته في (الدكتوراه) ويحصل عليها بكتابه القيم – كذلك – (النقد الادبي الحديث في الخليج العربي) صدر سنة 1402/1982 (اعيد طبعه) ويواصل التدريس والبحث ويتدرج طبيعيا في الترقية العلمية : معيد – مدرس – استاذ مساعد.

وتتقدم المرأة الى الجامعة، وهذا أمر صار مفروغا منه، ولكنها تقدمت الى الشهادات العليا فاذا كانت جهينة سلطان سيف العيسى قد تخصصت في علم الاجتماع فان هيا محمد عبد العزيز الدرهم تتقدم الى الماجستير في الادب العربي وتحصل على الشهادة عام 1985 برسالتها (صورة البحر في الشعر العربي الحديث بالخليج 1960 – 1980) وقد صدرت مطبوعة سنة 1986 والمؤلفة معيدة بجامعة قطر تستعد للدكتوراه..

وللجامعة – جامعة قطر – دورها في الكتاب عموما وفي الكتاب الادبي خصوصا وقد رأينا من مدرسيها القطريين قافود والدرهم وسنرى غيرهما ولا شك وأشرنا الى المجلة التي تصدرها كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية باسم (حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية) صدر عددها الاول في 1399/1979

والتاسع في 1986/1406 ونرجو الا يطول انتظارنا العاشر.

كما تجمع الجامعة محاضرات موسمها الثقافي في كتاب قيم بعنوان (من ثمار الفكر) ويعمل قسم اللغة العربية بكلية الانسانيات على التأليف الجمعي لتلامذته. ومن هنا كان (المدخل لدراسة الفنون الادبية) (ط 1 سنة 1982/1403 – ط 2 سنة 1983/1403) وكان (النصوص الادبية – دراسة وتحليل 1983/1403) وقد اسهم من القطريين في التأليف الدكتور محمد عبدالرحيم كافود كتب في الاول موضوع (النقد الادبي الحديث) ودرس في الثاني قصيدتين احدهما لاحمد شوقي وثانيتهما لابراهيم ناجي.

وتصدر الجامعة كذلك كتابا جمعيا بعنوان (القصة القصيرة في قطر) سنة 1985 يكتب فيه الدكتور محمد عبدالرحيم كافود باباه الادبي : الاتجاهات الفنية.

وطبيعي ان يكون للاستاذة المنتدبين للعمل في جامعة قطر نشاطهم التألفي وبرز في ذلك الدكتور يحيى الجبوري (عراقي) والدكتور ماهر حسن فهمي (مصري) والدكتور يوسف حسين بكار (اردني)..

ونذكر مما كان خاصا بقطر وبالخليج كتاب الدكتور فهمي (تطور الشعر العربي الحديث بمنطقة الخليج) (ط 1 سنة 1981/1401 – ط 2 سنة 1985) وللدكتور الجبوري (بالاشتراك مع الدكتور كافود) جمع وتحقيق (ديوان احمد يوسف الجابر) مطابع الدوحة الحديثة 1404 – 1983 واقترحت على الدكتور الجبوري صنع معجم للمطبوعات القطرية وعلمت انه رحب بالفكرة مشاركة مع الدكتور كافود ونبقى ننتظر ثمرة التنفيذ وينظر للجبوري مقالة في مجلة (عالم الكتب) (رجب 1403 / ابريل 1983) (حركة التأليف والنشر في قطر).

وطبيعي الا يقف الامر عند هذا الحد..

وطبيعي الا يقف الامر عند الجامعة.. وقد رأينا اكثر من جهة رسمية تسهم في الحركة الادبية والتأليف الادبي.

وأفدنا – كما اشرنا – من كتاب (تراث قطر وثقافتها المعاصرة – تأليف الدكتور محمد جابر الانصاري – وهو بحراني اصلا – من منشورات ادارة الثقافة والفنون بوزارة الاعلام)..

ولا بد لي من شكر خاص اتوجه به الى الاستاذ الدكتور يحيى الجبوري (وكيل كلية الانسانيات) على ما تفضل به من اجوبة على اسئلة وما اهدى من كتب مهمة في العون على معرفة الكتاب القطري.

ونختم بأن نسجل لقطر تشريعها قانون الایداع – وتكون بذلك ثاني قطر خليجي (بعد العراق).

ونأمل ان يقوم فيها اتحاد للادباء ...

وقد يعاد النظر في الامر الذي صدر سنة 1986 بوقف مجلة الدوحة.

6 - الإمارات العربية المتحدة

ولدت هذه الدولة في الثاني من شهر كانون الاول من عام 1971 من اتحاد تم في سبع امارات هي : (أبوظبي والشارقة وعجمان وأم القيوين ورأس الخيمة ودبي والفجيرة) وكانت قبل ذلك مشيخات (امارات) متفرقة تمتد على ساحل عمان من الخليج وتمضي دراستها - حينئذ - ودراسة (أدبائها) مع «عمان» - كانت تسمى امارات ساحل عمان وامارات الساحل المتصالح وامارات ساحل (الهدنة) - ينظر كتاب عبد الله محمد الطائي - الادب المعاصر في الخليج العربي..

وإذا رجعنا الى تاريخ اسبق من (الاتحاد) رأينا امتيازاً خاصاً للشارقة ولأميرها الشيخ صقر بن سلطان القاسمي فقد بدأ التعليم الحديث فيها (وللكويت فضلها في ذلك) وكان شيخها ادبياً شاعراً له دواوين مطبوعة (وفي الحق، الفواغي، في جنة الحب) محباً للأدب والشعر والثقافة له مكتبة ضخمة ومجلس ادبي حكم منذ عام 1950 حتى عام 1964 حين ابعده الانكليز.

ويذكر - معه - من أدباء الشارقة خلفان بن مصبح، وسلطان بن عويس، وابراهيم المدفع.

كما يذكر من أدباء دبي مبارك العقيلي وقد جاءها من الاحساء مروراً بالكويت، والشيخ احمد بن سلطان بن سليم.

كان هؤلاء قبل (الاتحاد) ولا بد من ان يكون غيرهم في هاتين الامارتين او الامارات الاخرى كما لا بد من شعر نبطي (عامي).

وحين قام (الاتحاد) كان الذي حيا منهم مخضرا.. مثل (ابراهيم المدفع).. ومضى أمير الشارقة الذي ابعده الانكليزيواصل النظم ويحقق طبع ما كان يعده للطبع وشرعت دار الشروق بالقاهرة بطبع (الاعمال الكاملة) (لصقر القاسمي) وصدر (صحوة المارد) جزءا أول من الاعمال سنة 1982.

ثم يأتي جيل جديد - أدباء شعراء شباب منهم محمد أمين - من دبي تخرج في كلية الشريعة ببغداد ثم حصل على الماجستير من جامعة كمبردج له ديوان مطبوع سماه (حصاد السنين..) ومنهم مانع العتيبة اكمل دراسته في جامعة بغداد وعاد إلى أبوظبي وصار (وزيرا للنفط) وأصدر عدة دواوين.

ومنهم حمد بوشهاب من عجمان.

وتتعدد المدارس، وتتنوع الصحف.. وتتولى وزارات الاتحاد مهماتها ومنها وزارة التربية والتعليم ووزارة الاعلام والثقافة ومن اصدارات وزارة الاعلام والثقافة (اغاني الافراح في دولة الامارات).

وكان في (ابوظبي) - قبل الاتحاد ومنذ 1968 - مركز للوثائق والدراسات، حتى اذا قام الاتحاد اتسع منهجه وصار يطبع وينشر وجعل من مهمته (انشاء مكتبة متخصصة بالكتب التي تتعلق بمنطقة الخليج والجزيرة العربية).

وتؤسس الدولة المتحدة (جامعة الامارات العربية المتحدة) بالعين عام 1977/1397 - 1978/1398 وكانت عند تأسيسها تضم اربع كليات هي : الآداب والعلوم والتربية والعلوم الادارية والسياسية وفي سنة 1978/1398 أنشئت كلية الشريعة والقانون وفي عام 1980 تقرر انشاء كليتين اخريين هما : كلية الزراعة وكلية الهندسة وفي شهر فبراير 1981 اعلنت الجامعة عن انشاء عمادة الانتساب الموجه وترتبط بالجامعة مراكز منها «مركز اللغات» افتتح عام 1980 - 1981.

وللجامعة - بالطبع - مكتبة مركزية ومكتبات فرعية.

وطبيعي ان تستعين الجامعة بمن تنتدبهم للتدريس من الاساتذة العرب

ويكون لهؤلاء اثرهم في الحياة الادبية..

ومن الأساتذة الذين استعارتهم الدكتور حشمت قاسم المدرس بقسم المكتبات والوثائق بجامعة القاهرة. ومن كان تخصصه (علم المعلومات – من جامعة لندن) وهوايته الكتب لم يتوان عن دراسة النشر في (الإمارات) وجاءته دعوة كلية (عالم الكتب) في الرياض حافزا الى ان يكتب بحثا قيما في الموضوع (ربيع الآخر 1403 / يناير 1983 م ص 614 - 624) ومما جاء فيه جدول التوزيع الجغرافي للمكتبات العامة وجدول توزيع المحاضرات في المواسم الثقافية.. وجدول التوزيع الموضوعي لانتاج دولة الامارات من الكتب فكان عدد الكتب العامة (24) وكتب اللغة والادب (61) .. والمجموع (289) نشرت في الفترة من أواخر الستينات 1968 حتى عام 1982.

بحث الدكتور حشمت قاسم علمي جاد فيه ما يمكن ان ينفعني في عمل كتابي (الكتاب الخليجي) فكتبت اليه راجيا أحد أمرين الأول: أن ينشر بليبوغرافيا بالكتب التي وقع عليها في مجلة (عالم الكتب) او اية مجلة أخرى لأعتمد عليها في عملي، الثاني ان يزودني بما لديه وان اذكره في عملي باسمه. وكان جوابه ان الذي اجتمع لديه اكثر مما انتظره وما زالت الاعداد تتزايد وانه سينشر البليبوغرافيا – مع الدراسة.

انتهينا الى هذا الحد عام 1983 والى الآن ويا حبذا لو نشر الدكتور حشمت قاسم عمله على شكل معجم للمطبوعات.. متضمنا المؤلفات حتى تاريخ صدوره.. فقد شرعت المؤلفات تتزايد، وشرعت فنون الأدب تتنوع فلا تقف عند الشعر (النبطي والفصيح العمودي والحر) وإنما تتعداه الى القصة والمسرح (غير ما زخرت به الصحف من مقالات جديرة بدرس واختيار) ..

ومما صدر في الشعر (هنا باريني عيس . الدعوة عامة) لحبيب الصايغ ويزداد الاقبال على القصة وتتعدد المجموعات..

وفي مقابلة مع محمد المر اجرتها مجلة (كل العرب) (بتاريخ 21 كانون الثاني 1987) ذكر انه اصدر ما بين 1982 – 1985 خمس مجموعات اولها : حب من نوع آخر.

وأصدر عام 1986 ثلاث مجموعات متوالية آخرها مجموعة نصيب وهو يفضل ان يكتب القصة مفهومة مشوقة بعيدة عن الضبابية.

وقال (في الامارات كانت رواية (شاهنده) اول عمل ادبي كتبه راشد عبدالله النعيمي وقد سبق ذلك العمل الروائي كل المجموعات القصصية التي كتبها ادباء الامارات فيما بعد) وبين يدي رواية قصيرة عنوانها (السيف والزهرة) طبعت على مطابع مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع - ابوظبي عام 1984 - 158 ص : عليها ما على الاعمال القصصية الاولى من سمات وان لم تكن العمل الاول لصاحبها (علي ابو الريش) (من مواليد 1956 خريج جامعة عين شمس.. كتب العديد من الروايات والقصص القصيرة وقصائد الشعر صدرت له رواية الاعتراف في سبتمبر 1982) يعمل محررا بجريدة الاتحاد وينتظره اسم يتسع في عالم الأدب الاماراتي.

وفي الامارات مسارح قبل ان يكون (الاتحاد) ويذكر الدارسون ان واثق السامرائي (قدم من العراق الى دبي عام 1962 فمثل اول مسرحية من تأليفه قدمتها فرقة نادي الفلاح الرياضي في الشارقة ونادي الشباب في دبي. وترداد الفرق، خصوصا بعد عام 1970 عددا وتأليفا وتمثيلا - على عامية لغة النصوص وضعف التمثيل.. وأمل التحسن ومراعاة الفصيحة لدى التأليف مع الاستعانة بالخبرات العربية..

وبلغ من الاهتمام بالمسرح ان صدرت في الشارقة سنة 1984 مجلة فصلية متخصصة باسم (الرولة) ولكنها ما أسرع ما توقفت (1986).

ومن الدراسات التي تلم بمسرح الإمارات والحركة المسرحية في الإمارات العربية المتحدة كتاب بعنوان «المسرح في الإمارات رؤية نقدية» لعبدالإله عبد القادر ودراسة لعبدالله علي محمد الطابور (أبوظبي 1985)، محاضرات الموسم الثقافي إصدار حكومة أبوظبي / شؤون الرئاسة - الشؤون الثقافية.

وطبيعي ان تشرع الجامعة في الحركة التأليفية ويأتي البدء من الاساتذة العرب العاملين فيها ويكون من ذلك ما ألفه الدكتور محمد ابراهيم حور (من فلسطين) رئيس قسم اللغة العربية بعنوان (فلسطين في الشعر المعاصر بمنطقة الخليج)، دبي، مؤسسة البيان للصحافة والطباعة والنشر 1984.

وما ألفه الدكتور وليد محمود خالص (من العراق) بعنوان (الشعراء نقادا - 1 - الفرزدق) الناشر مكتبة الفلاح مكان النشر وتاريخه : الكويت 1986 ثم كتاب (المباحث النقدية في أمالي المرتضى) ، دبي، مطابع البيان التجارية 1987/1407.

ومضى اساتذة قسم اللغة العربية خطوة جمعية بان الفوا كتاب (في الادب والنقد واللغة) نشرته لهم مكتبة الفلاح بالكويت، مطابع القبس التجارية 1986/1406 .

خطوة اخرى مهمة عملت عليها كلية الآداب فأصدرت مجلة كلية الآداب - العدد الاول 1985/1405 (دبي، مطابع البيان التجارية) ومناسب ان يعنى الباحثون بموضوعات (اماراتية) وفي هذا العدد منها : قراءة الصحف بدولة الامارات للدكتورين صالح ابو اصبع وتوفيق يعقوب والحركة المسرحية في الامارات للدكتور محمد حور (ص 227 - ص 252) وهو بحث علمي افدنا من مصادره مقالات الجرائد ومنها: ملف الحركة المسرحية في الامارات 1953 - 1983 ومقال لعبد الرحمن الصالح، ودراسة مكتوبة بالآلة الكاتبة لفاروق اوهان بعنوان (المسرح في دولة الامارات العربية المتحدة) يا حبذا لو طبع.

ونذكر ان جامعة الامارات العربية المتحدة استضافت ندوة (مشكلات النشر العلمي العربي) التي اقامها اتحاد مجالس البحث العلمي العربية (للفترة 4 - 6 تشرين الثاني 1985) وكان من وصايا الندوة (انشاء المركز العربي للتأليف والترجمة والنشر) واستعمال اللغة العربية وتوحيد المصطلحات.

ونتذكر (مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة) فنأمل ان يقوم نظير له في جامعة الامارات ليتولى مهمته الخاصة وليمثل الامارات لدى اجتماع (هيئات) مراكز الدراسات الخليجية تاركا (مركز الوثائق والدراسات) ينصرف الى شأنه الخاص او يتعاون معه بتوزيع مجال التخصص.

وتزداد الحركة الفكرية وتتوالى الاجيال الادبية ويبدو مناسبا ان يؤسس في البلاد اتحاد للادباء وقد اسس فعلا عام 1986 باسم اتحاد كتاب وأدباء الامارات (الشارقة ص.ب 4321) وصار له مبنى جديد خاص وشرع يعمل ويعقد ندواته

وأماسيه ويعد (فروعه) ويحاول ان يوصل صوت الاديب الاماراتي الى خارج الحدود او ان يجتذب الاصوات العربية الى الامارات ومن هنا كان الاتفاق مع الامانة العامة لاتحاد الكتاب العرب على ندوة تقام في الامارات محورها (ادب الخليج العربي).

وكان ان اخذ الاتحاد الوليد على عاتقه اصدار سلسلة من المطبوعات كانت الحلقة الاولى منها (كلنا.. كلنا نحب البحر) مجموعة قصصية مشتركة لادباء من الامارات : الشارقة 1986 - 152 ص : (ويأتي هذا الاصدار ليسجل هذا الحضور الجنيني للقصة في الامارات، وليؤكد محاولاتها الدؤوبة على تكوين ذاتها ومن ثم ولادتها الكاملة بعد تراكم تجربتها الخاصة المستقلة بعد سنين من الآن). في المجموعة (26) قصة لستة وعشرين قاصا (وقاصة) تاريخ أقدمها 1970 وحدثها 1986.

جاءت الحلقة الثانية، الشارقة 1986 بعنوان (قصائد من الامارات) 163 ص - مجموعة شعرية مشتركة منها (11) قصيدة عمودية و (9) من قصائد التفعيلة و (23) من قصائد النثر والمرأة حصة في قصائد التفعيلة تزداد في قصائد النثر (فالساحة الشعرية في الامارات لا تزال في حوارات طويلة بين مختلف الاشكال الشعرية ..) ان النماذج الموجودة في هذا الكتاب.. تمثل مرحلة تاريخية هامة جديدة بالتسجيل..).

وكان المناسب ان يسبق القصة او القصيدة تعريف بالكاتب والنص على ما صدر له من مجموعة او ديوان.

ولا بد للاتحاد من مجلة وقد كانت فصلية باسم (شؤون ادبية) صدر عددها الاول ليمثل عدد شتاء 1986 - 1987.

ووجود الاتحاد على هذا يخرج بالنشاط الاماراتي عن حدوده الجغرافية الضيقة وقد حدث هذا فعلا كما رأينا وكما استعانت بنشاطه مجلة لونس (العدد 61 سنة 1987) لا ننتظر المزيد من النشاط ونشر الآثار والبحث عن الدواوين المخطوطة لطبعها.. ومنها ديوان مبارك العقيلي.. وان لم يعثر على الديوان عمل مختارات واسعة بالمتيسر.

ويصدر العدد الثاني من (شؤون أدبية) فيسجل خطوة تقدمية شكلاً ومضموناً ويجتذب إليه اقلاماً عربية فيسهل ذلك تعارفاً أقوى وزيوعاً أكثر ويوصل أخبار نشاطه الى مدى أبعد فالى جوار مدلول الافتتاحية على الاجيال والى جوار الشعر والقصص والدراسة والمقالة والشعر النبطي (العامي) وملف (سوينكا - نوبل 1986)، ما أعلنت المجلة من تثبيت (ندوة العدد) باباً دائماً مع ما أعلنته عن ملفات الآداب الشرقية وما أعلنت عن اصدارات الاتحاد : معجم القوافي والالحان في الخليج العربي تأليف فالح حنظل ، مدخل لدراسة تاريخ الحركة المسرحية في دولة الامارات العربية المتحدة 1960 - 1986 تأليف عبدالاله عبدالقادر وديوان لعمر ابو سالم بعنوان : وردة للوطن وقبلة للحبيبة ومجموعة قصصية لعبد الله صقر احمد بعنوان (الخشبة) وما وصل الى الاتحاد من مخطوطات بغية نشرها وفيها مجموعة قصصية لقواد مرعشي بعنوان (صحيح الساعة القادمة) وترجمات منها رواية لعزیز نيسين بعنوان (اطفال آخر زمان) ترجمة عمر عدس ومنها الزهرية محكمة الصنع - دراسة - كولينث بروكس ترجمة د. محمود شكري مصطفى، رائحة الجواقة ترجمة فكري بكر.. مع خبر (ملتقى الاربعة الادبي) وقرار (الاتحاد) اعتبار هذه السنة 1987 سنة سالم بن علي العويس الثقافية وقد دعا الاتحاد الى تشكيل لجنة عليا للاحتفال بمئوية سالم بن علي العويس - (ولد.. في بلدة الحيرة الواقعة بين امارتي الشارقة وعجمان سنة 1887 ميلادية وبدأ نظم الشعر في السادسة عشرة. وعمل في دبي بتجارة اللؤلؤ مما جعله يصل الى الهند بين فترة وأخرى، ثم اتجه الى الزراعة ... ومرض وتوفي سنة 1959 بعد ان ترك حصيلة خمسين سنة من القصائد التي ضاع قسم منها ..) كما يقول عبد العزيز بن ناصر العويس في تقديمه لديوان سالم (..) ويطغى الموضوع السياسي .. على مجمل قصائد سالم العويس التي تضمنتها (اعماله الكاملة) بعنوان (نداء القلب)....).

زاد عدد الاعضاء العاملين في (اتحاد كتاب وأدباء الامارات) على الثلاثين بينهم اكثر من امرأة أديبة وتكون مجلس ادارته من : عبدالغفار حسين وعبد الحميد احمد وناصر جبران وابراهيم الهاشمي وعلي ابو الريش ونجيب الشامسي وناصر العبودي.

ونعود الى الاخبار عما صدر حديثاً : (ملاح) للشاعر حبيب الصائغ (عندما

تستيقظ الاشجان) رواية لعلي محمد راشد صاحب رواية (جروح على جدار الزمن) (البيدار) مجموعة قصصية لعبد الحميد احمد صاحب مجموعة (السباحة في عيني خليج يتوحش) و (هنادي النخلة والسنونو) مجموعة قصصية لعبدالله عبدالقادر.

ومن الدراسات : الحركة المسرحية في الامارات العربية المتحدة .. في إمارة رأس الخيمة 1968 – 1978 لعبد الله علي محمد الطابور اجراها باشراف الدكتور ناصر ثابت المدرس بجامعة الامارات ..

و (دراسات في القصة القصيرة في الخليج العربي) لرعد عبد الجليل جواد..

وقفنا هذه الوقفة لما لها من صلة مباشرة بالكتاب حاضرا وما ينتظر منها مستقبلا و (الاتحاد) على هذا مفتاح حركة لن تقل عن (الجامعة) وقد شرع . يثبت خطاه ويوسع مداه أملين ان يبقى على جده وهمته.. وان يذلل ما يعترضه من عقبات منتظرة وينتظرها وظهر بعضها مبكرا – كما هو طبيعي ..

ويبقى من مهمة الاتحاد عمل فهرس للمطبوع الاماراتي ودليل الى الاديب .. وقد ندعو الى اقتران قانون الايداع...

7 - عمان

لعمان تاريخ طويل معقد قبل الاسلام وبعده، نقف عند الخوارج والقرامطة، وعند الاباضية من المذاهب خصوصا. ولدى اسر حاكمة متعددة من آل الجلندي، وآل نبهان (النباهنة) واليعاربة ثم آل أحمد بن سعيد (البوسعيد) وما كان خلال ذلك من منازعات وحروب وخلاف واتفاق بين اعضاء الاسرة الحاكمة الواحدة او بين أهل الدين والدنيا (الامامة - والسلطة) وما كان من نفوذ او تدخل اجنبي برتغالي او فارسي او عثماني او بريطاني او امريكي.. ومواقف اهل البلاد منه..

ولعمان تاريخ طويل عريق ذو خصوصية في التأليف.

واذا كان الخليل بن أحمد وابن دريد والميرد ادخل بالكتاب العربي العام، وتداخل تاريخهم مع الكتاب العراقي.. فان الذين هم في الصلب من الكتاب العماني كثيرون.

نذكر للقرون الخمسة الاولى (الهجرية) الديوان للامام جابر بن زيد في عشرة اجزاء، السيرة لعبد الله بن اباض والجامع الصحيح في الحديث للربيع بن محبوب. وكتابا في الفقه لمحمد بن محبوب بن الرحيل القرشي وصف بانه بلغ سبعين مجلدا (ليسجل بدءا لظاهرة تعدد المجلدات تعددا غير مألوف) وكتابا لولده بشير باسم الخزانة في الفقه في نحو سبعين او تسعين مجلدا، وبيان الشرع لتضمنه معاني من الاصل والفرع للشيخ ابي عبدالله بن ابراهيم الكندي

في ثلاثة وسبعين مجلدا وكتاب الضياء العوتبي صاحب الانساب في اربعة وعشرين مجلدا لسلمة بن مسلم العوتبي .

وطبيعي ان يكون للقوم شعر منه ما يرد استشهاداً ميثوثاً في غضون هذه المجلدات الضخام وما يمكن ان يدخل اغلبه في التعليم والوعظ وما يحتمل ان يكون مستقلاً في ديوان.

وأول اسم ورد علينا مع النص على وجود ديوان له : الكافي ابو علي ابزون (افزون) ويعود الى الاستاذ هلال ناجي (من العراق) فضل اكتشافه وجمع ما تبسر من باقي شعره.

وحين ندخل القرن السادس نبدأ مع حكم النباهنة يستمر ليدخل القرن الحادي عشر.

ولدينا من شعر هذا العصر ديوان مخطوط هو ديوان الكيزوي (موسى بن حسين بن شوال) وديوان مطبوع هو ديوان الستالي (احمد بن سعيد من القرن السادس – السابع) حققه عز الدين التنوخي (من سوريا) والستالي شاعر مجيد وديوانه مصدر مهم لتاريخ سلاطين النباهنة واحداث عصرهم – وقد عزت مصادرههم –.

واذا كان النباهنة حكام دنيا وعلى خلاف مع الائمة فما كان ذلك ليضعف شأن الائمة في التأليف ..

للكندي – المصنف في 24 مجلداً أو 41 – ابو بكر أحمد بن عبد الله بن موسى الكندي – والكفاية في 51 مجلداً – وقيل 70 مجلداً.

وللصم – التاج في 51 مجلداً – عثمان بن ابي عبد الله.

والبصيرة – بصيرة الايمان.

– وكتاب النور.

ولولده عبدالله – الابانة والصكوك والكتابة.

– والرقاع في احكام الرضاع.

ولحفيده (أحمد بن سليمان بن عبدالله) (ابن النظر) سلك الجمان في سيرة أهل عمان (اربعة مجلدات) ابو حميد في التقليد (مجلدان) مرمى البصر في جمع مختلف الاثر (اربع مجلدات).

وكان لابن النظر هذا ديوان يغلب عليه الغزل، مزقه وعوضه بمنظومات في الشريعة ومن هذه الكتب ما فقد مع الزمن ولم يصل إلينا الا اسمه او وصفه ونكرر ان لا بد من شعر وشعراء، كائنًا ما كان ذلك الشعر فقهيًا علميًا ام غير فقهي.

ولسليمان بن سليمان النبهاني (المتوفى سنة 1910 هـ) ديوان مطبوع حققه عز الدين التنوخي. وسليمان هذا من سلاطين آل نبهان ولعله اشعر من الستالي او اكثر اصاله في الاقل وأقل تقليدا.

وسيستمر الدرس والتأليف والشعر..

وندخل منذ أوائل القرن الحادي عشر مع دولة (اليعاربة) التي اسسها الامام ناصر بن مرشد واستمر حكمهم الى النصف الثاني من القرن الثاني عشر.

ومن المؤلفات في زمنها :

منهج الطالبين (21 مجلدا) للقاضي خميس بن سعيد بن علي بن مسعود الشقصي وخزانة الاخيار... وسيرة الامام ناصر بن مرشد لعبد الله بن محمد بن عساف والتبيان لدرويش بن جمعة.

وكشف الغمة لجامع اخبار الائمة لسرحان بن سعيد الشرجي الازكوي.

والمؤتمن في مناقب نزار واليمس لسليمان بن بلعرب.

وعين السواد (في الفقه) لمحمد بن مسعود الصاري.

وفي العصر – بالطبع شعر وشعراء ومن الشعر ما جاء في غصون كتب الفقه والسيرة واللغة ومنه ما كان مستقلا فلناصر بن مرشد ديوان، شرحه سليمان بن بلعرب ولخلف بن سنان الغافري قصائد مدح ومقصورة في التاريخ والفقه.

ومن الشعراء محمد بن مسعود الصارمي. وعلي ناصر الرياحي والمحرق

والحبسي وهو راشد بن خميس بن جمعة بن أحمد الحبسي اغزهم شعرا، له مدح الامام سيف بن سلطان وله القصيدة الخيلية، طبع ديوانه في مسقط.

وضعف شأن اليعاربة وفسد امرهم فاستولى على الحكم سنة 1167 هـ / 1741 م أحمد بن سعيد البوسعيد ليؤسس دولة وراثية. توفي فخلفه ابنه سعيد (بن أحمد بن سعيد) وكان ادبيا شاعرا من شعره :

يا من هواه اعزّه وأذلني كيف السبيل الى وصالك دلني
وتركتني حيران صبا هائما ارعى النجوم، وأنت في نوم هني
عاهدتني ألا تميل عن الهوى وحلفت لي يا غصن ألا تنثني
هب النسيم، ومال غصن مثله أين الزمان؟ وأين ما عاهدتني؟

خرج عليه ابو نبهان (محمد الخروصي) المتقدم بالعلم والفضل وخرج عليه اخوه سلطان (بن أحمد بن سعيد) بالاتفاق مع ابي نبهان (محمد الخروصي) وكان من شأن سلطان (بن احمد بن سعيد) رد ما أمكنه من ملك الهند وممباسة وزنجبار.

اعقبه ابنه سعيد (بن سلطان بن احمد بن سعيد) فحقق مطمح ابيه في ارض الزنج وفارس وزنجبار، وكان يفضل الإقامة في زنجبار وحوله شعراء وادباء وعلماء نعرف جيدا من شعرائه ابن عرابية (هلال بن سعيد بن عرابية) له ديوان طبع بتحقيق الدكتور داود سلوم (من العراق).

ومن شعراء هذه المرحلة من الدولة البوسعيدية :

راشد بن سعيد بن بلحسن العبسي، مدح احمد بن سعيد.

سعيد بن محمد الغشري الخروصي – له ديوان

القاضي الفقيه ابو الاحول سالم بن محمد الدرمني – مدح السلطان احمد بن سعيد وعاش مقربا منه واشتهرت له نونية فيه.

وابو ناصر بن محمد الخروصي – معاصر له عارض النونية.

ابن رزيق حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت من شعره ديوان (جواهر الاشعار وفريد الافكار) (طبع مصورا) وديوان سبائك اللجين وقرة العين (طبع)

كذلك). ومن المؤلفين من ابناء العصر :

محمد بن السلطان احمد بن سعيد، له (سيرة ابي نهبان) والشيخ جميل بن خميس السعدي وله القاموس - قاموس الشريعة الحاوي لطرقها الوسيعة (90 جزءا، أو 92) وهو تنقيح وزيادة على كتاب (بيان الشرع).

ومن غرائب الاحوال والمؤلفات ما كان للشيخ ناصر بن محمد الخروصي ابي نهبان فقد عرف الشيخ ناصر هذا بالسحر وإبطال السحر وله من المؤلفات (ديوان المصطفى في الصفة الفلسفية والحكمة الربانية، طرف اللطاف والسر الخفي في شرح مربع الشكل القافي والشكل الالفي).

وللشاعر ابن رزق مؤلفات منها : الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين (طبع في القاهرة 1977 بتحقيق عبد المنعم عامر ود. أحمد مرسى-عبدالله) والصحيفة اليمنية، الصحيفة القحطانية، علم الكرامات، البدر التمام، السيرة الجليلة، الشعاع.

مات سعيد بن سلطان سنة 1273 هـ / 1856 م.

فانقسمت الدولة الى :

- 1 - السواحل في افريقيا حكمها ماجد بن سعيد ثم برغش بن سعيد (وللسواحل، مطبعة وصحافة وكتب للمذهب).
- 2 - مسكد حكمها ثويني بن سعيد ثم سالم بن ثويني.

ولم تكن الامامة على وئام مع السلطنة واشتد الخلاف حتى كان عهد الامام عزان بن قيس (بن عزان بن قيس بن أحمد بن سعيد البوسعيدي) فقد بويع بالامامة في مسقط بعد خلع السلطان ابن ثويني سنة 1825 (دام حكمه حتى 1287 هـ / 1868 - 1871 م).

وقد ساندته وساند الامامة الشعر والشعراء ومن ابرزهم :

سعيد خلفان الخليلي (1236 - 1287 هـ) وله ديوان شعر في التصوف وله كتاب النواميس الرحمانية في تسهيل الطريق الى العلوم الربانية - مطبوع -).
وابو مسلم ناصر بن سالم الرواحي - عاش حيناً في زنجبار له ديوان طبع

بمصر سنة 1957 وابو وسيم خميس بن سليم – ابو وسيم الازكوي – له قصائد مخطوطة والمر بن سالم.

والبهلاني – هو مع عزان وله مطولات في ديوانه.

وكان سلاطين ابو سعيد مستمرين على تشجيع الشعر والشعراء وبرز فيهم على وجه ملحوظ السلطان فيصل بن تركي (1888 – 1913) حتى انه انشأ سوقا للادب وكان شعراء عهده محمد بن شيخان (له ديوان مخطوط) ومحمد بن سليمان المجيزي (1364 هـ) وقد قربه كثيرا وطبع له ديوانه – ولعله أول ديوان طبع ..

وشجع السلطان فيصل بن تركي العلماء كذلك، ومنهم الشيخ ابو عبدالله نور الدين محمد السالمي وقد طبع بعض كتبه بمصر (حاشية الجامع الصحيح) وهو مؤلف كتاب قيم، تاريخي مهم جدا (اعتمدنا عليه كثيرا) اسمه تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان – مطبوع – ومضت الامور بين الحاكم والمحكوم تشدد.

وتتمثل الشدة باهل الامامة والمؤمنين.. في سخطهم على الحكم السياسي وتشدد وتأخذ معنى وطنيا يشرب المعنى الديني.

وتستجیل ثورة مسلحة عصية مقرها الجبل الاخضر من عمان تطالب بالاصلاح وبلاستقلال.

وحين يدخل المعنى الوطني الادب والشعر خاصة يسجل للحداثة شأن سابقه الشعر العربي في مصر والشام والعراق. ومع الثورة الوطنية والمكاتب في الخارج والدعوة من الخارج يزداد الاتصال بما آل اليه الادب العربي والشعر العربي في الاقطار التي يحل بها الدعاة الثائرون.

واذا كان الشعر الذي رأيناه خلال العهود المتعاقبة حتى هذا القرن الرابع عشر (مطلع القرن العشرين) ضعيف الروح قليل الدلالة على الشاعرية الحق، متكلفا يزداد احتفاله بالبدیع، جامدا خامد العاطفة والخيال ..

فإن الشعر الحديث فيه حماسة وفن فكأنه شعر اليقظة بعد الركود الطويل وتتضاءل – أولماماً تتضاءل – الصناعة اللفظية – البديعية خاصة ويقل الغريب كذلك ويأتي الميل الى وحدة الموضوع.

يأتي الحديث – بالطبع – تدريجاً مع الزمن ولدى الشاعر نفسه. ولا نبالغ
فنتحدث عن الصورة والذوق والموهبة وكأن الحداثة قد تمت وتهياً لها ما تهياً
في الاقطار العربية السابقة فيها. ونذكر الى جانب الوطنية والاستنهاض اتساع
الرقعة الى المشاركات القومية والى مكان لفلسطين، (ينظر كتاب الدكتور علي
عبدالخالق علي – الشعر العماني : مقوماته واتجاهاته وخصائصه الفنية –
القاهرة) دار المعارف 1984 – 244 ص – وقد افدنا منه كثيراً الى جوار المصادر
والمراجع الاخرى ومنها كتاب عبدالله محمد الطائي – الادب المعاصر في
الخليج العربي – القاهرة 1974 ...

وشعراء هذه المرحلة كثيرون – على اختلاف في الدرجة ومدى الحداثة
اشهرهم سعد بن خلفان الخليلى – له ديوان، مخطوط، مصور.

ابو مسلم الرواحي ناصر بن سالم – له ديوان مطبوع، القاهرة، دار القاهرة
للطباعة 1957 .

ابو وسيم خميس بن سليم الازكوي – له قصائد مخطوطة.

ابو سلام الكندي – سليمان بن سعيد – له قصائد مخطوطة.

هلال البوسعيدي – له ديوان مخطوط.

خالد بن هلال الرحبي – ضاع معظم شعره

محمد بن شيخان – له ديوان – ديوان ابن شيخان السالمي – مطبوع –.

الرقيشي – سالم بن محمد – له ديوان خطوط.

عبدالله بن علي الخليلى السمائي – له ديوان الخليلى، طبع في عمان ومن
نافذة الحياة مجموعة شعرية، القاهرة، دار الاتحاد العربي 1973 و وحي
العبقريّة .

ابو سرور حميد بن عبدالله السمائي – له ديوان باقات الادب، القاهرة 1975 .

سعيد الصقلاوي – له ترنيمة الامل، مسقط، المطبعة الحكومية 1975 .

ذياب بن صخر العامري – له قصائد من الزمن البعيد، منشورات وزارة

الاعلام العمانية.

عبدالله بن محمد الطائي له – وداعا ايها الليل الطويل، حلب 1966 والفجر الزاحف – حلب 1966.

ومن الحداثة ان يزاول الشعراء قصيدة التفعيلة وقد زاولوها ومن ابرز شعراء الشعر الحر محمود الخصبيني وله ديوان مخطوط.

ومضوا الى قصيدة النثر وعرف بها خليفة الطائي وله ديوان مخطوط بعنوان «ايام من الماضي» ومن الشعراء ذوي النزعة التجديدية : سيف الرحبي صدر له نورسة الجنون، واجراس القطيعة، والجبل الاخضر.

ويا حبذا لو تهيأ للمخطوط من يطبعه وللمطبوع من يعيد طبعه وينشره.

هذا في الشعر ..

وليس لدينا عن القصص من الادب العماني كثير ومن المنتظر جدا ان يكون وان تحتوي الصحافة منه على نصيب.

ونذكر من المطبوع لعبد الله محمد الطائي (ملائكة الجبل الاخضر) يمكن ان توصف بانها تاريخية، بيروت مطبعة الوفاء 1386/1966.

واذا كنا رأينا الطائي شاعرا وقاصا فلنتذكر انه حين هاجر من عمان الى البحرين في الخمسينات اتخذ له ركنا خاصا من مجلة (صوت البحرين) بعنوان (شعراء من جزيرة العرب) وقدم احاديث ادبية وتاريخية من الاذاعة وحين انتقل – بعد ذلك – الى الكويت في الستينات عاد الى موضوعه المفضل في برنامج اذاعي اسبوعي بعنوان (دراسات عن الخليج العربي ..).

ان الطائي نواة صالحة في البحث الادبي وهو طليعة البحث الجديد في عمان ويا حبذا لو جمعت كتاباته واحاديثه وطبعت في كتاب.

وأحسن معهد البحوث والدراسات العربية التابع للجامعة العربية بالقاهرة إذ دعاه سنة 1973 ليلقي محاضرات عن (الادب المعاصر في الخليج العربي) واذا كان قد توفي في تموز 1973 فان المعهد قد اخرج المحاضرات في كتاب سنة 1974 فكان كتابا قيما جدا وهو مصدر لادب الخليج عموما ولعمان خصوصا.

ولا بد للبحث بعده من ان يستمر.

وبرز في الترجمة من العمانيين محمد امين عبد الله وقد نقل الى العربية عدة كتب موضوعها خليجي - ظل مقيما في مصر.

ونعود - بعد هذه الجولة - الى السياسة او حكم البلاد وقد رأينا الثورة وأثارها وكان لا بد من تدارك الامر وعمان معزولة عن العالم بعيدة عن اي مظهر من مظاهر المدينة الحديثة في المدارس والطرق والكهرباء والمستشفيات والادارة فكان ان ابعد السلطان سعيد بن تيمور وقام ابنه قابوس في 23/ يوليو سنة 1970 وشرع (يمدن) القطر استجابة لمتطلبات العصر التي لم يعد حكم قادراً على البقاء بدونها ودفعاً لدلالات من النفوذ الاجنبي ولا مفر من الوزارات، ومنها للاوقاف، والتربية واهم ما يعنينا وزارة الاعلام (والشباب) وهي تنشر كتباً، وسلاسل كتب.. اذا كانت غايتها الاولى اعلامية فمن الاعلام ما يدخل الجانب الادبي.

ثم وزارة اخرى تنفرد بها عمان هي وزارة (التراث القومي والثقافي) وقد رأينا في ضخامة المخطوطات الموروثة ما يدعو الى مثل هذه الوزارة وقد كانت - على ما يظهر - عند حسن الظن فيما شرعت تحقق وتصدر من اجزاء المخطوطات متعددة الاجزاء، او ما تحققه وتنشره مستقلاً او ما تنشئه من سلاسل او ما تنشره من جديد لمؤلفين عمانيين ومن المؤلفين ادباء وشعراء خصوصاً..

ولم يفتها ان تستعين بالخبرة العربية (المصرية) في التحقيق وان تعيد نشر ما يحسن اعادة نشره - أنشئت هذه الوزارة سنة 1976..

ومن الكتب متعددة الاجزاء التي شرعت تحققها وتطبعها جزءاً جزءاً.. المصنف، الكفاية، الخزانة، الضياء، بيان الشرع، قاموس الشريعة، الانساب، منهج الطالبين، لباب الآثار، الجامع لابن جعفر، فاكهة ابن السبيل، سلاسل الذهب، هميان الزاد الى دار العباد، التيسير، وفاء الضمانة باداء للامانة، العقود المفضلة، حاشية الترتيب، مكنون الخزائن.

كما نشرت تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لاختبار

الائمة وكتاب شذرات الذهب في الصنعة الشريفة الكيماوية - نظم الحكيم الشوري علي بن موسى، وكتاب الفتحة المبين، وجهينة الاخبار، سيرة الامام ناصر بن مرشد، ازالة الوعناء، صدق المناهج، دليل السالك..

واذا كانت هذه الكتب كتب دين من فقه وغيره وتاريخ فانها صورة من صور التأليف والكتابة والنثر وانها تحتوي - أكثر من ذلك - على شواهد كثيرة من الشعر وهي كتب أدب - بوجه من الوجوه وبالمغنى العام للادب، ومن الفقهاء من قال شعرا او نظمه.

واذا كانت قد استعانت - لدى التحقيق - بالخبرة العربية - وحسنا فعلت - فمناسب جدا ان تعد لتحقيق من هم أهم من أبناء البلاد ليعينوا الخبرة العربية وليكونوا على علم (بديهي) بما لا تعلمه الخبرة العربية من الشؤون المحلية.

ومما نشرته من الشعر ديوان الغشري (سعيد بن محمد الخروصي) بتحقيق ومراجعة محمد عبدالمنعم خفاجي (مصري) 1981، ديوان الخليلي، ديوان ابن شيخان السالمي، ديوان ابي مسلم البهلاني، ديوان سيف النقاد، إشراقات من الشعر العماني..

ومما اعادت طبعة ديوان الستالي (بتحقيق التنوخي) 1980/1400 وديوان النبهاني، ديوان جواهر السلوك، ديوان ابن الصوفي.

بلغ ما نشرته الوزارة حتى 1983/2/19 مئة وخمسين كتابا (باعتبار الجزء كتابا).

المهمة ازاء وزارة التراث القومي والثقافة كبيرة لضخامة التراث وتوزعه، فضلا عن الحديث الذي لا بد من مراعاته.

ويحدثنا فهمي هويدي (مجلة العربي، جمادى الآخرة 1403 / نيسان 1983 ص 124 - ص 135) بما يعكس دهشته لما رأى وسمع في جولة (ثانية) له في القطر وزيارات للمكتبات الخاصة او احاديث عنها وتقدير لجهود وزارة التراث القومي والثقافة.. فيقول «... ولعل ما أنجز حتى الآن هو قطرة من بحر (..) ذلك ان عالم المخطوطات العمانية زاخر بالكنوز التي قد تحتاج الى عشرات السنين لاكتشافها (١٠) وثمة تقدير مبدئي يقول ان بين يدي دار المخطوطات العمانية

حوالي أربعة آلاف مخطوط بينما هناك ما لا يقل عن 30 ألف مخطوط عند مختلف الاسر والرقم قابل للزيادة (٠٠٠) وقد أذن لي واحد من علماء عمان ان اطلع على مكتبته في بلده (بديّة) .. وهو الفقيه المؤرخ الشيخ محمد بن عبدالله بن حميد السالمي، وكان لديه فيما ذكر، عدد (متواضع) من المخطوطات في حدود 500 مخطوط فقط.

.. وتحمل كتب الفقه صدارة المخطوطات، وهي تدور حول الفقه الاباضي بطبيعة الحال ومنها كتاب (بيان الشرع) .. الكفاية .. الخزانة .. المصنف .. الضياء. وغير هذه الكتب التي تعد في مرتبة الامهات، ففي الفقه الاباضي مجموعة اخرى من الكتب الجوامع مثل جامع ابن بركة، وجامع ابن الحسن البيدي وجامع ابن جعفر الازكوي .. الخ ...

ويقول كبير شعراء عمان الشيخ عبدالله الخليلي .. وقد طغت شهرته كشاعر على وظيفته كوكيل لوزارة العدل، وفي عمان - بالمناسبة - ليس هناك من هو متفرغ للشعر لا لتعذر ذلك من الناحية العملية فقط، إذ الاكثريّة شعراء، ولكن ايضا لان التفرغ للشعر يشكل قيمة سلبية في المجتمع العماني فالتفرغ قد يبدو تعبيرا عن الارتزاق بالشعر والاتجار به، وهو أمر لا يليق في بلد يعتبر الشعر خبزا يوميا يتعاطاه الجميع ولذا لا نستغرب ان يكون رئيس لجنة فحص الانتاج الشعري في مسابقة العام الماضي هو كريم الحرمي، وزير البرق والبريد والهاتف، فالرجل شاعر له باعه، ولا نستغرب ايضا ان يكون اشعر الشباب هو سالم الكلباني الذي يعمل شرطيا في العاصمة.. وهكذا ومن فوائد حديث الخليلي ان شعر المدائح النبوية او الشعر الصوفي (يسمونه السلوكيات) قد اختفى من الساحة العمانية منذ زمن. ويضيف: انه بسبب التعليم الديني الذي ساد البلاد طوال القرون الماضية، فان الادباء - كقاعدة - ظلوا يدخلون الى عالم الثقافة من باب الفقه فالاديب يبدأ فقيها، وقد ينتهي كذلك لكنه ايضا قد ينتهي شاعرا أو مؤرخا أو نحويا.

(وبلدة - سمائل) التي تعد احد مراكز العلم والفقه هي ابرز معامل تفریح الادباء والشعراء (..) ان اكثر من ثلث الشعراء العمانيين البارزين نشأوا في سمائل.

ومن رأي الخليلي (ان الشعر الأصيل – المقفى – سيظل يتربع على عرش الأدب في عمان لأجل ليس بالقصير، أما الشعر الحديث فلا يزال مستغرباً على الأذن العمانية ولم يطرقه أحد من الشعراء (وان كان للخليلي محاولة واحدة من هذا النوع، عالج بها مسرحية شعرية) اما الشبان.. فربما كان بينهم من يكتب الشعر الحديث، لكنها تظل محاولات محدودة وغير مرئية).

والتقى فهمي هويدي – كذلك – بواحد من ابرز شعراء جيل الوسط سليمان بن خلف الخروصي (الذي يعمل مديراً للعلاقات في وزارة التراث (٠٠) وهو لا يجد للشعر الحديث ايقاعاً او معنى او قيمة.. وهو لا يعترف في شعراء العصر الحديث) من شعراء عمان الاربعة هم ابو مسلم البهلاني والنبهاني والسناني والخليلي ..) ولا بد من أن تكون (السناني) تحريف للشاعر (السمايلي) الذي رأيناه.

مقال الأستاذ فهمي هويدي قيم جدا ولا سيما إذا تذكرنا ندرة مراجعنا عن الادب العماني وكلامه يفسر للقارئ سبب اهتمامنا – هنا – بذكر الفقهاء وكتب الفقهاء فقد اتضحت الصلة المتينة بين الفقه والادب. وذكر هويدي كذلك نظم الفقه شعراً كما فعل البطاش في سلاسل الذهب وسيف بن شيخان الاغبري في (فتح الاكمام عن الورد البسام في رياض الاحكام) سلاسل الذهب في الاصول والفروع والادب تأليف القاضي محمد بن شامي البطاش صدر في آخر اعوام القرن الرابع عشر الهجري في (عشرة أجزاء ومائة ألف بيت من الشعر).

وطبيعي ان يتضاءل هذا النوع من النظم مع ما تضاءل لمقتضى العصر.

ومن فوائد الأستاذ فهمي هويدي أن (ديوان الخليلي) (عبدالله) حذفت منه (القوميات) عندما طبع في السلطنة منذ عدة سنوات ولكنه اصدرها في القاهرة بعنوان (من نافذة الحياة) ومنها ان عمان هي التي اختارتها دول مجلس التعاون الخليجي (لاسبوع الشعر) الذي يعقد كل سنتين ويلمح الاستاذ هويدي الى ان الذي تم في عمان هو بدء الحياة الجديدة ويأمل ان تكون النهضة عامة صحيحة .

ولم ينقطع التأليف لدى الشيوخ ومن درس عليهم وقد مر معنا اسم الشيخ نور الدين السالمي (1286 – 1332) صاحب الكتاب المهم – الذي افدنا منه كثيرا –

(نهضة الاعيان بسيرة أهل عمان) وقد تكرر طبعه وله معه اكثر من ثلاثين كتابا ونذكر هنا الشيخ عامر بن خميس المالكي وخلفان بن جميل وابن رزيق.. والشيخ سالم بن حمود السيابي الذي تصل مؤلفاته الى الاربعين والشيخ محمد بن عبدالله السالمي والشيخ سعيد بن خلف الخروصي والشيخ محمد بن شامي البطاش والشيخ عبدالله بن علي الخليلي.. وغيرهم - تنظر مقالة الاستاذ احمد الفلاحي في (عالم الكتب ربيع الآخر 1403 / يناير 1983).

وكنا نود ان نعلم ما لعمان خارجها من طلبه للعلم الحديث في اقطار عربية وغير عربية كما كان للاقطار الخليجية الاخرى، واذا كنا لا نعرف شيئا عن ذلك فلنا ان نتصور الممكن منه وما ينتظر ان يزداد.

ومن علمنا ان امرأة قد تكون عمانية حصلت على الماجستير من مصر في التاريخ وانها اختارت موضوع رسالتها - كما يجب - من تاريخ بلادها تلك هي (الآنسة عائشة علي السيار) في (دولة اليعاربة في عمان وشرق افريقيا) اشرف عليها الدكتور صلاح الدين احمد العقاد ومنحها ارشاداته الدكتور جمال زكريا قاسم ولهذين الاستاذين الفاضلين تخصص بالخليج ومؤلفات قيمة.

صدرت الرسالة مطبوعة ببيروت - دار القدس 1975

ونحن نذكرها هنا لسببين متلازمين الاول لريادتها في البحث الجامعي - وصلا بكتاب الطائي، الثاني لما لليعاربة عموما من صلة بالادب والشعر، ولم تفت الباحثة هذه الناحية (تنظر ص 145 - 154).

ولا يمكن الا تفكر السلطنة بالتعليم العالي ومن هنا جاء قرارها بانشاء جامعة في البلاد وفتحت هذه الكلية عام 1986 بأربع كليات احداها للآداب.

وقد يفتح في كلية الآداب مركز لدراسات الخليج العربي على غرار مركز جامعة البصرة ليتم التعاون ويتواصل التنسيق، والا فما رأينا لعمان مكانا يذكر لدى اجتماعات (المراكز والهيئات العلمية المهمة بدراسات الخليج العربي).

وقد تتولى كلية الآداب ندوة علمية - كالذي فعلته الوزارة لتاريخ عمان سنة 1980 وطبعت موادها اجزاء باسم (حصار ندوة الدراسات العمانية) - للادب في عمان تصدر بحوثها في كتاب.

ولقد رأينا في سلطنة عمان ادبا وأدباء وشعرا وشعراء وكنا نود ان نعلم شيئا عن ملتقى هؤلاء الأدباء، ألهم رابطة ؟ ناد؟ جمعية ؟ اتحاد ؟ اذا لم يكن فإننا نأمل ان يكون اتماما للفائدة وخدمة لعمان نفسها كما هو خدمة للادب العربي كله.

ثم نأمل تنبيه المسؤولين – مبكرا – الى ضرورة فهرسة المطبوعات .. واقرار قانون الايداع..

وليس هذا بصعب ولا بد من ان يكون شيء منه جاهزا في وزارة التراث القومي والثقافة او في وزارة الاعلام.

وأذكر – بهذه المناسبة اني كتبت سنة 1983 الى وزارة الاعلام راجيا مدي بمعرفة عن الكتاب فجاءني جواب نافع بتوقيع : محمد بن حمد الرحبي – مدير المطبوعات والنشر مشفوعا بقائمة من مطبوعات الوزارة وقائمة اطول من مطبوعات وزارة التراث القومي والثقافة.

اذكر لأشكر، لانها كانت الوزارة الوحيدة من وزارات الاعلام الخليجية التي تفضلت بالجواب ...

8 - الاحواز

الاحواز (يسمى بغير اصله العربي : الاهواز او عربستان أو خوزستان) يقع في القسم الشمالي الشرقي من الخليج العربي الى الجنوب الشرقي من العراق، بمساحة نحو 160 000 كيلو متر مربع وسكانه نحو اربعة ملايين يجري فيه النهر الذي سماه العرب دجيلا (وسماه الفرس كارون : اشهر قبائله بنو كعب وبنو لام وبنو كثير وبنو اسد وبنو طرف.. اطلالات، آل عامر البوجاسب، البوفرخان.. واهم مدنه الاحواز، الحويزه، المحمرة، عبادان، الدورق (الفلاحية)..

قلت : الاقطار العربية المطلة على الخليج سبعة، وهي في حقيقتها ثمانية، وكل ما في امر هذا القطر الثامن ظروف خاصة جعلته خاضعا - اذ فقد استقلاله عام 1925 - لايران فذاق من اضطهادها ما لاقي وكان المفروض باسلام ايران ان يدفعها الى استغلال ما يتمتع به هذا الاقليم من اصاله اللسان العربي ان تفتح له باب اللغة العربية على مصراعيه تعلما وتعلما ودينا وپنيا.. واذا فقد الاقليم ابسط مقومات اللغة الخاصة به وعملت السلطة الايرانية على (التفريس) صار بعيدا جدا الحديث عن جامعة عربية فيه او عن كلية للغة العربية - في الاقل، وحين بعد هذا وهذا كان على العرب - من ابناء الخليج خاصة - التنبه الى الخطر والعمل بالوسائل كلها لتخفيف المحنة (اللغوية في الاقل) بالتفاوض على فتح المدارس العربية فيه وبفتح ابواب مدارسها وجامعاتها واسعة لابنائهم مع اقصى عوامل التشجيع الممكنة - وغير الممكنة. وقد حاول

العراق ذات يوم شيئاً من ذلك فكانت له مدرسة فيه.. ولكن الجدوى كانت قليلة ثم لم يلبث هذا القليل ان تلاشى.. ويحرص ابناء الاحواز كثيراً على حماية لسانهم ويكلفهم ذلك كثيراً ثم ان جدوى الحرص تتضاءل ولا يبقى منها الا التشبث باللهجة الدارجة وشعر عامي بها وقليل قليل من اللغة الفصيحة والشعر الفصيح ثم لا وجود لشيء اسمه الكتاب العربي ..

واذا كانت الاحواز في احوالها الحاضرة على هذا البعد الشاسع عن الكتاب – ومنذ ان قضى رضا بهلوي على امير المحمرة الشيخ خزعل (سنة 1925 م – 1344 هـ) فما كانت – قبل ذلك – كذلك وخاصة فيما بين القرن التاسع الهجري واواسط القرن الرابع عشر الهجري وكأنها تتفوق على كثير من نظائرها في الخليج وغير الخليج احياناً واقرب الى ما كان العراق عليه. لقد كانت مؤثلاً للعربية وظهيراً للشعر العربي وملأها للكتاب، وحين كان الامل يقوى لتزاد رسوخاً وخدمة وفكر الشيخ خزعل في انشاء الدراسة ويمر بباله شيء من انشاء جامعة وان تكون الاحواز والعراق دولة واحدة.. ولكن رضا بهلوي قضى على ذلك كله بقضائه على الشيخ خزعل والاستبداد بالسكان.. والجور على الكتاب.

فكيف كان ذلك؟ أي كيف ازدهر الكتاب العربي في الاحواز.. وكيف قل؟

يمتد تاريخ العرب في اقليم الاحواز في قدمه امتداد العرب في المنطقة (ينظر كتيب لمنذر عبدالكريم البكر – الجذور التاريخية لعروبة الاحواز قبل الاسلام – دولة ميان جامعة البصرة 1981) دخلها الاسلام منذ عام (16) للهجرة فرحب به العرب هناك وفيهم بنو حنظلة وبنو العم بن مالك.

وسار تاريخها ضمن التاريخ العربي – الاسلامي وربما صارت ولاية مستقلة في العهد العباسي وربما ربطت بالبصرة وواسط حين دخل التتر بغداد شملها الخراب وتحكم الاجانب من عثمانيين وفرس رغم محاولات عشائرية للتخلص من الاجنبي ومن هذه العشائر ما برزت على شكل امارة متميزة – ومستقلة احياناً.

ولنا في الحديث عن الكتاب الاحوازي اربع وقفات اساس عند دولة المشعشين وامارة كعب والامارة الافراسيائية ومدينة تستر.

تاريخ دولة المشعشين ما بين منتصف القرن التاسع الهجري / منتصف

القرن الخامس عشر الميلادي - ونهاية القرن الثالث عشر الهجري.

والامراء المشعشعون في اقل ما نصفهم به من كلمات اليوم : مثقفون، وتعني الكلمة في اقل ما تعنيه على وجه العموم : ادباء، انهم ينشأون على التعلم والدراسة وحب الشعر وحفظه ورعاية الكتاب واهله والعمل - قدر المستطاع - على نشر التعليم في المساجد والمدارس بحيث تصير (الاحواز) في ذلك مركزا وموتلا وبحيث يصيرون هم في مكان من الجلال والوقار. وازدهرت مكتبة الامارة وتزايدت كتبها على الزمن.

فكان على وجه الخصوص منهم من زاد على ذلك في التبحر في العلم والادب ومنهم من وصف بالعلامة وكانت له المؤلفات ومنهم من كان الشاعر ذا الديوان، ترى ذلك ان رجعت الى ترجمات هؤلاء الامراء : محمد بن فلاح، محسن بن محمد بن فلاح، مبارك بن عبدالمطلب، وعبدالمطلب (مطلب) والده، وخلف بن مطلب اخاه، وعلي بن خلف ومنصور بن مطلب وخلف بن منصور.

اسس الامارة السيد محمد بن فلاح الشعشي الموسوي (ولد في واسط، ودرس في الحلة، واقام مدة في الكوفة، ثم سعى الى تأسيس دولته منطلقا من البطائح في العراق وتغلب على اجانب من عثمانيين وفرس واحتل الاحواز ثم اتسع سلطانه فشمّل منطقة الجزائر والبطائح والبصرة وجميع شاطئ الفرات الى الحلة واتخذ الحويزة عاصمة لامارته - بدأ التأسيس في حدود سنة 844 هـ. ويوصف بالعلم (بجميع العلوم) فقد درس الفقه والرياضيات والتصوف ولا تعدم من يصفه بالشعوذة).

توفي سنة 1461/866 فتولى بعده ابنه محسن ويوصف محسن بانه (حميد الخصال احب العلم والعلماء والفضلاء واهل الكمال واهل الادب) وألفت مؤلفات باسمه، وامتد ملكه (الى رقعة واسعة لم يمتلكها غيره فقد تملك الجزائر وما وراءها الى حدود سور بغداد ..) ثم ملك البصرة وشط بني تميم وعبادان الى الاحساء والقطيف ثم الدورق .. ثم شوشتر .. عَمَر الحويزة وبنى مدينه سماها (المحسنية) توفي سنة 1508/914 ومنهم من جعل وفاته عام 905 هـ.

وممن اشتهر منهم السيد مبارك بن عبدالمطلب (مطلب) بن حيدر بن محسن (تولى الحكم عام 998 - 1589) (وفي عهده تحولت الاحواز الى مركز من مراكز

العلم والثقافة وانشئت المساجد والمدارس والمكتبات في مدن الاقليم المهمة بتشجيعه وجهود والده عبدالمطلب واخيه العالم المفكر السيد خلف بن عبدالمطلب).

مدحه الشعراء حتى اذا توفي سنة 1616/1025 رثوه..

كان السيد خلف بن عبدالمطلب.. عالما فاضلا محققا جليل القدر وشاعرا أديبا له مؤلفات عدة (الف في الفقه والحديث والتفسير والمنطق والاصول والنحو وعلم الكلام وغيرها ومن تأليفه سبيل الرشاد في النحو والصرف والاصول واحكام العبادات) رسالة في النحو وكتاب في الحديث، مستدرك على نهج البلاغة.. نيفت مؤلفاته على العشرين بينها ديوان شعر.

وكان السيد علي بن خلف بن عبدالمطلب قد (حاز.. التبحر في فنون العلوم ونظم الاشعار) .. وقد اكثر من التصانيف العالية في انواع العلوم (ولد في ذي الحجة عام 1018 وترعرع في كنف والده الامير خلف.. وكان جده عبدالمطلب من اكابر الفضلاء تولى امانة الدورق) فصارت مقصد العلماء والادباء.

تولى السيد علي بن خلف بن عبدالمطلب الحكم عام 1060 الى ان توفي عام 1088 خلف - فيما خلف - ديوانا ما زال مخطوطا في مكتبة المتحف العراقي اسمه : (خير انيس لخير جليس) رقم 522 - تحدث عنه ووقف عنده كما يجب عبدالرحمن كريم اللامي في كتابه (الادب العربي في احواز بغداد 1985) وهو احد مراجعنا المهمة والامثلة التي ذكرها له تدل على شاعرية حقيقية وشاعر جدير بالاهتمام والدراسة وان ديوانه جدير بالتحقيق والنشر - وقد يتولاه الاستاذ اللامي نفسه.

هذا اضافة إلى ما ألف في التفسير والادب والنحو والطرائف والتاريخ ومن حكام المشعشين الذين اولوا الادب عناية خاصة السلطان منصور بن مطلب .. وولده بركة وفي البيت المشعشي ادباء علماء شعراء آخرون منهم :

السيد عبد الوهاب بن خلف - شاعر - مؤلف كتاب (كشكول المشعشي).

محفوظ بن جود الله بن خلف - شاعر.

الامير عبدالله بن السيد علي خان.

الامير عبدالله بن فرج (تولى حكم الامارة عام 1114 – 1125 وقدم بغداد ملتجئاً الى الوزير حسن باشا. يوصف بأنه كان ادبياً شاعراً قال عبدالرحمن السويدي وقد رأى المولى عبدالله بن فرج في مناظرة مع ابيه عبدالله السويدي .. كثير الانصاف.. عربي الاصل يحفظ دواوين المتقدمين.. ذو شعر مطبوع) كان وزيره فرج الله بن نعمة الله ادبياً شاعراً..

ومنهم السيد احمد بن السيد مطلب بن علي بن خلف (المتوفى سنة 1168/1754) يذكر له كتاب (الدر المنثور في معرفة موازين البحور) وديوان شعر. ومنهم السيد عبد علي بن اسماعيل بن جود الله (المتوفى سنة 1257/1841) ..

وعاصر المشعشين (حكاما وادباء وشعراء) علماء وشعراء كثيرون فيهم من مدحهم وراثهم وفيهم من عاش قريبا منهم مكرما بمنزلة (الصديق) وفيهم من تبادلواياهم الرسائل والسؤال والجواب، او من ألف باسمهم واهدى كتبه اليهم.. ولكثير من هؤلاء العلماء او الادباء مؤلفات ودواوين منها الذي طبع ومنها الذي بقي مخطوطا ومنها الذي فقد..

وأقل ما يعني مجموع ذلك الجانب الحضاري – الفكري – الادبي من دولة المشعشين وما آلت اليه حاضرتهم (الحويزة) من رعاية العلماء والادباء ومع الحويزة مدن اخرى منها الدورق خاصة (وخلف آباد وتستتر).

ويكفي هذه الامارة فخرا ان يكون اكثر ابنائها ادباء مؤلفين فضلا عن حماية الاديب والمؤلف – ومن هنا في الاقل تأتي جدارتهم بالبحث ويأتي مكانهم من الكتاب الخليجي. فهم في مكانتهم الادبية لا نظير لهم في التاريخ.

كان شهاب الدين الموسوي (المتوفى سنة 1087 هـ / 1676م) اشهر هؤلاء الادباء – الشعراء وقد دخل تاريخ الادب العربي العام لانه لا يستغنى عن ذكره اذا بلغ القرن الحادي عشر – وان تردد اسمه في الكتاب خطأ بأنه ابن معتوق وهو – في الحقيقة – ابو معتوق.

ولشهاب الدين الموسوي ديوان طبع أكثر من مرة جمعه ابنه (معتوق) بطلب من السيد علي بن خلف وفي الديوان (خمسة بنود) هي اقدم ما وصل الينا من هذا الفن – تنظر كذلك في كتاب (البند في الادب العربي) لعبدالكريم الدجيلي

ومعها بنود معاصرة علي بن ياليل الجزائري الدورقي. ويذكر - فيمن يذكر - الى جوار شهاب الدين : عبد علي بن ناصر بن رحمة الحوزي (المتوفى سنة 1664/1075 - شاعر له ديوان ما زال مخطوطا (منه نسخة بحوزة الشيخ محمد الخال - عضو المجمع العلمي العراقي) الف كتابا في العروض سماه (المشعشعة) اهداه الى الامير خلف بن عبد المطلب (منه نسخة خطية في مكتبة المتحف العراقي رقم 33252).

ونعمة الله الجزائري (المتوفى سنة 1112 - 1664) ومن كتبه الانوار النعمانية، وزهر الربيع. وهاشم الكعبي (المتوفى سنة 1808/1233) شاعر.

وفتح الله بن علوان الكعبي (المتوفى سنة 1717/1130) - شاعر، مؤلف، له ديوان مخطوط، طبع منه قسم المراثي.

وأخرون مثل الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي والشيخ جعفر بن عبد الله بن ابراهيم الحويزي وفرج الله بن درويش الحويزي.

طبيعي ان ترد اسماء هؤلاء الادباء الشعراء لدى الوقفات الاخرى من تاريخ الكتاب في الاحواز وربما جاء مكانهم في تلك الوقفات اثبت من هذه الوقفة كما ان أدباء آخرين يردون في الوقفات الاخرى ولهم صلة او مكانة لدى المشعشين.

ولا بد من ذكر اسرة لبنانية - عاملية من قرية جباع عرفت بال ابي جامع هاجر منها الشيخ نور الدين علي بن شهاب الدين احمد .. ابن ابي جامع.. فنزل الدورق من امارة المشعشين في الاحواز وكان حاكم الدورق - يومئذ السيد مطلب (عبدالمطلب) الشعشي فبقي معه - او استبقاه - في الدورق وحين انتقل السيد مطلب من الدورق الى الحويزة صحبه الشيخ علي، وظل مقيما في الحويزة إلى ان توفي سنة 1005 م خلفا مؤلفين واربعة اولاد (شيوخ) وهم : عبد اللطيف، ورضي الدين، وفخر الدين، وحسن. وبرز منهم - خصوصا الشيخ عبد اللطيف ينشر التعليم ويبني المدارس وممن درس عليه السيد خلف بن مطلب الشعشي والسيد علي بن السيد خلف (صاحب سلافة العصر) وروى عنه نعمة الله المحدث الجزائري (التستري).

عاصر من الامراء السيد مبارك بن مطلب والسيد خلف بن مطلب الذي بنى مدينة خلف (خلف آباد) فانتقل معه اليها.

وتقلد منصب مشيخة الاسلام سنة 1025 وامتدت مشيخته الى تستر وكانت (تستر) يومئذ في الحكم المشعشي.

توفي سنة 1640/1050 مخلفا عدة كتب بقيت مخطوطة.

ومن الاخوة من سكن تستر: رضي الدين، ومنهم من سكن شيراز، فخر الدين، ومنهم من سافر الى الهند (حيدر آباد) : حسن.

ثم واولادهم في تنقل واقامات مختلفة.

ويسكن الشيخ علي بن حسن خلف آباد صديقا للامير خلف بن مبارك ويتولى القضاء فيها ويتولى الشيخ محيي الدين (الاول) بن عبداللطيف مشيخة الاسلام في الحويزة (توفي اواسط القرن الحادي عشر).

ويبقى الأولاد والأخوة والأحفاد في منازل علمية مرموقة ومنهم من شغل مشيخة الاسلام كما كان علي بن الحسين بن محيي الدين 1070 – 1135 وقد درس عليه اخوه حسن والسيد عبدالله حفيد نعمة الله الجزائري وكان هو أي الشيخ علي قد درس على السيد نعمة الله الجزائري توفي مخلفا (13) مؤلفا (ينظر عن آل ابي جامع كتاب الدكتور عبدالرزاق محيي الدين – وهو من سلالة آل ابي جامع) الحالي والعاقل تتمة لملاحق امل. الامل، النجف مطبعة الآداب 1391 – 1971 مع ملاحظة ان أمل الامل هو للشيخ الحر العاملي وملحق امل الامل للشيخ جواد (جد عبدالرزاق محيي الدين).

وعاصرت الامارة والافراسيائية (في البصرة خصوصا) الدولة المشعشعية (في الحويزة خصوصا) بدءا من مطلع القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي وخلال نيف ونصف القرن منه.

والشيخ فتح الله بن الشيخ علوان الكعبي نسبا القباني مولدا ومنشأ (ولد سنة 1053) يحدثنا في رسالة (مقامة) له بعنوان «زاد المسافرين ولهفة المقيم والحاضر فيما جرى لحسين باشا افراسياب حاكم البصرة» عن حسين هذا

خصوصا وعن الامارة عموما فنذكر تشابك اجزاء المنطقة آنذاك : البصرة، الجزائر، القبان، الحويزة، الدورق، الاحساء.

اسس الامارة افراسياب الدوري – اخواله من الدور قرب البصرة ونسبه: سلجوقي بأن اشترى البصرة فحكم وقوى سلطانه وفتح القبان والجزائر كان ابتداء حكومته من سنة 1005 هـ / 1596 واستمرت سبع سنوات.

ثم جاء بعده ابنه علي باشا بوصية منه اليه وتوسع في الحكم وطال امد حكومته (1033 – 1053 هـ).

ثم حكم بعده حسين باشا فसार سيرة أبيه قليلا ثم خالفه وتجبر في حكومته وفتح الاحساء عنوة بالسيف فانهمز حاكمها وشكا الحال الى السلطان فوجه السلطان اليه عسكريا اشتبك معهم في معركة شديدة وحملوه على الهرب من البصرة الى الدورق الى شيراز الى الهند.

وهكذا انتهت هذه الامارة سنة 1078/1967.

يهمننا منها شأنها الادبي (الثقافي)، لم يبلغ شأن المشعشين معاصريهم ولم يبلغ شأن الكعبيين بعدهم ولكنه شأن علي اية حال.

وكان الامير علي باشا بن افراسياب باشا ادبيا شاعرا الف فيه عبد علي بن ناصر الشهير بابن رحمة الله الحويزي كتابه (السيرة المرضية في شرح الفرضية) يشرح به بيتين من ابيات امير البصرة علي باشا (وقد نظم الابيات في وزن المواليا اعني المواليا الفرضية) وقد عرض ابن رحمة الله الاحداث التي جرت في ولاية البصرة واعدا بانه سيؤلف تاريخا مستقلا للامارة الافراسيابية يذكر فيه – فيما يذكر – فضائل علي باشا وكرمه و (اشعاره العربية والبحث عنها وعن معانيها وايراد ما يناسبها) و (اشعاره الفارسية والتركية وما يضاهاها) و (تصانيفه الموسيقية ومعماها ته وتواريخه وحكاياتها وسبب وقوعها وشأن نزولها ..).

وطبيعي ان يذكر اقباله على العلماء والشعراء.. ويتحدث عن خزانة كتبه.. ولكن الكتاب لم يؤلف.

ثم كانت رسالة الشيخ فتح بن علوان الكعبي (زاد المسافرين..) لتروي اطرافا

من سيرة حسين باشا بن علي باشا بن افراسياب باشا ونقف عنده وعند ابيه فيما له علاقة بالادب مكارمه واحبته الرعية والقواد والعسكر وقصده الشعراء والعلماء والاشراف ولم يجتمع بباب ملك في زمانه ما اجتمع ببابه وحفظت ايامه في النوادر وحسنت دولته بوجود الشيخ عبد علي بن رحمة الحويزي وكان نادرة زمانه في جمع العلوم وله من سرعة الخاطر ما لا يوجد لغيره إلا ما يحكي عن البديع الهمداني وله في علي باشا وابنه حسن باشا شعر مليح.

وكان حسين باشا (محباً للعلماء والفضلاء وأهل الادب والشعر وله سوق في دولته وعطاياه متصلة اليهم والوفود متراكمون على باباه تصلهم منه العطايا الجزيلة وفي الحقيقة انه (كان أباً للادب فلما ذهب يتم).

ويحدثنا اللامي - وهو يترجم لعبد علي بن رحمة ص 265 - ص 289 :

(ان دخول عبد علي الحويزي ضمن حاشية الامير علي بن افراسياب وابنه من بعده الامير حسين تمثل المرحلة (..) المهمة من حياة هذا الاديب، ففيها ألف معظم مصنفاته ونظم اشعاره (..) وبذل جهودا مثمرة في رفع المستوى الثقافي لآبناء الامارة بتشجيع من حكامها).

كان مقربا من الامير علي باشا مرافقا له مادحا مؤرخا حتى اذا مات سنة 1058 صار احد خواص ومعتمدي حسين.. واهدى الى الامير الجديد قسما من مؤلفاته.. منها (الفيض الغزير في شرح مواليا الامير).

وفي كتابه هذا وسابقه (السيرة المرضية) (مباحث كثيرة ومهمة ونادرة في النحو واللغة والبلاغة والعروض والشعر والنثر والتاريخ والحكمة والفلك والاعخبار والحكايات واللطائف قلما لها مثيلا في عصره). والكتابان مخطوطان ..

ويعدد اللامي مؤلفاته فاذا هي تقرب من الثلاثين بينها ديوان شعره (بالعربية) وديوان له باللغة الفارسية وديوان ثالث باللغة التركية ومحتمل جدا ان يعزى نظمه الفارسي والتركي - او اكثره - الى المرحلة الافراسيابية من حياته - ولكن دواوينه مما فقد من آثاره.

واختلف في تاريخ وفاته فمنهم من جعله 1053 ومنهم جعله 1075 ويفهم من الزركلي انه توفي في البصرة.

ورد اسم مدينة تستر اكثر من مرة مقترنا بالمشعشين والاحواز والكتاب على حين يحسبها الناظر من الخارج وكأنها مدينة فارسية صرف (واسمها : شوشتر) لا علاقة لها بالعرب والكتاب العربي وهي لدى تقصي البحث تعد من الاحواز على ستين ميلا شمال مدينة الاحواز عدت ايام الفتح الاسلامي من ارض البصرة لقربها منها وقال ياقوت انها (اعظم مدينة بخوزستان اليوم) وذكر نهر تستر وهو نهر دجيل نفسه (الذي صار كارون).. وقد كان لها في التاريخ مكان يذكر مع الكتاب العربي ولنتذكر مكان عسكر مكرم واندج والسوس (ومنها سيبويه) وجنديسابور..

يهيمن منها في القرون المتأخرة كونها مركزا علمياً ادبياً فيها الشيوخ والمدارس والكتب وخزائن الكتب.

ولقد رأيناها ضمن مشيخة الاسلام في الاحواز فيذكر هنا آل ابي جامع وفيهم من اقام بها يدرّس او يدرّس ..

ولم يكن تنقل الشيوخ والطلبة بينها وبين الحويزة وغيرهما صعبا ..

بل ان من السادة العرب من طلبة وشيوخ ممن اقاموا فيها – وطالت اقامتهم – من صاروا يلقبون بالتستري ولا أدل على ذلك من السيد نعمة الله الجزائري التستري كأن يقال – اول الامر – التستري نزلا، ثم تحذف نزلا .. وتبقى التستري ..

ويكون السيد نعمة الله وآله من اولاد واحفاد اسرة علمية – ادبية مهمة جدا في تاريخ تستر وصلته بالكتاب العربي فقد درسوا والفوا ونظموا وبلغ ما في خزانة كتبهم نحواً من (12000) كتاب.

ولوجودهم في تستر قصة، فهم في الاصل من الجزائر على شط العرب قرب البصرة – بين البصرة والقرنة – ولقربهم من الحويزة عامل في هذا الوجود . ولد السيد نعمة الله بن السيد عبدالله بن محمد .. ابن موسى الكاظم في قرية الصباغية من قرى الجزائر على شط المدك (1050 هـ 1640 م) وبعد تجوال اختياري واجباري مع والده وأخيه ومنه ما كان للدراسة في الحويزة .. عادوا الى الجزائر ولكن (السلطان محمد بعث عساكره الى سلطان البصرة للحرب معه

ويأخذ منه الجزائر والبصرة فذهب فكر سلطان البصرة الى ان يخرب الجزائر والبصرة وينقل اهلها الى مكان اسمه سحاب قرب الحويزة فانقلنا - والكلام للسيد نعمة الله - كلنا اليها ووضع عساكره في قلعة القرنة) تقع الحويزة من الجزائر على مسيرة ثلاثة ايام وكانت الهجرة ايام سلطان الحويزة السيد علي خان المشعشي وبعد تجوال آخر واقامات اخرى ومدن مختلفة طلبا للعلم وكان اشهر اساتذته الشيخ المجلي اتخذ تستر (دار وطن واتخذت فيها مساكن وكان بيني وبين سلطان الحويزة وداد ومحبة وكان السيد علي بن خلف المشعشي يستزيد السيد نعمة الله ويستحثه على الزيارة ويعاتبه اذا تأخر.

لقد بلغ السيد نعمة الله من المكانة العلمية والادبية في تستر درجة عالية وصار فيها علما الف في الفقه والحديث والنحو والادب نيفت مؤلفاته على العشرين منها : حاشية مغني اللبيب وحاشية نهج البلاغة، وشرح كافية ابن الحاجب، ومقامات النجاة وغرائب الاخبار ونوادر الآثار، وقصص الانبياء - غير كتب الفقه والحديث واكثر كتبه مخطوطة واشتهر له - خصوصا - منها اثنان مطبوعان طبع الكتاب منهما اكثر من مرة وهما (الانوار النعمانية) رأيت منه طبعة (شركة جاب) - تبريز بنفقة مكتبة حقيقت سنة 1382 هجري قمري وتشير كلمة الناشر الى سائر الطبعات الحجرية السابقة واسم الكتاب الكامل (الانوار النعمانية في بيان معرفة النشأة الانسانية) وهو في الاصل المخطوط بمجلدين وعدد كاتب المقدمة له اربعة وعشرين كتابا. ومن المهم في كتاب (الانوار النعمانية) ان المؤلف تحدث عن احواله في آخره فترجم لنفسه (ص 302 - ص 326) من الجزء الاخير.

ولقد عانى في حياته الكثير من المشقة والضيق والظنك..

والكتاب الثاني هو «زهر الربيع» يقول في مقدمته : (اردت ان أصنع كتابا مختصرا يروح خاطر عند الملل ويشد الازهان عند عروض الكلال متضمنا للمظاريف الرقيقة والطرائف الانيقة والاشعار الفائقة والحكم الرائقة والاخبار الغربية والآثار العجيبة كربيع الابرار للزمخشري والكشكول لبهاء الملة والدين العاملي وان كنا قد ذكرنا فصلا وافيا منه في المجلد الثاني من كتاب الانوار ونبذا في (مقامات النجاة) وكتاب (مسكن الشجون) لانها منقسمة على ما فيها من الابواب والفنون وسميناه زهر الربيع لما فيه من المقال البديع..).

توفي السيد نعمة الله سنة 1301/1112 عقد له اللامي فصلا على انه من ابرز
الناثرين (ص 391 - ص 403)، لقد أسس السيد نعمة الله الجزائري اسرة وطيبة
من آل تستر كان لها العلم والادب والمدارس والطلبة والكتب.

فولده نور الدين كان مقصد الطلبة والعلماء ولد بتستر سنة 1088 ودرس على
والده وبلغ ان صار شيخ الاسلام ألف وقال الشعر ومن مؤلفاته المطبوعة (فروق
اللغات) النجف، دار الكتب العلمية، مطبعة النجف 1380 - 344 ص وطبع من
قبل على الحجر سنة 1274 ومن غير المطبوعة : تذييل سلافة العصر، تذكرة تستر
توفي بتستر سنة 1745/1158 م خلفا ثمانية أولاد ذكور (السيد عبدالله والسيد
نعمة الله، حسين، محمد، فرج الله، مرتضى، طالب، رضا) كلهم كانوا ذوي علم
وأدب..

وربما كان عبد الله ابرزهم وانه لكذلك درس والف ونظم. ومن مؤلفاته رسالة
مختصرة في النحو ورسالة عنوانها (الذخيرة الابدية في جوابات المسائل
الاحمدية - وهي اربعون مسألة للمولى المقدس التقي السيد احمد بن السيد
مطلب الحويزي) والسيد احمد هذا مشعشي (كان عالما ورعا اديبا لم يتدخل
في شيء من أمر اخوته ولاة الحويزة - اللامي ص 122 - ص 123 - وتتنظر
ص 86 - 87 اجازته للشيخين محمد بن كرم الله الحويزي وابراهيم بن عبد الله
الحويزي).

توفي السيد عبد الله بن نور الدين بن نعمة الله التستري سنة 1761/1175
دون ان ينقطع بموته ذكر الاسرة ومكانتها ..

وتجد في كتاب اللامي ممن لقبه التستري عبد الرشيد التستري (ت 1078 -
1667) (وكان طبيبا وله مؤلفات في الحديث والشعر والنحو والانشاء - ص 283)
وفرغ الله التستري توفي 1716/1128 كان أحد شعرائهم المفلحين .. - ص 124
ينظر عنه في سلافة العصر لابن معصوم (وهو قريب من المنطقة) كما تنظر
نفحة الريحانة ومحمد عباس التستري الجزائري توفي 1887/1306 ومن آثاره
ديوان شعر ومن علماء تستر السيد ابو تراب الجزائري (ت 1785/1200) كان من
المدرسين في العلوم العربية والادبية والفقه والاصول - ص 83..

والشيخ جعفر بن محمد بن باقر التستري (ت 1335 - 1916) كان متضلعا

بالفقه واستأذا في العلوم الدينية والنحو والبلاغة وشاعرا له العديد من الأراجيز العلمية الف في.. النحو والبلاغة – ص 38.

وبعد ..

فليس هذا استقصاء للحياة الادبية – العربية في تستر وانما هو دعوة الى هذه الدراسة.

واذا كانت الحركة قد ارتبطت بالدولة المشعشعية فانها بقيت – ولو على ضعف – بعد الامارة المشعشعية ومعاصرة للامارة العربية التي خلفت المشعشعية وهي امارة كعب..

ومن المفيد ان نذكر ان دولة المشعشعين حظيت – في العراق – بدراسات مهمة كانت من مراجعنا المهمة وهذه هي :

1 – تاريخ المشعشعين وتراجم اعلامهم – تأليف جاسم حسن شبر – النجف – مطبعة الآداب 1385/1965.

2 – مؤسس الدولة المشعشعية واعقابه في عربستان وخارجها – تأليف جاسم حسن شبر النجف – مطبعة الآداب 1392 – 1973.

3 – الاحواز – تأليف السيد علي نعمة الحلويقع في ستة اجزاء لانه يدرس المنطقة في مختلف ادوارها التاريخية منه القسم الاول من الجزء الثاني (بغداد – دار البصري 1969) وفيه : امارة المشعشعين (ص 144 – ص 137).

4 – امارة المشعشعين – تأليف محمد هليل الجابري – رسالة ماجستير – جامعة بغداد على الآلة الكاتبة 1973 – جديرة بان تطبع.

5 – الأدب العربي في الاحواز من مطلع القرن الحادي عشر الهجري الى منتصف القرن الرابع عشر – تأليف عبدالرحمن اللامي حصل بها على الماجستير من قسم اللغة العربية بكلية الآداب – جامعة بغداد وصدرت مطبوعة في بغداد – من منشورات وزارة الثقافة والاعلام 1985 – وقد اشرنا الى اهميتها ومدى ما اعتمدنا عليها.

وينظر (اعلام) الزركلي للاعلام .. وكتاب تاريخ الحلة للشيخ يوسف كركوش

لبدء تاريخ السيد محمد بن فلاح في الحلة.. وطبيعي ان يكون كتابا الحلو واللامى من مراجعنا المهمة فى مقبل البحث عن الكتاب الاحوازى ضمن الكتاب الخليجى..

شرعت الامارة المشعشعية تضعف على حين تبرز قبائل اخرى واسر اخرى و(ان ظهور الامارات العربية على انقاض الدولة المشعشعية يمثل مرحلة جديدة هي ثانى مراحل تاريخ الاحواز الحديث فى اعالي بلاد الاحواز تأسست امارة قبلية عربية قوية هي امارة آل كثير التى اخذت تنافس المشعشعيين على مدينتى دسقول وشوشتر منذ منتصف القرن الثامن عشر كما شهدت المناطق الشرقية من الاحواز نفوذ امارة بنى لام العربية وممارستها السيادة فى تلك الانحاء).

اما فى المنطقة الممتدة من مدينة الاحواز شمالا وحتى الخليج العربى جنوبا فقد ظهرت امارة كعب التى تعتبر ابرز القوى العربية فى الاقليم..

وكانت هذه القبيلة النجدية الاصل قد استقرت منذ أواخر القرن السابع عشر فى منطقة نهر الكارون (دجيل) فى جزئه الجنوبى الغربى (قبان وحواليها) التى كانت تابعة لولاية البصرة فى ذلك الوقت..

ومنذ بداية القرن الثامن عشر (...) تمكنت فى عهد الشيخ سلمان بن سلطان (من البو ناصر) الذى تولى زعامتها حوالى سنة 1737 م (1150 هـ) من توسيع حدودها من جهة الشمال والشرق (..) وضمت سيطرتها على جزر البصرة ومنطقة الدواسر وقرى عديدة.. ينظر - امارة كعب العربية فى القرن الثانى عشر للدكتور علاء موسى نورس والدكتور عماد عبد السلام رؤوف بغداد 1982، ولما تحرك بنو كعب من القبان الى الدورق (الفلاحية) ايام الشيخ سليمان (سلمان) بن سلطان سنة 1160 هـ / 1768 بقيت بعض قبائل كعب فى القبان وعبادان وقد هاجرت فيما بعد الى المحمرة. وبذلك انقسم الكعبيون الى :

- 1 - كعب الفلاحية (الدورق) وهم البو ناصر الذين دامت رئاستهم لعدة قرون فى الدورق.
 - 2 - كعب المحمرة وعبادان وهم من مختلف عشائر كعب وتزعمهم البوكاسب (جاسب) فى المحمرة وهم من المحيسن.
-

ولم تكن المحمرة شيئاً كانت ارضا خالية ثم سكن فيها محيسن بن كعب فصارت كوتا صغيرا تقصده السفن للتزود بالوقود .. وفي عهد الحاج يوسف المرداو (1229 / 1812) شيخهم شيدت مدينة المحمرة .

وعندما آلت زعامة (البوكاسب) الى الشيخ جابر بن مرداو نما في نفسه الطموح الى الامارة (..) ولما شعر ان امارة البوناصر في الفلاحية قد دب الضعف فيها (..) أعلن عصيانه في المحمرة واسس امارة كعب العربية سنة 1248 / 1832 م – علي نعمة الحلوفي (المحمرة مدينة وامارة عربية، بغداد – وزارة الاعلام – 1972) ومن اعماله رعاية التعليم بتأسيس المدارس واستقدام الشيوخ ومجلسه (مجلس علم وادب).

(ظل الشيخ جابر خان على اريكة حكم المحمرة ستة وعشرين عاما.. وانتقل الى رحمة ربه سنة 1299 للهجرة فتولى الامر من بعده كبير انجاله.. الشيخ مزعل خان.. وفي خلال عام 1315 للهجرة توفي قتيلا .. امام باب قصره وفي الحال نودي بـ .. الشيخ خزعل خان .. اميرا للمحمرة وحاكما لربوعها ورئيسا لقبائلها) – عبد المسيح انطاكي بك – الدرر الحسان – مصر – مطبعة العرب – د.ت (21326).

والشيخ خزعل بن جابر اهم من يهمننا في موضوعنا من امارة كعب واذا كنا قد اطلنا) في المادة التاريخية لزيادة التعريف وللوصول الواضح الى الشيخ خزعل نفسه، فلقد كان اميرا كبيرا خطيرا توالى عليه اللقباب من الدولة الايرانية تقديرا وكسبا لوده وهو مستقل – الا ما عليه ان يدفعه لها من مال.

وعمل على توطيد سلطانه وعمران بلاده وتنظيم ادارة امارته وكانت المحمرة من قسمين القديم وقد جدده، والجديد ويسمى (الفيلية) وقد بنى فيه (على بعد نحو نصف كيلو متر او اقل، القصر الخزعلي .. وجعله مقراً لسكنا.. كان عدد سكان المحمرة (يربو على العشرين الفا) ثم شيد بين (الفيلية والمحمرة مدينة الثالثة) عرفت بالخزعلية – ينظر الدرر الحسان..

يهمننا منه أنه نشأ متعلما دارسا فقد احضر له والده الشيوخ فاحاط بالعربية نحوا وصرفا وادبا حتى قال الشعر كما الم بالعلوم الدينية .

وحين صار أميرا (نشر آداب القرآن الحكيم بين المؤمنين ففتح يده بالجوهر..

على الفقهاء والعلماء.. وفتح المكاتب والمدارس.. وعززها بالمدرسين القادرين وأصبحت تدرس العلوم العصرية – ينظر الدرر الحسان.

صارت المحمرة مقصدا للادباء والشعراء (العراقيين خاصة) يقصدونها من النجف و (البصرة) ولا غرو ان قصده عبد المسيح الانطاكي من مصر (واهتم الشيخ خزعل بالكتب فانشأ له مكتبة ضمت امهات الكتب نقلت الى المحمرة من مدينة النجف) – الحلو – المحمرة.

نظم الشعر وحاول عبد المسيح انطاكي الاحتفاظ بذلك الشعر وجمعه فحصل له قدر منه جعله قسما ثانيا من كتابه (الدرر الحسان..) بلغ (29) صفحة فيها المدائح والحكم والغزل والفخر بالعدل والزهد ورثاء الوالد ومخاطبة الولد واغلب شعره مقطعات ومنه ما جاء موشحة ومنه ما جاء ارجوزة ومنه ما جاء نشيدا..

شعره لا بأس به من متوسط الشعر وما دون المتوسط ولا قيمة لمبالغة انطاكي في رفع شأنه لغاية في نفسه وقلة في ذوقه.

وجعل انطاكي القسم الثالث من (الدرر الحسان..) مخصصا للشعر الذي قيل في مدح الشيخ خزعل اكثره لانطاكي نفسه والباقي للأخريين العظامي النجفي، عبدالكريم الجزائري، عباس حلمي البغدادي، الحاج محمد صالح الروزخان، محمد مطلق، عبداللطيف الجزائري النجفي، محمد علي البغدادي، جواد شبيب النجفي، ملا صالح البصري، صادق البغدادي، زين العابدين الكويتي، الشيخ محمد رضا من كبار شعراء العراق، عبدالله الحلبي، حسين الحرباوي، محمد صالح الحاج كامل، ملا حسين الروزخان، عبد المقادر العبادي البغدادي، محمد علي ..

يلي الانطاكي في الكثرة عبد اللطيف الجزائري وعبدالكريم الجزائري..

وليس في الشعر ما يخرج عن المتوسط، ويكثر فيه الموشح ..

قال الزركلي (304/2) : (..) كان .. على شيء من الميل الى الادب.. الف كتابا في احوال اسرته قال السيد محسن العاملي انه مطبوع).

وعبدالمجيد البصري البهبهاني هذا مقدم لدى الشيخ خزعل اشبه بسكرتير او

اكثر نفوذا وفي قول الزركلي بنسبة الكتاب (الرياض الخزعلية) الى عبد المجيد تبسيط كثير وتسهيل للقضية واذا كنا لا ننكر يد عبدالمجيد في التأليف فلا بد من القول بأن الكتاب صدر مطبوعا وعليه اسم الشيخ خزعل مؤلفا له واعيد طبعه وعليه اسمه كذلك.. هكذا :

كتاب الرياض الخزعلية في السياسة الانسانية - تأليف الجنب الامجد والملاذ الاسعد الشيخ خزعل معز السلطنة سردار ارفع ادام الله جلاله.

الجزء الاول : حقوق الطبع محفوظة، مطبعة هندية بشارع المهدي بالازبكية بمصر سنة 1321 - 236 صفحة وقع الفراغ من تصحيح الكتاب غرة ربيع الثاني 1318 او آخر محرم 1318 وفيه 24 روضا (الكتاب مبوب على الرياض).

الجزء الثاني - طبع بهمة عبد المجيد - طبع بالمطبعة العمومية بمصر - فرغت من تسويده 19 شعبان 1919 - 403 ص + الفهرست 1 - 9 + خطأ و صواب.

هذا الذي اطلعت عليه علما انه طبعة اولى ولكن الذي يذكر دائما انه طبع بمطبعة (ينظر سركريس - معجم المطبوعات العربية ص 822 : الرياض الخزعلية .. مطبعة هندية 1321 - 403 ص) وكان الجزأين طبعا فيها ثم اعاد النظر في المجلدين المطبوعين وزاد عليهما مجلدين جديدين فطبع الكتاب بمصر طبعة ثانية جاءت بأربعة مجلدات وقد وقف على الطبع عبد المسيح انطاكي بك صاحب جريدة العمران وقد ارخ تلك الطبعة لعام 1332 / 1914.

ثم نقحه واعاده في طبعة ثالثة بمصر باشراف انطاكي بك سنة 1340 وجاء هكذا :

الرياض الخزعلية في السياسة الانسانية
افضل ما خطه قلم في الاخلاق والحكم

تأليف من تألفت القلوب على حبه وولائه وترنمت الألسن بحمد آلائه وشكر فضله ونعمائه ، رشيد هذا الزمان باقباله وعلائه ومعنى الاحسان بفيض عطائه ، وقس ساعدة بفصاحة بيانه وأدائه ، عميد العرب العرباء وفرة أعين الشعراء والأدباء والعلماء ومظهر جلال المجد بين الملوك والشيوخ والأمراء . معز

السلطنة سردار قدس صاحب العظمة

الشيخ خزعل خان

امير نويان وسردار عربستان

المجلد الاول

وقف على طبعه وعلق حواشيه عبده ومملوكه عبد المسيح انطاكي بك
صاحب جريدة العمران بمصر - الطبعة الثالثة - مطبعة العمران.

ما بين ص 3 - ص 63 توطئة لصاحب العمران بقلم العبد المملوك الواقف
على طبعة بدأها بـ (بسم الله الرحمن الرحيم..) وتحدث عن الشيخ خزعل ونسبة
وامارته مما سبق ان رأيناه في (الدرر الحسان ..) وعرفنا هنا ان للشيخ خزعل
معتمدا في البصرة هو الحاج مصطفى فهمي وقد ارخ انطاكي مقدمته (ص 64)
مصر غرة ربيع الاول 1340 هـ.

تلتها ص 65 - ص 67 (بسم الله الرحمن الرحيم) المقدمة وهي مقدمة
المؤلف شرح فيها ظروف التأليف والطبع واعادة الطبع ثانية ثم ثالثة.

(.. وبعد فيقول راجي النصر والتأييد من الملك العزيز المجيد، خزعل بن نصره
الملك الحاج جابر خان الكعبي العامري اني بعد ان انصرفت الى العلم اطلبه
على حد قولهم من المهد الى اللحد وارجو من ورائه الوقوف على ما يمكن
الوقوف عليه من الهداية والرشد فكرت في قضاء خدمة عامة أتوج بها قومي
العرب جامعة بين الحكمة والفكاهة وصنوف الفنون والادب واثره حول الطباع
النفسية والاحكام العقلية والسياسة الانسانية مما لا يستغني عنه الملك على
عرشه والعالم وراء مكتبه والاديب في واسع مطلبه والتاجر في متجره .

(.....)

نعم لما فكرت بهذا اردت (..) بكتابي هذا الذي وضعت فيه البيانات العلمية
مؤيدة بالشواهد والامثال الشعرية والنثرية والمنقولات الفكاهية المأثورة عن
اسلافنا الصالحين (..) وقد تسامحت باضافة شيء من الاحماض فيه.
.. فهذه رياضي قد غرستها بمنأى فليهنأ بهن الامجد..

هي عبر شتى وفيها فوائد وفيها فكاهات وفيها فوائد.

اقول وقد تم لهذا الكتاب طبع مجلديه الاولين في مصر في مطبعة هندية الشهيرة سنة 1321 هـ على يد احد اعواننا المرحوم ميرزا عبد المجيد البهبهاني فنال المجلدان المشار اليهما حظ القبول من ارباب الذوق السليم من اخواننا الناطقين بالضاد، وجعلوا يلحفون علينا بانجاز المجلدين التاليين وطبعهما فلبينا الطلب وانجزنا العمل. وإذا كان المجلدان الأوآن قد نفدا أقررنا على طبع المجلدات الاربعة مرة واحدة بعد ان اعدنا النظر على المجلدين الاولين المطبوعين وسلمنا الكتاب بمجلداته الاربعة الى شاعرنا اللبيب وتابعنا الحبيب عبد المسيح انطاكي بك صاحب جريدة العمران المصرية، وامرناه ان يقف على طبعه بنفسه ففعل وطبع الكتاب ووزعه هدية على الاخوان والاحباب وقد أرخ ولدنا المشار اليه تلك الطبعة بابيات من الشعر (..) 1332 هجرية / 1914 مسيحية.

ثم عاد الناس الينا ملحفين بطلب الكتاب المذكور ملحفين علينا باعادة طبعه فعدنا اليه منقحين مصححين وسلمناه الى تابعنا الامين عبد المسيح بك انطاكي المشار اليه اذ كان بين يدينا في العام الماضي (1339) وامرناه باعادة طبعه ونشره تلبية لطلابه.

خزعل

عن قصرنا في الكمالية في غرة محرم 1340 هجرية (1921 م).

الكتاب مرتب ترتيبا خاصا : الموارد ، والموارد تتفرغ الى رياض تسبقهما مقدمة تلحقها خاتمة :

الكتاب : مختارات من الاشعار والاقوال والحكايات .. مبوبة فهو أشبه بخلاصة لمكتبة على الصفحة 380 من المجلد الاول : وكان الفراغ من تسويد المجلد الاول من الرياض الخزعلية في غرة ربيع الثاني سنة 1318 (..) ثم اعدنا النظر وارزنا (كذا) في مبانيه وانتهينا منه في شعبان 1330 انتهى المجلد الاول ويليه المجلد الثاني.

وعلى ص 381 - ص 384 : فهرست الرياض الخزعلية ..

وان فيما رأينا من نشأة الشيخ خزعل وثقافته ومجلسه والادباء والشعراء في

مجلسه ومكتبته وقوله الشعر وحبه للعلم والادب والكتاب... ما يمكن ان يجعل منه مؤلفا ولا سيما اذا كان هذا المؤلف يعتمد اولا - واخيرا - على ما يختار من الكتب التي لديه وفيها الشعر والنثر والحكمة والحكاية.. وهكذا كان وصدر الكتاب باسمه وطبع واعيد طبعه مع تنقيح وزيادة ملحوظة بعدد المجلدات.

ليس في ظاهر الحال ما يمنع أميرا كالشيخ خزعل ان يؤلف كتابا قائما على المختارات المتنوعة من كتب الآخرين.

ولكن هل يتسع وقت الامير لهذه العملية وهي جهد طويل في الاختيار وتأمل في التبويب وسعة في دائرة الثقافة تبلغ درجة الكلام في الامور الفلسفية والنفسية ؟.

وهنا تنبع شكوك ولا بد من يد اعانته قليلا - او كثيرا - في التقاط مختارات او في اقتراح تبويب.

ويذهب الشك ابعد ومن هنا روى الزركلي (الف له عبد المجيد البصري البهبهاني كتاب (الرياض الخزعلية - ط) ومثله قول علي نعمة الحلو في كتابه (الاحواز 49/3).

اما الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار في كتابه (التاريخ السياسي لامارة عربستان العربية.. القاهرة 1971) فقد رأى الكتاب مرة للشيخ خزعل ورآه - في مخطوطة - وعليه (ترتيب عبد المجيد البصري البهبهاني).

وليس من السهل الاقتناع بببب جازم في الامر كان مجرد الشيخ خزعل من الكتاب تجريدا تاما وكان ينسب الى عبد المجيد نسبة كاملة ثم ماذا نعرف عن عبد المجيد هذا؟ وليكن ادبيا وما الذي يبعث اميرا حاكما ان يكذب على نفسه كذبة كبيرة لا يمكن ان تخفى هذا الى ما رأيناه من زيادة مجلدتين على المجلدين بعد وفاة عبد المجيد (ومع افتراضنا ان عبد المسيح انطاكي اعان في هذه الزيادة).

تبقى المسألة شائكة - بعض الشيء - او على قدر من التعقيد ومهما يكن عنصر العون الخارجي لا بد من ان يبقى للشيخ خزعل قدر من (الحق) في (رياضه) يزيد صفحة الى مجده السياسي.

والخلاصة ان الكتاب في ظاهره وفي الحال التي وجد عليها مطبوعا (مرارا) من تأليف الشيخ خزعل نفسه وللشك مكان ما ويبقى السؤال : لماذا ؟.

والرياض الخزعلية في السياسة الانسانية كتاب خليجي ثمرة مكتبة كانت قائمة على ضفاف الخليج..

عني الشيخ خزعل – إذا – بالعلم والادب ونشر التعليم ورعاية العلماء والادباء والشعراء وبلغ ان ارسل الى احدى المدارس الاجنبية في البصرة لتلقي الدروس الحديثة فيها وفكر في تأسيس مدرسة عالية فازدهرت (المحمرة) في عهده مركزا نادرا في عصره وعلى الخليج خاصة للعلم والادب والطموح الى الاكثر والاعلى في كل شيء.. من جوانب الحضارة..

ومن أعيان كعب الذين رفعوا شأن الادب : (الشيخ سعد بن عبد الله الكعبي الحويزي (توفي 1868/1285) كان له مجلس عامر باهل العلم والادب والشعراء والوجوه.. وله دار ضيافة فيها مكتبة واسعة العدد فيها من نفائس الكتب المخطوطة) عن اللامي عن كتاب معارض الرجال للشيخ محمد حرز الدين .335/1

ومن شعراء امارة كعب الشيخ موسى بن حسن أحمد الفلاحي (ت 1289 – 1872) من العلماء الاعلام، باعه في علم العربية والمعاني والبيان طويل وكان ادبيا شاعرا مؤلفا له مراسلات شعرية مع اصحابه علماء النجف وادبائها .. وكان والده الشيخ حسن ت 272 هـ من العلماء.. الادباء..

ومن شعراء كعب في الفلاحية الشيخ سلمان بن محمد بن حسن الفلاحي.. يمتلك مكتبة كبيرة فيها الكثير من الكتب المخطوطة الجلييلة..

ومن الشعراء.. الشاعر عدنان بن السيد شبر الموسوي الغريفي المحمري ت 1341 – 1922 – اللامي عن معارف الرجال..

ولكن امارة كعب ليست بالادباء الكعبيين فقط. واذا كنا رأينا الوافدين عليها من العراق خاصة فلنذكر الوافدين وذوي العلاقات الودية من شعراء الاقليم وأدبائه وفيهم الحويزي والدروقي.. والتستري.. ومن كان على الافراسيابيين قبلهم..

كانت نهاية خزل ان احتال عليه رضا بهلوي (متواطئاً مع الانكليز) سنة 1925/1344 (فحمل الى طهران فأمرته الحكومة بالاقامة بها واستولت على المحمرة وسائر بلاد الأحواز وسمتها خوزستان.. فاقام الى ان مات بطهران) الزركلي 305/1 وينظر الحلو – المحمرة 114 – 135.

وهو يرى موته خنقا سنة 1936 ويتحدث عن تصرفات سيئة للسلطة الايرانية ضد العرب واللغة والعلم والادب والكتاب.

وتبدو كلمة (سيئة) باهتة في تلخيص حديثه (. والامر غير معقول من اي وجه اتيته – وينظر الحلو في كتابه – الاحواز 3/236 – 249 وقد قال في (الاحواز) – (147/2) متمما حديثه عن مكتبة الشيخ خزل : (بقيت تلك المكتبة الضخمة العامرة الى يوم اختطاف الشيخ المذكور فما كان من الايرانيين والحاquدين على الامارة العربية الا ان هجموا على تلك المكتبة فمزقوا ما فيها من كتب في الشوارع امام افراد الجيش الايراني ليبرهنوا على ولائهم للوضع الجديد، فكانت مأساة مروعة نكبت بها ثقافة الاقليم وزادوا ان غيروا اسم (المحمرة) الى خرمشهر كما غيروا غيرها) وينظر للاستزادة من حال الامارة كتاب مصطفى عبدالقادر النجار (التاريخ السياسي لامارة عربستان العربية 1897 – 1925 م القاهرة – دار المعارف 1971 – 389 ص – الكتاب في الاصل رسالة ماجستير عملها في كلية الآداب بجامعة عين شمس باشراف الدكتور صلاح العقاد 1969. وقد الف عن الاحواز (عربستان) عدة كتب في العراق اهمها ما اشرنا اليه من كتاب الحلو وكتاب النجار ونزيد عليهما للحالة الادبية كتاب عبدالرحمن كريم اللامي – الادب العربي في الاحواز وقد مر معنا ذكره ودليل اهميته لدى الوقفة عند المشعشين.. وهو مهم كذلك في غيرها..

الخاتمة

واضح ان الموضوع مهم، معقد، يصعب التمكن من اجزائه، وقد سرت فيه على قاعدة (ما لا يدرك كله) والا فما هو بالعمل الفردي، وقد خفف من وطأته ان قصدي الاول منه التنبيه اليه، وبيان خطره، وضرورة استدراك الفائت قبل ان تمحى آثاره، وضبط الحاضر والاستعداد للمستقبل قبل ان يلحق الحاضر

والمستقبل بالماضي ثم اني لم اصمم الخطة على ان يأتي الجهد معجميا للكتب
مجموعة او على الاقطار فذلك تنهض به طاقة واحدة ثم انه ليس رصد الكتاب
ليتولى المهمة - بعد ذلك - اهلها من الأقطار مفترقين او مجتمعين ولا سيما
بعد ان صارت للاقطار اجهزتها المناسبة لمثل هذا التأليف في الوزارات - ومنها
وزارات الاعلام - وفي الجمعيات ومنها اتحادات الادباء.. غير ما صار للاقطار
من باحثين ومتخصصين.

واقترضت الدعوة العامة وقفات عند البارز من كل قطر على مراحل الزمان
واختلاف الدول، وكان هذا البارز من كل وقفة مهما في دلالاته الحضارية، مهما
في الفكر والابداع الادبي، مهما كذلك - واكثر من ذلك - في التأسيس والتمهيد
لما يأتي من الزمان. وبرز خلال الوقفات اعلام جديرون بالتقدير والاحترام
وحسن الذكر لما ابدوا من حماسة واخلاص ولما رسموا من خطط، ولما عانوا -
احيانا - من مشاق مختلفة سياسية واجتماعية وفكرية ومعاشية.

وأبدت الوقفات العامة تشابكا ملحوظا بين اقطار الخليج، تشابكا فكريا ادبيا
من اخذ وعطاء، ومن تنقل من قطر الى قطر، ومن استفادة القطر من القطر
الثاني، ومن قرابة التأثير والتأثر.. ويرينا هذا ما في أدب الخليج من سعة تخرج
عن دائرته التي تبدو ضيقة ازاء الدائرة العربية الكبرى فما كان ابناءؤها بمعزل،
وما قصرُوا عن الالمام بالادب العربي في عمومهِ وعلى مدى زمانهِ وما وقفوا
دون تأثير او تأثر، يقابل ذلك ان الذين كانوا بعيدين - بوجه وآخر - عن
شواطئ الخليج وجزره لم يكونوا بعيدين فعلا لدى الروح والبحث والادب، وقد
رأينا ونرى - كم ارتبط - بالبصرة من العراق من كان بعيدا عنها في العصر بدءا
من الموصل ومرورا ببغداد والحلة والنجف ناهيك عن الناصرية والعمارة، ناهيك
عما نشرته وزارة الثقافة والاعلام واتحاد المؤرخين واتحاد الادباء... ويضطلع
العراق - كما رأينا - بشؤون (الاحواز).

ثم نذكر من المؤسسات ما قام في بغداد باسم (مركز التوثيق الاعلامي لدول
الخليج العربي).. (وكان.. وزراء اعلام دول الخليج العربي، قد عبروا عن -
أهمية المعلومات وتوثيقها - منذ مؤتمريهم الاول الذي عقد في ابو ظبي عام
1976م - 1396 هـ بالتاكيد على ضرورة انشاء المركز، كمؤسسة علمية ..) وقد بدأ
المركز اعماله في مدينة بغداد في منتصف عام 1981..).

ومن الجدير بالذكر ان منظمة الامم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) كانت قد أبدت اهتماما بانشاء هذا المركز.

وبعد قرار انشاء المركز اتخذ من بغداد مقرا له .. على ان تكون له فروع ومكاتب اتصال في بقية اقطار الخليج العربي..

واذا كانت رسالة (المركز) ملخصة بالتوثيق الاعلامي، فان التوثيق الاعلامي عام وفي عمومته تجميع المطبوعات ودراسة الوثائق وتوفير المعلومات للباحثين وتجميع التراث القومي والشعبي وفنون آداب البيئية، ودعم المكتبات.. وفي هذا العموم خصوص واضح للغة والادب. ومن هنا كان مما صدر من مطبوعات المركز - وهي كثيرة دقيقة علمية مخصصة - في الادلة : الدوريات الخليجية، دليل الدوريات، الصحافة في دول الخليج العربي.. بانتظار دليل الشخصيات..

وفي الكشافات : جريدة الثورة، آفاق عربية، عالم الفكر، الدارة، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، المقالات والبحوث، التراث الشعبي، مجلة الكويت، مجلة الدوحة..

وفي قوائم المؤلفات (الببليوغرافيات) : الاعلام والصحافة، الخليج العربي قائمة مؤلفات ببليوغرافية معرفة).

وفي التوثيق المايكروفيلمي صور المركز عددا مهما من المجلات والصحف والاطروحات الحامعية الخليجية، هذا غير مشروع المكتبة التلفزيونية والاسهام في الموسوعة الصحفية العربية والندوات واللقاءات.. وغير مجلة (التوثيق الاعلامي).

ان (مركز التوثيق الاعلامي) على درجة عالية من الجهد وهو اذ يسهل مهمات مختلفة، يسهل مهمة الباحث الادبي، كما هو طبيعي ولايفوتنا شكره جزيلا - هنا -

ورأينا موقف السعودية من منطقة بعينها تقع على الخليج ورأينا الدارة، والجامعة، ونذكر على وجه الخصوص ما عمله العلامة - علامة الجزيرة العربية - الاستاذ الشيخ حمد الجاسر اذ اصدر المعجم الجغرافي - المنطقة الشرقية - البحرين قديما باربعة مجلدات يستحيل حتى على ابناء المنطقة نفسها عمل

مثله. واذ كان عنوانه (المعجم الجغرافي) فهو في حقيقته موسوعة عامة للادب منها حظه ويكفي ان تلقى نظرة عليه لترى الاستشهاد بالشعر على مر العصور وزاد من تمكن الشيخ الجاسر من عمله الصعب - غير علمه الذي اشتهر به في الافاق - صلة مباشرة له بالمنطقة وقد عين للتعليم في مدينة الاحساء منذ شهر رمضان 1358 وشرع يعنى بالمنطقة ويكتب عنها ..

وينهض في (الرياض) مكتب مهم، نشط، جاد هو (مكتب التربية العربي لدول الخليج) وقد قرر وزراء التربية والتعليم والمعارف في مؤتمرهم الاول الذي عقد في الرياض للمدة من 15 - 18/10/1395 هـ الموافق 20 - 23/10/1975 (انشاء مكتب اقليمي للتربية) وصف بأنه هيئة عربية خليجية تعمل في نطاق الدول الاعضاء في المجالات الثقافية والتربوية والعلمية والاعلامية والتوثيقية. وسمي المكتب (مكتب التربية العربي لدول الخليج) بموجب قرار اتخذه وزراء التربية والتعليم والمعارف في مؤتمرهم الثاني الذي عقد في الرياض 1397 : 1977 وحددت مدينة الرياض مقرا للمكتب.

واذا كان المكتب في عمومه تربويا، فما كانت التربية في خصوصها لتبعد عن الادب والاعداد الادبي في مؤلفاته ومناهجه وندواته ومحاضراته واللغة العربية من مواده ودعمها من مهامه. وللمكتب مكتبة ومطبعة، ومن اعماله (انشاء جامعة الخليج العربي) التي رأيناها في (البحرين).

وله قائمة محترمة من المطبوعات منها (مناهج المستشرقين) و (الترجمة : قضايا ومشكلات) و (ندوات تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها) وفي مخططة مشروعات مجدية كثيرة بينها (التحقيق) ومطبوعات (دليل) ضم (صور عام 1406/1986) ونذكر للمكتب نشراته ومجلته الرصينة (رسالة الخليج العربي) وجوائزها ومنها للادب وقد حاز الاولى الدكتور عبدالله الغدامي عن كتابه (الخطيئة والتكفيرة).

بل نذكر له حسن تعاونه مع الباحثين ولا يفوتنا هنا شكره جزيلا على افضاله ومن المؤسسات العربية في الخليج : معهد المخطوطات العربية في الكويت نقل اليها من القاهرة واسندت ادارته في مارس (آذار) 1981 الى الدكتور خالد عبد الكريم جمعة يصدر مجلة نصف سنوية ونشرة شهرية بأخبار التراث ويحقق

وحقق عدداً مهماً من المخطوطات وعني بجمع المخطوطات أو تصويرها وفهرستها وأسس حديثاً في (الدوحة) (مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربي) بادر سنة 1986 بإصدار مجلة شهرية علمية باسم (المأثورات الشعبية) وعدد من المطبوعات نذكر منها (الآغاني الكويتية) و (القصص الشعبي في قطر) و (لهجة العجمان في الكويت) و (ديوان محمد الكوس) وديوان (عيسى التازوتي).

وليس الخليج العربي وقفاً على الخليجيين، لانه كما رأينا وأكدنا - جزء من كل وإذا اكتفين بالذي مرمعنا من الدليل على تشابك اقطاره، وعلى امثلة مما ألفه ابناء القطر منه عن القطر الآخر.. فلا بد من الاشارة الى آثار العرب القادمين من اقطار أخرى للعمل في اقطاره وجامعاته خاصة وقد رأينا العمل الطيب الذي اداه مصري كالدكتور محمد حسن عبدالله للادب الكويتي، ونذكر مصريين آخرين عملوا في جامعة قطر مثل الدكتور ماهر حسن فهمي في كتابه (تطور الشعر العربي الحديث بمنطقة الخليج) وما كتبه الدكتور عبدالعزيز مطر عن (خصائص اللهجة الكويتية).. ومن الممكن ان تطول القائمة..

ولكن، وعلى اية حال، لا يمكن ان ننسى جهود استاذين مصريين تخصصا بشؤون الخليج وألفا ودرسا هما الدكتور صلاح الدين احمد العقاد والدكتور جمال زكريا قاسم ونذكر لهما فضل الاشراف على رسائل تقدم بها طلبة خليجيون.

أجل. القائمة تطول، يقصر منها ما ذكرناه في درج البحث. وان الاستقصاء - هنا - ليس من وكد من همه تثبت الخطوط العامة والدعوة الى العمل على الجزئيات.. وبيان اهمية هذا العمل.

وتبقى الامنية في خاتمة الخاتمة ان يكون الجهد قد اثمر - ولو ثمرة ما، وان تلقى الدعوة الى العناية المركزة العلمية بالكتاب الخليجي عموماً والكتاب الادبي خصوصاً ضمن الكتاب العربي كله.. أذنأ صاغية. وقد آن الأوان ولدينا من المؤسسات ما يجب ان تضطلع بواجبها، وأولى هذه المؤسسات الجمعيات الادبية على اختلاف اسمائها بين اتحاد وجمعية وناد ورابطة واسرة.. وقد تخطو الامانة العامة للاتحاد العام للادباء والكتاب العرب الخطوة الاولى - وننتظر.

وإذا كان المؤلف قد ادى الذي عليه في حدود طاقته وظرفه، فان المسؤولية

يمكن ان تنتقل منه إلى الذين يهتمهم الموضوع من ادباء ومنظمات وحكومات يحسن بهم ان ينبهوا الى الخطأ ويسدوا الثغرة ويزيدوا في العمل ويوفروا في المادة.. ومنتظر. ولو تهيأ للكاتب القدر المطلوب من المؤلفات الخليجية في الشعر والقصة والمسرحية والمقالة والنقد والدراسة لأمكنه ان يطيل الوقفات النقدية ويزيد من نسبة التحليل – ولا يقطع امله في حصوله على المطلوب ليعاود الدرس بما يثري ويرضي.. – ومنتظر..

ملاحم التغير الاجتماعي في القصة القصيرة الإمارات العربية المتحدة

الدكتور / محمد عبدالله المطوع

مقدمة :

ان الاهتمام المتزايد لعلماء الاجتماع بدراسة الأدب بكافة أشكاله، ومنه القصة القصيرة، جاء نتيجة للتطور الذي أصاب علم الاجتماع الأدبي، من حيث ان ذلك الفرع من فروع علم الاجتماع قد رسخ الاهتمام بالأدب منذ نشوئه، وظهرت العديد من الدراسات الاجتماعية عن الأدب، في محاولة الرصد التحليلي الاجتماعي لمضمون الأدب، وخاصة تلك الدراسات المتصلة بالعالم الثالث، والمواطن العربي جزء اساسي من هذا العالم، وأصبحت القصة القصيرة، أو غيرها من الانتاجات الأدبية، وسيلة من الوسائل التي يتخذها علماء الاجتماع في دراسة المجتمع، من اجل فهم اعمق للمرحلة التي يمر بها المجتمع البشري، وخاصة في المجتمعات الحديثة التكوين، والتي تمر بمرحلة تحولات سريعة في مجالات عديدة ومنها الوضع الاجتماعي والتركيب الاقتصادي - الاجتماعي .

ان الادب في الواقع مرآة لتلك التحولات، والأدباء لابد وان يتأثروا بما يجري على الساحة الاجتماعية من تغيرات، وهم كأصحاب رسالة في المجتمع يقومون بدور فعال في عرض تلك المشاكل الناجمة عن هذه التغيرات. وهذه الدراسة، محاولة لالقاء الضوء على دور القصة القصيرة في نقل صورة عن الواقع

الاجتماعي بصورة أدبية راقية والأديب الواعي يلعب دورا في ابراز القضايا التي تهم المجتمع، ويشخص المشكلات التي يعاني منها المجتمع في مرحلة من مراحل تطوره، ومن هنا يمكن القول إن مجتمع الامارات لا يختلف في ذلك عن غيره من المجتمعات الا في بعض خصوصياته، والتي منها طبيعة التركيب الاقتصادي الاجتماعي، اضافة لذلك فإن العوامل التي ساهمت في تطوره وانتقاله من المرحلة التقليدية الى مرحلة أكثر تقدما ونعني بها مرحلة الدولة المؤسساتية، تحمل في داخلها الصراع ما بين التقليدي المحافظ، والحديث ذي الاتجاهات المتطلعة نحو وضع تكون فيه قيم وعادات ومفاهيم الانسان تختلف اختلافا جذريا عما كانت عليه، فالمسلمات التقليدية ينظر اليها نظرة شك وريبة، بل انها تصبح بحاجة الى المناقشة، ويساهم في هذا الصراع القيمي عدة عوامل لعل من أهمها ان النشاط الاقتصادي والانتاجي قد أخذ مسارات تختلف في جوهرها عن المرحلة التقليدية، اضافة لذلك فإن عامل تطور التعليم وانتشاره لا بد وان يؤكد على قيم اجتماعية واقتصادية وسياسية حديثة تختلف ايضا في جوهرها عن الخط التقليدي المعتمد على القبلية والعشائرية، على حين ان ترسيخ دولة المؤسسات تتعارض تماما مع تلك الأوضاع السائدة في مرحلة ما قبل قيام الدولة بمفهومها الحديث.

ان القصة القصيرة في الامارات فن حديث من فنون الكتابات الأدبية، برز بشكل واضح منذ السبعينات على ايدي بعض الرواد، ممن تمكنوا في هذا المجال، الا ان فترة الثمانينات تمثل مرحلة التشكل الواضح لهذا الاتجاه في الادب.

من خلال القصة القصيرة سنحاول في هذه الدراسة ان نتابع ملامح التغير الاجتماعي في مجتمع الامارات، معتمدين بالدرجة الاولى على القصص القصيرة التي وصلت الينا، ومعظمها قد نشر في الصحف اليومية، مما يؤكد على دور الصحافة المحلية في نشر العديد من القصص القصيرة في الامارات وذلك قبل أن يعلن عن تأسيس اتحاد كتاب وأدباء الامارات، والذي ساهم في جمع مجموعة من تلك القصص في كتاب «كلنا، كلنا - كلنا نحب البحر» اضافة لذلك قام الاتحاد بنشر العديد من القصص القصيرة في مجلة شؤون أدبية الدورية.

هذه محاولة في تتبع ملامح التغير في مجتمع الامارات من خلال القصة

القصيرة ونرجو ان تسد بعض الفراغ الذي يعاني منه مجتمع الامارات في قلة الدراسات الاجتماعية عنه - خاصة في هذه المرحلة من مراحل التغير التي يمر بها.

ولا يسعني الا ان اتقدم بالشكر لاتحاد الكتاب والادباء في الامارات للمساعدة في انجاز هذا البحث وخاصة في تجميع المادة العلمية لذلك.

1 - ملامح التغير في مجتمع الامارات :

منذ قيام الدولة الاتحادية في بداية السبعينات، والتغيرات الاجتماعية أخذة في البروز بشكل واضح، ومعالج المجتمع التقليدي تحل محلها مظاهر أخرى هي افراز لواقع اقتصادي اجتماعي جديد، نتيجة لعدة عوامل ساهمت في تلك النقلة من المجتمع التقليدي، والذي تكاد تكون علاقاته مع الخارج نادرة، اللهم الا في بعض المجالات المحصورة، مما انعكس على المستوى الثقافي، ومن العوامل التي تتفق عليها معظم الدراسات المهمة بدراسة مجتمع الامارات، نجد ان للبترول أثراً فعالاً في احداث هذه النقلة، وبمعنى آخر ان العامل الاقتصادي لعب دورا كبيرا في النقلة الاجتماعية والتطورات التي اصابت البنية الفوقية في مجتمع الامارات. اضافة الى ذلك نجد ان تطور التعليم في الامارات، منذ مرحلة ما قبل الاتحاد حتى الوقت الراهن اثر كثيرا في تغير عادات وقيم المجتمع، حيث أن التعليم من نواحي الكم والكيف كان له الدور الفعال المساند للعامل الاقتصادي والانفتاح على العالم الخارجي، سواء كان ذلك على المستوى العربي او العالمي، وساهم ايضا في التغير الاجتماعي لمجتمع الامارات (1).

مما تقدم، لا بد وان نركز على ملامح التغير الاجتماعي في الامارات، من حيث دراسة الجوانب التي نالها ذلك التغير مع الاخذ بعين الاعتبار، ان عملية التغير ما زالت قائمة ولم تصل الى مستوى الرسوخ بشكل نهائي بل ان تلك العملية ما زالت مستمرة وفي بعض جوانبها تلاقي مقاومة من قبل بعض الفئات الاجتماعية، فكما نعلم ان الصراع القيمي بين افراد المجتمع تحتم وجود عدة فئات اجتماعية، يمكن حصرها في ثلاث فئات اجتماعية، الاولى منها تلك التي تقف بقوة ضد تلك التحولات والتغيرات الاجتماعية، انطلاقا من ايمانها بابقاء ملامح المجتمع التقليدي، وعدم اقتناعها بالقيم الاجتماعية الجديدة،

وخاصة في الجوانب التي تعيد مكانة المرأة في المجتمع، وذلك لتخوفها من الوصول الى النموذج الغربي الرأسمالي او الاشتراكي الشرقي، مع وضوح انها مركزة على النموذج الغربي الرأسمالي. وهذه الفئة تستخدم كل الوسائل المتاحة لها من اجل تحقيق هدفها، ومن أجل اقناع اكبر مجموعة من افراد المجتمع للحيلولة دون اختراق القيم التقليدية في المجتمع ونجد انها لا تكف عن الدفاع عن وجهة نظرها في كافة المجالات، سواء في الصحف اليومية، المجلات الاسبوعية، او في المؤتمرات العلمية التي تقام على أرض الدولة وأيضا تستخدم وسائل الاعلام الاخرى مثل الاذاعة والتلفزيون في محاولاتها الدؤوبة لايقاف عجلة التغير والتطور⁽²⁾.

وعلى نقيض هذه الفئة، نجد ان الفئة الثانية من افراد المجتمع تقف مع كل التغيرات الاجتماعية، بل وتدعمها في كافة المجالات، انطلاقا من قناعاتها ان ذلك لا بد وان يحدث او ان التغير الاجتماعي ما هو الا نتيجة للتحويلات التي جرت في الواقع الاقتصادي منذ نهاية الستينات، وبالتالي فان اي تغير لا بد وان تكون له نتائج، قد تكون في بعض جوانبه مظاهر سلبية ذات صفة مرحلية، الا ان استقرار القيم الجديدة، وبمرور الوقت الكافي كفيلا بازالة كل المظاهر السلبية لتحل محلها تلك المظاهر الايجابية، التي سيتكيف معها افراد المجتمع، وتصبح قيمة اجتماعية ثابتة في البناء الفوقي. ووجهة نظر هذه الفئة تنطلق من المتداخل والتأثير بين البناء التحتي والبناء الفوقي في المجتمع، اضافة لذلك فانها ترى ان مجتمع الامارات يشترك في الكثير من سماته عامة مع دول العالم الثالث، والدول العربية بشكل خاص، من حيث ان مراحل التطور وما يصاحبه من تغيرات في القيم الاجتماعية والبناء الاجتماعي لا يمكن عرقلته والوقوف دون تحقيقه. فمعلوم ان بروز فئة موظفي الدولة، سيشكل شريحة اجتماعية جديدة لم تكن موجودة في المجتمع التقليدي القديم، وان هذه الفئة يختلف نمط حياتها عن غيرها من الفئات الاجتماعية الاخرى. وان التعليم سيكون له نتائج ملموسة، ومنها ان شكل الاسرة الممتدة التي كانت سائدة في مرحلة ما قبل النفط زالت اذ ان التغيرات الاجتماعية أدت الى ظهور شكل الاسرة النووية «الصغيرة» المتكونة من الزوج والزوجة والابناء، وما يترتب عن ذلك من استقلال اقتصادي عما كان سائدا في الاسرة الممتدة، وبالتالي في بروز قيم اجتماعية

جديدة هي افراز لهذا التحول في شكل الاسرة وفي وظائفها⁽³⁾.

وهذه الفئة كقوى اجتماعية مؤثرة في عملية التغير الاجتماعي، وهي ايضا تستخدم الوسائل المتاحة لطرح تصوراتها حول القضايا الاجتماعية الناجمة عن التغير الاجتماعي. الا ان اشكالياتها الاساسية تنحصر في كيفية مواجهة الفئة الاولى، خاصة وانها تحدث العقل، ولها ادواتها في بث الوعي الاجتماعي بأهمية التغير الاجتماعي وترسيخ وقيم ما يسمى بدولة الرفاه.

ومن الطبيعي ان ينعكس موقف الفئتين على العديد من افراد المجتمع، وتختلف درجة التجاوب معهما، اعتمادا على القضية المطروحة، فمثلا في حالة طرح القضايا المتصلة بالمرأة نجد ان الفئة الثانية حققت العديد من التقدم نتيجة للتطورات الاجتماعية التي نجم عنها تغير لم تستطع الفئة الاولى الا ان تغير من مواقفها، فعلى سبيل المثال نجد ان تعليم المرأة اصبح من الامور المسلم بها، وايضا خروج المرأة للعمل. ولكن بالرغم من ذلك التسليم به كحقيقة واقعة، هنالك محاولات لوضع شروط تعجيزية لعرقلة تنامي العدد من الخارجات للعمل او حصرها في مجالات ضيقة.

ومع الطفرة النفطية وتطور التعليم نجد ان المكانة الاجتماعية للمرأة قد تغيرت عما كانت عليه في المجتمع التقليدي، فقد تزايد الوعي لدى المرأة وما عادت ترضى ان تعامل كإنسان لا رأي له أو إنسان بلا كرامة أو مواطن من الدرجة الرابعة، هذه الوضعية انعكست في انتاجات كتاب القصة القصيرة بشكل واضح⁽⁴⁾.

في مجتمع الامارات يلاحظ ان التغير الاجتماعي والاقتصادي يتصف بالجذرية في بعض المجالات او يلعب التعليم دورا عاملا قويا في احداث هذه التغيرات السريعة، وتثبت تجارب الشعوب الاخرى ان التعليم هو من العوامل الاساسية التي تقوم بهدم المجتمع التقليدي ونقله الى المجتمع العصري، وهذه حقيقة علمية، وان كانت تبدو ظاهريا انها بطيئة الا ان التعليم هو المعول الذي يهدم من جهة او من جهة اخرى يبني نظاماً جديدة لها مظاهر. وفي الامارات التي سادتها ثورة في مجال التعليم حيث كانت اعداد الطلاب في بداية 1954 ما يقارب من 240 طالبا فقط من الذكور، بلغ في سنة 1987 (200) الف طالب وطالبة.

هذه النقلة الكبيرة لابد وان يكون لها أثارها الاجتماعية بالدرجة الاولى، ومن المؤكد ان ذلك سينعكس على الساحة الثقافية، ومنها على كتاب القصة القصيرة⁽⁵⁾.

أما الفئة الثالثة في مجتمع الامارات فهي تلك الفئة التي تحاول ان تتخذ موقفا توفيقيا من حيث موقفها من التغير الاجتماعي، فلا هي رافضة للمجتمع ولا هي معارضة للمجتمع الحديث والمعاصر، ونعتقد انها فئة واسعة وكبيرة العدد في مجتمع الامارات وهي تطلب السلامة وعدم الدخول في الصراع الاجتماعي، محاولة ان تجد مخارج من المواقف الحرجة التي تنجم عن تناول قضايا التغير الاجتماعي، وهي فئة لها امتداداتها في الوطن العربي، خاصة في ظل الأوضاع الراهنة في المنطقة.

الا ان المتمعن في سلوكياتها وانماط حياتها اليومية يجد انها اقرب الى الفئة الثانية في الكثير من سماتها وقيمتها الاجتماعية. ونتصور انها تعاني داخليا من هذا الموقف التوفيقى، وتحاول بشتى الوسائل ان تخفف من حدة هذا التوتر.

وتحاول الفئة الاولى ان تظل الفئة الثالثة «التوفيقية» محافظة على موقفها ادراكا منها، انه في حالة تغير الموقف فانه سيكون لصالح الفئة الثانية. ومما يؤكد على ذلك ان معظم انتاجات التوفيقيين تنحصر في اجترار الماضي بصورة جميلة، تهربا من الحاضر ومشاكله، ولكن ليس بمنظور الفئة الاولى ولا الثانية، بل لها رؤيتها الخاصة. والامثلة على ذلك عديدة من خلال القصة القصيرة. والتي سنأتي عليها لاحقا.

هذه هي الفئات الاجتماعية الثلاث السائدة في مجتمع الامارات، وقد اتضح موقفها الاجتماعي من التغير، وما نود التأكيد عليه هو ان الظروف والتحولات الاقتصادية لم تترك مجالا للعودة او لاستمرار المجتمع التقليدي القديم، بل ان ما يجري على الساحة الاجتماعية من تغيرات يؤكد على ولادة المجتمع العصري الحديث، وما بروز المشكلات الاجتماعية المختلفة على شكل ظواهر اجتماعية الا مؤشر على هذا المخاض الذي يمر به مجتمع الامارات وايضا دليل على الصراع القيمي بين القديم والجديد.

2 - القصة القصيرة في الامارات :

ان بدايات ظهور القصة القصيرة في الامارات تعود الى بداية السبعينات ومع المرحلة الأولى لانشاء الدولة الاتحادية، وقبل ذلك لم نستطع الحصول على ما يؤكد وجود هذا الشكل الادبي، فقد ضاعت العديد من المصادر التي يمكن الاعتماد عليها، مثل مجلات الاندية الرياضية، تلك التي كانت نشطة بشكل ملحوظ خلال فترة الستينات، وخاصة في الجانب الثقافي، فقد كانت معظم الاندية الرياضية في تلك الفترة، شعلة من النشاط الثقافي وكانت النخبة المتعلمة تقوم بدورها في بث الوعي الاجتماعي - السياسي، وما ذلك الا انعكاس للمد القومي العربي، وتفاعل بناء مع ما يجري على الساحة العربية، ويتضح التفاعل الايجابي مع العمق العربي، سواء في مصر أو غيرها من الدول العربية. في تلك الفترة المبكرة من بدايات الحياة الثقافية في الامارات، تناول العديد من الكتاب القضايا الاجتماعية والسياسية التي تواجه المجتمع المحلي، هذا ما كان يلمسه كل من عايش تلك الفترة.

وفي بداية السبعينات وتحديدًا في سنة 1973 ظهر للسطح تجمع للنخبة المتعلمة والمثقفة في الامارات في اطار ما كان يعرف بالمجمع الثقافي الاجتماعي، والذي يضم مجموعة من شباب الامارات هدفهم المساهمة في تطوير المجتمع وتقديمه. واصلوا مجلة شهرية ثقافية جامعة هي مجلة «المجمع» والتي جاء في عددها الأول ضمن كلمة المجمع ما يلي :

«شعب فتى على شطآن الخليج العربي يسابق الزمن ليصل الى المستوى اللائق بأبناء الأمة العربية، المستوى الذي يعتمد اعتمادا كبيرا على جهود الشباب المؤمن بربه، الواثق من مستقبله، المسلم بالعلم، الباحث عن المعرفة. لذا فان مجموعه خيرة من الشباب الواعي والذي كرس ولا يزال يكرس جهوده ليقضي على الانانية ليقضي على المصلحة الفردية يقتطف ولو جزءاً بسيطاً من الآخرين بل ليضحى بجهده وبماله وبروحه في سبيل تقوية أمته وتطهير أراضيه ورفعته مواطنيه. هذه المجموعة أرادت ان تبذل الجهد كما يبذله مخططون آخرون كثيرون فأسست المجمع الثقافي الاجتماعي واضعة اللبنة الخيرة في بناء مجتمع تسوده الاخوة وتحدوه المعرفة وها هي «المجمع» المجلة الناطقة بلسان هذا المجمع الخادمة الأمانة لمصلحة هذا الشعب المتعاونة مع

المخلصين المشجعة للبانين والناقدة للمتخلفين...» (6).

ان ظهور المجمع وما قد طرح في كلمة المجمع ليؤكد على تنامي واضح لاهتمام المثقفين والمتعلمين في تلك الفترة لأدائهم لدورهم في المجتمع، ويبين مدى ادراكهم للدور الذي يجب ان يقوموا به تجاه وطنهم.

ان تجمع اولئك ظاهرة جديدة في مجتمع الامارات يعطي مؤشرا على الاجواء العامة التي كانت سائدة في تلك الفترة من بداية الدولة الاتحادية.

ومن جانب آخر تبين ان ذلك التواجد ما هو الا امتداد لمرحلة سابقة، ونعني بها مرحلة ما قبل قيام الدولة الاتحادية.

وفي عددها الثاني اكدت «المجمع» على الخطوط العريضة التي ينتهجها المجمع الثقافي الاجتماعي فقد تم التأكيد على ان : «هذا المجمع تجسيد لرغبة اكية دفعت فريقا من مثقفي هذا الشعب إلى البذل والعطاء للنهوض به من وهدة التخلف .. وهو يفتح ذراعيه مرحبا بكل باحث ودارس وكاتب، ويفسح صدره لكل حوار موضوعي اصيل يثري الثقافة العربية، ويصل حاضرها الآمل بماضيتها الحافل ويخلصها من دخيل يهدد كيائها باللمس والتدمير.. وهذه الصحيفة منبر لتلك الصفوة، تذيع من عليه فكرها الباني وثقافتها الرفيعة وتدعو الى مثلها العليا وقيمها الفاضلة ...» (7).

ان تأكيد «المجمع» الدعوة للمثقفين للمساهمة في اثراء الحياة الثقافية والمساهمة في خدمة المجتمع بين مدى اهتمام تلك الصفوة بالشأن العام، وهو مقياس ايضا على الوعي الاجتماعي السياسي الذي يميزها في بداية تكونها.

ولا يفوتنا في هذا المجال ذكر دور مجلة «الاهلي» التي قامت بدور مشابه لدور المجمع في تلك الفترة، بل ان ظهورها قد سبق المجمع حيث ظهرت في اوائل 1970 (8).

ان وجود هذه المجلات قد ساهم في نشر العديد من انتاجات الشباب في تلك الفترة المبكرة من مراحل الحياة الثقافية في الامارات، ومن خلالها نجد ان العديد من شباب الامارات قد نشر قصصه القصيرة، فمثلا نجد ان الكاتب مظفر الحاج ينشر قصته القصيرة «ضحية المجتمع الأناني» في الاهلي (9)،

وعبد الحميد أحمد نشر قصة قصيرة : « حوار بين جيلين في الاهلي ايضا»⁽¹⁰⁾.

في ظل هذه الاجواء الثقافية السائدة في تلك الفترة اضافة الى الاوضاع العامة في المنطقة بالخليج والجزيرة العربية التي تميزت وجود هامش كبير لحرية النشر، والتفاعل مع القضايا الثقافية في الوطن العربي، انعكس ذلك على الحياة الثقافية في الامارات. وانكب المثقفون على كل ما يصدر من بيروت، القاهرة، بغداد، وكانت تلك الفترة بحق فترة الانطلاق، فظهرت العديد من الاسماء في مجال القصة القصيرة، وبرز العديد من المجالات الاخرى المتصلة بالعمل الثقافي العام⁽¹¹⁾. ومن ضمن الهموم العامة للمثقفين في تلك الفترة موقف المجتمع من المرأة، ونجد ان المجالات تناولت هذا الموضوع، وساندت وجوب اشتراك المرأة في الحياة الثقافية، وضرورة كسر الاعلال التي تحد من مشاركتها في الحياة الثقافية، خاصة بعد انتشار التعليم، وقد نالت المرأة نصيبا من ذلك. في ظل هذه الطروحات تشجعت المرأة لخوض هذا المجال منذ تلك الفترة، وما وجود مجموعة من كاتبات القصة القصيرة حاليا الا احدى نتائج تلك المرحلة المضيئة من تاريخ تطور الحياة الثقافية في الامارات، بالرغم من المحاولات التي جرت لايقاف وعرقلة مشاركة المرأة في هذه الانشطة الثقافية. مستخدمة العديد من الحجج منها ما يحاول الصاقه بالعادات والتقاليد، الا ان اصرار المرأة ونضالها منذ تلك الفترة، دحض تلك الحجج، وأثبتت المرأة مكانتها في هذا المجال، وما بروز العديديات من كاتبات القصة القصيرة في بداية الثمانينات الا مؤشر على صحة ما ذهبنا اليه⁽¹²⁾.

ومنذ بداية الثمانينات ازدادت انتاجية كتاب القصة القصيرة في الامارات، نتيجة للظروف التي ذكرت سابقا، اضافة الى تعدد وسائل النشر. وظهور العديد من الصحف والمجلات فنجد ان «الخليج» كجريدة يومية اعطت الاهتمام الواضح للثقافة المحلية، وللكتاب المحليين، فقد ساهمت المسابقات الثقافية في مجال القصة القصيرة، في بروز العديدين في هذا المجال لأول مرة، ونعلم مدى تأثير ذلك على المثقفين بالدرجة الاولى، وعلى المجتمع بشكل عام⁽¹³⁾.

اما مجلة الازمنة العربية، فمنذ صدورها في 8/3/1979 وهي تؤكد على سياسة مساهمة القراء في تحريرها، اضافة الى تركيزها على القضايا المحلية، ومن ضمن تلك الاهتمامات للثقافة نصيب وافر من عدد الصفحات في كل عدد منها.

وكان من الواضح انها قد اخذت بيد العديد من كتاب القصة القصيرة، فنجد انه من خلالها برزت اسماء مثل سلمى مطر سيف، ليلي أحمد، امينة بوشهاب وغيرهن كثيرات. وقد ساهمت في تطوير الحياة الثقافية في الامارات من خلال اتباعها تلك السياسة في النشر⁽¹⁴⁾. ولا بد لنا ان نسجل هنا وبشكل مختصر الاسهامات الاولى لكتاب القصة القصيرة في الامارات منذ السبعينات حتى الآن. فقد أكدت دراسة لعبد الحميد أحمد بعنوان: «توصيفات عامة حول القصة القصيرة والرواية في الامارات في القاء الضوء على هذا الجانب»⁽¹⁵⁾.

ونجد ان عبدالله صقر أحمد يعتبر اول من كتب القصة القصيرة في الامارات حيث نشر مجموعة من القصص القصيرة مثل «قلوب لا ترحم» وذلك في نشرة نادي النصر الرياضي في أواخر الستينات. وبعد ذلك قام القاص عبدالله صقر بنشر مجموعة قصصية قصيرة بعنوان «الخشب» تتضمن تسع قصص قصيرة، تتناول الواقع المحلي وما يتصل به من قضايا اجتماعية وغيرها، تناولها بجرأة ادبية، ويكتب عبد الحميد احمد حولها ما يلي: «... لكن هذه المجموعة لم تصل الى القارئ حتى الآن، فقد صودرت واحرقت لان موضوعاتها دارت حول الانجليز بشكل عنيف فغابت عن ذاكرة الناس وكأنها لم تصدر اطلاقاً، حتى تاريخ صدورهما الفعلي لا يعرفه الا صاحبها فقط»⁽¹⁶⁾.

وفي تلك الفترة ظهرت مريم جمعة فرج ككاتبة قصة قصيرة، ونشرت في مجلات ونشرات الاندية مثل «النصر» الزمالك، الشباب و «الاهلي». اضافة الى مجلة أخبار دبي الصادرة عن بلدية دبي، والاتحاد.

وفي تلك الفترة المبكرة ظهر علي عبيد علي ونشر مجموعة من القصص القصيرة مثل «الجزاء» و «ضحية الطمع». وأيضاً مظفر الحاج، محمد علي المري ومن قصصه «يوم في حياة موظف صغير» سنة 1974. وعبد العزيز خليل. وغيرهم ممن لا مجال لذكرهم هنا، حيث أننا نحاول ان نعطي صورة عامة لانتاج القصص القصيرة في تلك الفترة⁽¹⁷⁾.

اما الفترة الثانية فهي الممتدة من 75 - 1979 وهذه الفترة نجد فيها قلة الانتاج بشكل ملحوظ نتيجة لعوامل موضوعية واخرى ذاتية، حالت دون تنامي وتطور القصة القصيرة بالشكل الكمي الا ان ذلك لا يعني عدم استمرار البعض

في الكتابة، او عدم بروز اسماء جديدة في هذا المجال .. ممن برزت اسماءهم في تلك الفترة علي عبد العزيز الشهران الذي اصدر مجموعة «الشقاء» وهي مجموعة تدور حول مرحلة ما قبل قيام الاتحاد، مستخدما العودة للماضي كموضوع اساسي تدور حوله المجموعة.

ان فترة 75 - 1979، هي تلك الفترة التي ارتفعت فيها اسعار النفط بشكل واضح وخاصة بعد حرب 1973، وما طرأ على الاسعار من ارتفاع، أدى الى وجود سيولة مالية ضخمة في الداخل، وبرزت العديد من المشاريع ذات الصلة بالتنمية، وتطوير البناء الاساسي للدولة، مع بروز فرص ظاهرة للحراك الاجتماعي، نجد ان معظم الشباب والمثقفين انخرطوا في الاعمال التجارية، بهدف استغلال تلك الظروف الاقتصادية، ومع تنامي الاعمال التجارية او ما حققته القوانين من تمييز للمواطنين في ذاك المجال، وانشغال الصفوة أو النخبة في العمل التجاري أثر بشكل واضح على الوضع الثقافي في الامارات، وتراجعت النخبة الثقافية عن دورها الريادي في هذا المجال، وانحازت لمصالحها الخاصة، مع إهمالها للهم العام، والقضايا الفكرية والثقافية، تلك التي كانت مركز اهتمامها في بداية السبعينات وهذه احدى النتائج الواضحة لتأثيرات الجانب الاقتصادي على الجانب الثقافي والفكري الا انه يلاحظ بالرغم من ذلك استمرار بعض الكتاب في اتمام المسيرة القصصية في الامارات ونقد كل المظاهر التي سادت مجتمع ما بعد الطفرة النفطية . ويات من الواضح ان هنالك مخاضا جديدا في مجتمع الامارات، فالنخبة الثقافية تحاول ان تحتل مركز النخبة الاقتصادية نتيجة للوعي الزائف لدى البعض باعتقاده ان ذلك ممكن، وهي لا تخرج عن نطاق التضليل الاعلامي لما تقوم به وسائل الاعلام الامبريالي من حيث توهم بإمكانية الحراك الاجتماعي في ظل هذه المجتمعات في العالم الثالث، وخاصة تلك التي تنهج الطريق الرأسمالي في التنمية⁽¹⁸⁾.

وفي فترة الثمانينات انتعشت الساحة الثقافية من جديد، وظهرت العديد من الانتاجات الادبية في القصة القصيرة، وهي مرحلة جاءت بعد زوال حلم الثروة والسلطة المالية لدى الفئة المثقفة وعودتها إلى مجالها الحقيقي، واصبحت القصة القصيرة سمة واضحة في المجال الثقافي المحلي⁽¹⁹⁾.

القصة القصيرة والتغير الاجتماعي :

كما ذكرنا سابقا فإن العوامل التي ساهمت في التغير الاجتماعي في مجتمع الامارات يمكن حصرها وبشكل أساسي في عاملين : الاقتصاد، والتعليم، اضافة الى عوامل اخرى ساهمت بشكل أو بآخر، الا ان للاقتصاد وما تم في هذا المجال من تحولات جذرية سارعت في عملية التغير الاجتماعي، ونجد ان مجتمع الامارات قد انتقل خلال فترة وجيزة من مجتمع تقليدي في مناشطه الاقتصادية، ومن الدول الفقيرة التي تعتمد في مشاريع التنمية على مساعدات الدول العربية الاخرى، الى دولة ذات مدخول يقدر بالمليارات. لتصدير النفط بكميات تجارية، بل انها تعتبر من الدول التي يصل دخل الفرد فيها الى ما يزيد عن 14 ألف دولار سنويا. هذه الطفرة الاقتصادية نجم عنها تغيرات عديدة في المجال الاجتماعي، فقد كان من نتائجها المباشرة تحسن جذري في مستوى المعيشة، اضافة لذلك فتحت المجال للسلطة السياسية للقيام بوضع تصورات تنموية شاملة على مستوى الامارات ومنها التوسع في قطاع التوظيف في المؤسسات الاتحادية، مع بروز مؤسسات الدولة المتمثلة بالوزارات الاتحادية، التي أتاحت فرصة العمل للعديد من المواطنين للانخراط في هذه الوزارات، مما يعني وجود دخل شهري ثابت لقطاع كبير من المواطنين، اضافة الى وجود مجال للعمل التجاري ضمن المشاريع التي طرحت في مجال التنمية، مما أدى في نهاية المطاف لحدوث نقلة اجتماعية في المجتمع التقليدي، فمع تلك المتغيرات حدث الانفتاح على العالم الخارجي، هذا الاتصال مع العالم الخارجي شمل كافة اوجه الحياة، ومن ضمنها الانفتاح الثقافي على الثقافات العالمية والعربية.

ان التحولات من مجتمع القبيلة الى مجتمع الدولة، بمفهومها الحديث نجم عنه العديد من المشكلات سواء كان ذلك في المجال الاجتماعي او السياسي او الاقتصادي، كل تلك الظروف انعكست على الانسان بشكل جعله يصارع ذاته بين قيم ما قبل النفط، والمجتمع الجديد بعلاقاته الاجتماعية الجديدة، وبمعنى آخر بين قيم المجتمع التقليدي المحافظ الى حد ما، والمجتمع الحديث بقيم تكاد تكون ذات صبغة رأسمالية، فردية، والتعامل مع مؤسسات جديدة، هي الدولة بدلا من النمط القديم من السلطة، ولعل كتاب القصة القصيرة في الامارات

يعبرون من خلال تلك القصص عن ذلك الصراع الداخلي الكامن بين القيم القديمة وقيم المجتمع الجديد⁽²⁰⁾.

نماذج من القصص القصيرة والتغير الاجتماعي في الامارات :

ونود ان ننوه هنا الى اننا سنقوم بعرض بعض من القصص للكتاب ايضا لتوضيح الكيفية التي تناول بها كتاب القصة هذه التغيرات، مع الاخذ بعين الاعتبار اننا لا نستطيع ان نستعرض كل القصص ولا كل كتابها في هذا البحث.

1 - عبدالله صقر أحمد :

ويعتبر من الاوائل في مجال كتابة القصة القصيرة، فقد اصدر مجموعته في نوفمبر 1975، تحت عنوان الخشبة، والتي بين من خلالها بعضاً من مظاهر التغير الاجتماعي في تلك الفترة، وضمن مرحلة التحولات الاولى بعد قيام الدولة الاتحادية، وفي فترة الانتعاش الاقتصادي الذي ساد بشكل ملحوظ، وقد انعكس ذلك في المجموعة القصصية، ونجد على سبيل المثال في قصة «نشوة وسط اضطراب لغاليم يموت»⁽²¹⁾، توصيفاً لوضع الانسان في تلك المرحلة التي تسابق فيها الجميع للعمل، من أجل تحسين اوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية، مع اعطاء صورة لتزايد الايدي العاملة الوافدة بشكل لم يترك مجالاً للمحليين «المواطنين» حتى في استخدام وسائل المواصلات، وهي رمز لامور أخرى، فنجد في صفحة 15 من المجموعة ما يلي: «فقد احتلت الاماكن قبل ان يهم - حتى في الاقتراب من العربية - سبقة الجميع وبدأت السواعد والاكتاف تلطمه، تدفعه عن الدرب، اصبح عكس ما توقعه او تصوره»⁽²²⁾.

أما معاناته الذاتية - والتي قد تكون حالة غيره ممن يحملون نفس الاتجاه والطموح فنجد انه يوضح مطالب تلك المرحلة، وانعكاساتها على الانسان بقوله: «آه من هؤلاء البشر يريدونك خالياً مما تحمل، يريدونك مجرداً من أشيائك»⁽²³⁾.

وهذه اشارة الى ان المرحلة كانت تتطلب التخلي عن قيم معينة في سبيل اللحاق بالركب، وهي دعوة عامة الى حمل الجديد، وان على بطل قصته ان يستوعب ذلك والا فان الركب سيمضي ويظل خارج حركة المجتمع الجديد. ومن الواضح ان اللهات وراء متطلبات الوضع الطارئ الجديد، وما نجم عنه من

تغيرات في القيم الاجتماعية والاعراف والتقاليد يتطلب من أفراد المجتمع وخاصة أولئك الذين ما زالوا في تلك الفترة ممن يحملون الثقافة التقليدية، وما تحمله بين طياتها من نماذج لطبيعة العلاقات الاجتماعية سواء على المستوى المادي او المعنوي، حلت محلها بالتدرج قيم جديدة، ونتيجة للتغير في التركيب السكاني للامارات، وما قد ينجم عن ذلك من الاحتكاك بثقافات أخرى تختلف عن الثقافة العربية في العديد من القضايا، تجعل الكاتب يطلق رفضه لهذا الواقع الجديد الذي يجعله مغتربا في مجتمعه المحلي، بل يجعله يستهجن ما يجري في وطنه. وفي عبارته التالية: «أه من هؤلاء البشر – يريدونك خالياً مما تحمل، يريدونك مجردا حتى من أشياءك»! «إشارة واضحة للرفض في البداية» الا ان بطل القصة يخضع في النهاية الى متطلبات الحياة الجديدة، في محاولة منه للحاق بالركب، وان التغير حادث بلا شك سواء انخرط به او اتخذ موقف سلبي.

ونجد ان الكاتب في قصته الآتية «يتناول الواقع بشكل مغاير تماما حيث نجد أنه يعالج من خلال شخوص ابطال قصته الاوضاع الجديدة في مجتمع الامارات ويتناول حياة فئة اجتماعية ممن تعتمد على معونة الدولة وذلك عن طريق الاعانة من الشؤون. وفي نفس الوقت يؤكد على استمرار المرأة في ممارسة نشاطها الاقتصادي القديم في شخصية عقير «تلك المرأة التي ما زالت تتبع السمك في السوق». وفي هذه القصة بين طريقة حياة الرعيل الاول ممن عاشوا في مرحلة ما قبل النفط وبعدها، وكيفية تعاملهم مع الاوضاع الجديدة، فنجد ان جمعان «ما زال معلقا بالبحر، وهي اشارة الى حالة عدم الاندماج بالمعطيات الجديدة الا في بعض المظاهر الخارجية. ويورد ذلك بما يلي: «والآن بالنسبة له تغير كل شيء... وظل يرى كل طارئ جديد فيقلده قدر الامكان.. ذلك انه لم يعد يلبس (الصديري) ولم يعد يهتم (باللاس) الذي يضعه على احد كتفيه كلما جرجر ساقيه في مواجهة الريح.. كان هذا أيام زمان مضت الى غير رجعة» (24).

ان موضوع الانسان والعمل من المواضيع التي نالت حظا وفيرا في مجموع عبد الله صقر وفي قصصه المنشورة في الصحف والمجلات الاماراتية، فمعلوم ان معظم من يعتمدون على معونة الدولة المالية، يظلون من دون عمل أو انتاج مما يحول حياتهم الى فراغ قاتل ومعاناة نتيجة لعدم العمل، وهي حالة ظاهرة

خاصة في المرحلة الحالية، على حين ان هؤلاء الناس كانوا ممن يقومون بعمل منتج في المجتمع القديم. هذه الوضعية الجديدة تترك الكثير من الآثار السلبية على افراد المجتمع وتحول دون انخراطهم وتفاعلهم مع المجتمع الجديد.

عبد الحميد أحمد :

بدأ عبد الحميد أحمد في خوض مجال القصة القصيرة منذ اوائل السبعينات وذلك من خلال نشرة لقصصه القصيرة في مجلتي اخبار دبي – الصادرة عن بلدية دبي، ومجلة الأهلي. الصادرة عن النادي الاهلي، اضافة لنشره لبعضها في مجلة «الازمنة العربية» في بداية الثمانينات وأصدر أول مجموعة قصصية في سنة 1982 والثانية في سنة 1987⁽²⁵⁾ اضافة لاسهاماته الادبية من خلال اتحاد الكتاب والادباء في الامارات او من خلال مجلة الاتحاد الفصلي «شؤون أدبية».

من خلال المتابعة لانتاج عبد الحميد أحمد يلاحظ انه قد تطور بشكل ملحوظ في ادواته ومضامين قصصه القصيرة خلال رحلته الادبية الممتدة نحو اربعة عشر عاما. وتناول العديد من القضايا الاجتماعية سواء على المستوى المحلي او على المستوى العربي ففي قصته : «على حافة النهار» والتي يتناول فيها الازمات الاجتماعية – الاقتصادية في الوطن العربي، من خلال شخوص القصة فنجدته يتكلم على لسان احدى شخصيات القصة ، – مريم – الوضع الذي وصلت اليه الدول العربية بقولها :«لعلك رأيت كل شيء في المدينة ... هذا المعرض كما تعرف يقام سنويا. ثم اضافت : كل شيء هنا مفتوح لجلب الدولار»⁽²⁶⁾.

ومن العبارة السابقة يتضح ان كل شيء مباح دون قيود او شرط لكسب حفنة من الدولارات بما في ذلك كرامة الانسان وأخلاقه وقيمه التي لا بد وان تواكب هذا التحول نحو المزيد من التبعية للعالم الرأسمالي. اما عن التفاعل مع الوضع المحلي، فنجد ان الكاتب قد صب كل اهتمامه من خلال شخصيات القصة على الموقف من التغيرات التي تتم في مجتمع الامارات وخاصة ذلك الصراع الداخلي بين تقبل القيم الجديدة وتعارضها مع تلك القديمة، اضافة الى استمرار بعض اشكال العلاقات الاجتماعية القديمة بالرغم من التحولات الاقتصادية التي تمت خلال العقدين الماضيين من هذا القرن. ففي قصته «الطائر الغمري»

نجد تلك الصور من الصراع القيمي بين المجتمع القديم بقيم التلاحم والتراحم والتواصل بين الناس، مع انتشار الفردية والانانية وتحول الانسان نحو همومه الذاتية دون اعتبار للآخرين. فقد جاء على لسان «عفراء» ما يلي «عجائب هذا الزمان كثيرة. النعمة جاءتنا ومعها اشياء ما خبرناها من قبل»⁽²⁷⁾. وهذا العبارة تبين مدى المعاناة التي اصابنا افرادا من المجتمع نتيجة لهذه التحولات الجذرية في حياة الافراد، وبدأت ملامح المجتمع الجديد تتشكل من حيث فرز المجتمع الى فئات اجتماعية ذات ملامح طبقية نتيجة لعائدات النفط، وكيفية توزيع الثروة على افراد المجتمع، فممنهم من نال من تلك الثروة بشكل ملحوظ، ومنهم من ظلت اوضاعه الاقتصادية الى حد كبير وفي اسفل السلم. فنجد ان شخصية مبارك في القصة تؤكد على ذلك من خلال عبارته التالية من الحوار الدائر بين مجموعة من افراد المجتمع: «اجاب مبارك وقد غطت وجهه سحابة حزن داكنة: هذي حالنا. الاول كلنا كنا واحد، الآن الدنيا تبدلت، ناس سوت سيارات وبنائيات، وناس...» ثم بعد ان اطلق آهة في الهواء: «هذا حظنا من الدنيا»⁽²⁸⁾.

ونجد ان الاهتمام بالتعليم لدى الرعييل الاول واضح من خلال الحوارات الدائرة بين شخوص القصة، ادراكا بأن التعليم يترك المجال لابناء الفقراء لنيل الوظائف العليا في مؤسسات الدولة. فالآباء يوصون أبناءهم بعدم ترك المدرسة لانها ستفيدهم.

ونجد ان الكاتب على لسان سيف بن خلف يطلق صرخة احتجاج على العلاقات السائدة في مجتمع النفط، رافضا التدهور في العلاقات الانسانية بين افراد المجتمع، فقد اطلق سيف صرخته: «كأن ريحا صرصرا مرت على الناس فأقتلعت الرؤوس، ولم تبق الا البطون يا جماعة هذه ليست بأحوال، اعوذ بالله من كل شيطان رجيم»⁽²⁹⁾.

وقد تناول القاص عبدالحميد احمد موضوع التعليم في الخارج وانعكاس ذلك على الطلاب من حيث معاناتهم الداخلية النفسية نتيجة للانتقال من المجتمع المحلي الى المجتمعات الغربية، ذلك كان واضحا في قصة «جيني» والتي تدور حول الطالب علي في احدى الدول الغربية، فلا هو القادر على الاستيعاب والتكيف مع ذلك المجتمع الغريب عنه، وبالتالي يعود بخياله دائما لمجتمعه

القديم، بعلاقاته التي قد تكيف معها منذ طفولته، حتى انه في لحظات الاغتراب تلك يعود للوطن بخياله، يشفق لمن احبته ولكن بالطريقة التي يتفاعل معها على عكس علاقته بجيني، تلك الفتاة الاجنبية التي مارست معه كل سلوك المحبين، الا انها صدمته حينما قالت له انه يروق لها فقط، واعتقد ان الحوار التالي يعطي صورة واضحة : «في الظلام تجرأت ان اسألها : «جيني» هل تحبينني؟ جاءني صوتها منتشيا بالنعاس : انت تمزح طبعاً. تعلم اني لا احبك... وغصت في صمت... ثم قالت متثابة أنت تروقني يا علي فقط... وأغمضت عيني لحظات... ولا أدري كيف تذكرت عائشة في هذا الظلام...» (30).

اما في قصته «آل مغضوب برسم البيع» فقد استطاع القاص عبدالحميد احمد ان يصور الواقع الجديد... من خلال تناوله لعدة ظواهر اجتماعية منها وضعية المواطنين من حملة الشهادة العلمية ممن لا يوظفون في مجال اختصاصهم والذين قضوا سنوات طويلة يعدون أنفسهم للمشاركة في تطوير بلادهم، وقد ركز على احد الخريجين في مجال الهندسة البترولية، وهذا قطاع هام تعتمد عليه الدولة في حياتها الاقتصادية وان معظم المؤسسات الهامة تدار من قبل الاجانب غير العرب. وهي احدى نتائج الهجرة الاجنبية للامارات. وما قد ترتب على ذلك من نتائج خطيرة، ومحاربة للعنصر الوطني حتى في مجال تخصصه. فنجد ان مدير شركة النفط يوجه حديثه للمهندس المتقدم لوظيفة في الشركة قائلاً : «لا شواغر لدينا الآن وظيفة مهندس، ولولا انه يطلب منا توظيفكم لتعذر علينا قبولك بأي وظيفة...» (31).

ويتضح من العبارة السابقة مدى التسلط الذي يقوم به الاجانب غير العرب على المؤسسات الحكومية، بالرغم من ان هنالك تعليمات من قبل متخذي القرار لتوطين الوظائف من خلال توظيف المواطنين الا انهم يجمدون الكوادر الوطنية بشكل أو بآخر. وهذه الحالة ما هي إلا انعكاس لظاهرة عامة، وخاصة في مجال شركات النفط العاملة في الدولة. ولعل التوصيف الذي قام به القاص لنتائج انتشار ظاهرة الادمان على الخمر، نتيجة للاحباط الذي تصاب به فئة المتعلمين ممن تتكسر احلامهم على ايدي اولئك الاجانب. والعبارة التالية توضح النتيجة التي توصل لها بطل القصة «الم تنغلق كل الابواب في وجهك؟ الم تطرد من الارض وعائشة والقبيلة؟» وهي تختصر كل القضايا التي يواجهها الانسان

المواطن في هذه المرحلة، فقد طرد من الارض وهي الرمز للوطن، اما عائشة فترمز للحياة الاجتماعية وايضا فان القبيلة تلك المؤسسة الاجتماعية في مرحلة ما قبل النفط - قامت بطرده.

ونجد ان القاص يرفض الاقنعة التي يلبسها افراد المجتمع في هذه الفترة من حيث اصبحت الازدواجية السلوكية إحدى السمات الاجتماعية السائدة، فكل الافعال تتم في الخفاء، فالانسان طيب وخبيث في نفس الوقت، وهو امين ولص.... الخ. وهي معاناة ذلك الانسان الذي يعتقد ان عليه ان لا يخجل من سلوكه وان تكون شخصيته واضحة المعالم لا ان تكون مزدوجة. وهي حالة من حالات الاغتراب الاجتماعي الذي يعاني منه الكثير من افراد المجتمع .. لتوضيح هذه الحالة نورد ما جاء في القصة : «ان الجميع يشربون هنا سرا.. يزنون.. يسرقون.. يحتالون، وانك افضل منهم حيث تعلن ما تفعله، وقد بدا لك جوابك مقنعا.. وها انت تدوس في الاخطار ولا تبالي بأحد... وكأنك مجنون هرب لتوه من مستشفى المجانين» (32).

وهنا اشارة واضحة لرفض بعض من افراد المجتمع للقيم الثقافية السائدة، والتي هي استمرار لما كان سائدا في المجتمع التقليدي، فكل تلك الافعال تعتبر من الافعال التي لا يتقبلها المجتمع بل انه يحرمها تماما مثل السرقة والزنا والشرب، لذلك فالناس يمارسونها بالسر خشية من العقاب الاجتماعي وليس من القوانين السائدة.

اما هموم المرأة في مجتمع الامارات فقد تناولها القاص في العديد من اعماله بل يمكن القول ان أياً من قصصه لا تخلو من ذلك. وسنحاول هنا ان نعطي نموذجا واحدا في مجموعته الاخيرة وهي قصة «المرأة الاخرى» (33). وقد تعرض القاص للعديد من المشكلات الاجتماعية التي تواجه المرأة في مجتمع الامارات، ومنها معاملتها كسلعة تباع لمن يدفع أكثر، قضية غلاء المهور... الخ، والتخلف الاجتماعي وانعكاسه على اوضاع المرأة في الامارات (34).

مريم جمعة فرج :

«اجد نفسي قريبة من الموضوعات الاجتماعية والمشاكل والنتائج كل هذه تتحول عندي الى احداث تنبثق عنها القصص» (35). مريم جمعة فرج.

ان مريم جمعة فرج من كاتبات القصة القصيرة الاوائل في الامارات، فقد خاضت هذا المجال منذ بدايات السبعينات خلال مساهماتها الكتابية في الصحف والمجلات المحلية، وواكبت التطور الذي اصاب هذا المجال حتى يومنا هذا، وما يميز كتاباتها في القصة القصيرة ذلك الوعي بمعاناة الانسان اليومية، وتتلمس ذلك من خلال الشخصيات التي تكون محوراً لقصصها القصيرة، وهي كانسانة مثقفة وواعية لما يجري من تغيرات في المجتمع، نجدها تعلن عن ذلك بقولها : «اعتقد بشكل جازم انه كلما ازداد الوعي ، ازدادت معاناة الانسان – (36)» وتؤكد العبارة السابقة مدى العمق في التحليل الذي يكشف عن شخصية الكاتبة. ومعظم قصص مريم جمعة تؤكد باللموس عن الكيفية التي تحاول الكاتبة ان تكشف عن مكامن الخلل في العلاقات الانسانية في مجتمع الامارات، فهي تتناول قضية التمييز، وهي قضية هامة نجمت عن تلك التحولات التي اصاب المجتمع خلال الحقبة النفطية، فهي في قصة «بدرية» تتناول حياة ضحية من ضحايا التمييز في المجتمع. وهي في نفس الوقت تؤكد على التحولات التي تمت في المجتمع، فمن كان ذا جاه ومال في المراحل السابقة انقلبت حياة أحفاده الى البؤس والفقر نتيجة لعدة عوامل.

ونجد ذلك في النص التالي من قصة «بدرية» : احترق الصدر : جدنا الكبير كان غنيا هناك كان رئيس القبيلة وله اربعة من الحريم الجميلات وثلاثون من الابناء والاحفاد، قصره كان مليئاً بالجواري والعبيد والذهب، كان تاجراً كبيراً امواله تخرج في الاصقاع مع القوافل لم تكن جدتي تعرف الطبخ ولا تعرف تربية الاولاد (37).

ان هذا الوصف الدقيق لحالة الفئة الاجتماعية ذات وضع اقتصادي متميز، تصف من خلاله جانباً من حياة «بدرية» الشخصية الرئيسية في القصة، تبين التركيب الاجتماعي وتعطي نماذج من حياة الفئة الغنية، وتطرح من خلاله وجود ظاهرة تعدد الزوجات ووجود عدد من الجواري والعبيد والذهب، فالكاتبة هنا تؤكد على حقيقة وجود تجارة الرقيق. هذه الظاهرة التي تؤكد مبدأ من المفروض انه مرفوض دينياً الا ان وجوده يؤكد على استمرار استغلال الانسان لاخيه الانسان بأبشع صورة، ويتضح ان اولئك العبيد يقومون بمهام ربة البيت «الام» من طبخ وتربية الاطفال. ولعل هذه الظاهرة اخذت شكلاً جديداً في

المجتمع النفطي حيث يستعان بالخدم والمربيات بدلا من العبيد نتيجة للتطورات والجهود التي تبذلها عدة من الهيئات الدولية للقضاء على ظاهرة تجارة الرقيق. في نفس الوقت تؤكد على دحض مقولات الاستعمار البريطاني بأنه قد قضى على تجارة الرقيق في المنطقة والذي يعلل انها من أسباب قدومه للمنطقة في بدايات القرن التاسع عشر.

واستطاعت الكاتبة ان تلقي الضوء على مشكلة اجتماعية - سياسية يعاني منها قطاع من سكان الامارات ممن يعانون من قضية معرفة وضعهم القانوني في الدولة وانعكاس ذلك على حياتهم. فنجد ان بصرية الشخصية الاساسية تطرح قضيتها في نهاية القصة بما يلي :

« أردفت وهي تخرج من الفناء : منذ موتكم لم يعد لدي شيء، حتى ورقة جنسية ؟ » (38).

ان هذه العبارة تعبر تعبيراً صادقاً عن الضياع الذي تعانيه بصرية في ظل المجتمع الجديد فهي فقدت كل شيء تقريبا بل انها تعاني من عدم اعتراف المجتمع بها كجزء منه له وضعه القانوني وذلك بعدم منحها الجنسية تلك التي تعتبر الوثيقة الرسمية والتي من خلالها تستطيع ان تنال حقوقها وتؤدي واجباتها نحو الوطن.

ان هذا الاحساس غير المعلن مباشرة عن الاضطهاد فيه نقد لاذع للمجتمع من خلال القصة قامت به الكاتبة مريم جمعة وهي تشير قضية هامة يعاني منها قطاع من افراد المجتمع ممن ينتمون لهذا المجتمع ولهذه الارض ثقافتهم هي الثقافة العربية ولولاؤهم لهذا الوطن. وهم احدى ضحايا بعض القوانين التي وجب مراجعتها لاعطاء حقوق بعض من فقدوا تلك الحقوق.

ان قضية بصرية هي أحد النماذج من قصص مريم جمعة والتي تلقي الضوء من خلالها على بعض مظاهر التغير في مجتمع الامارات ولكن بنظرة انسانية ناقدة (39).

سعاد العريمي :

ان قراءة نماذج من القصص القصيرة للكاتبة سعاد العريمي توحى للقارئ

بمدى الارتباط بالقضايا العربية الهامة، ويتضح من اجواء تلك القصص التأثير الواضح للقضايا المصرية ومنها ما هو متصل بالقضية الفلسطينية، نجد ذلك من خلال الاجواء التي ترمز للكفاح المسلح وأوضاع الانسان العربي في المخيمات وغيرها ونجد ذلك في قصة الرحيل على سبيل المثال ونقتطف منها ما يلي :

«أذكر الله يا رجل : اطلب لها الرحمة... ابنتك شهيدة ولم تكن الوحيدة في صبرا...!! وجعي مزمن يا أبا الوليد... لا تلومني ولكن الله اكرمك بالمعتصم... صرخ قائلاً : اين هو المعتصم؟ لقد استبدل الكتاب بالبارودة...» (40). أما عن الكيفية التي تفاعلت القاصة مع مجمل التغيرات الاجتماعية التي اصابته المجتمع المحلي بالامارات فقد تناولت ذلك في قصة طفول وحلم القبيلة، والتي حاولت من خلالها طرح قضية العلاقة بين الموظفين في المؤسسات والكيفية التي تدار فيها الاعمال، والعلاقات الجديدة التي برزت من خلالها ملامح التفاوت الاجتماعي والعلاقات بين مدير العمل واحد العاملين فيها وهي بذلك تلقي الضوء على كيفية تنامي استغلال الانسان لمنصبه في فرض آرائه على من هم في وضع وظيفي دونه. ومن خلال قصة «طفول وحلم القبيلة» (41) تدخل القاصة سعاد العريمي في الاجواء النفسية لذلك «الفرّاش» الذي يعاني من عجرفة وقبول اوامر المدير، تلك التي تتعارض مع قيمه الاجتماعية والتي تخلق لديه صراعا نفسيا داخليا بين القبول والرفض، فهو قد تعود على المساواة في معاملته اليومية ولم يتعود ان يكون خاضعا لاي كائن الا ان المعادلة صعبة، فهو مخير بين قبول الاوامر المتصلة بقيمه وعاداته وبين وظيفته او بمعنى آخر لقمة العيش ونجد ان القاصة استطاعت ان تسجل التغيرات من خلال الوصف الدقيق المتعمق في الاوضاع الجديدة وعلاقات العمل وبروز ظاهرة النفاق والتزلف، وهي جديدة على هذا المجتمع فقد كانت العلاقات الاجتماعية تختلف عن ما هي عليه الآن فما عادت الصراحة وابداء وجهة النظر صراحة هي السائدة كما كانت في الماضي بل نجد ان العلاقات يسودها الخوف من جهة والسيطرة نتيجة لعامل القوة والمكانة من جهة أخرى فنجد ان زاهر بن عزان البهلاني (الفرّاش) يحاول ان يرفض الواقع الجديد الذي يعيشه والفقرة التالية تبين جزءا من ذلك : «ومن اول يوم التقيا فيه شعر زاهر بنوع من عدم الارتياح في عيني مديره المتناهيين في الصغر حيث كان ينظر اليه خلسة شعر المدير بأن زاهر يتعامل معه بندية، ولا يقيم له وزنا... وهو صاحب الامر والنهي...!!» (42). وفي

محاولة من المدير لكسرحدة هذا التحدي الذي يبيده زاهر ومن مظاهر التعامل بالندية يبرز الحوار التالي:

«فنهرة قائلاً: ما اسمك؟ وأجاب: انا زاهر... زاهر بن عزان البهلاني. شعر المدير بغیظ جارف... فصرخ به: ولماذا انت هكذا؟! تبدو مخيفاً بهذه اللحية!! ثم انني لا أحب الرجل اللحياني ايها البهلاني!!»⁽⁴³⁾.

من خلال الحوار نجد ان زاهر لم يستخدم عبارات الاطراء حينما حدث المدير مثل طال عمرك... الخ... من هذه العبارات التي تطرب من هم في منصبه بل نجد أنه يتحدث معهم دون تكليف او اجلال... ومن هنا جاءت ردود فعل المدير لكسر عزة نفس هذا الرجل وكرامته حيث يطالبه فيما بعد بحلاقة لحيته وشاربه. «... تحسس المدير ذقنه... ثم شاربه وكان أشبه بوجه امرأة... وانفجر هراء! ما أنت سوى فراش في مكتبي... ولن تفرض علي احترامك!! كيف تريدني ان احترم من هو في خدمتي. غدا صباحاً... لا أريد ان أرى لحيتك ولا شاربك ايضاً!!»⁽⁴⁴⁾.

نجد ان زاهر قد خضع في النهاية لمطالب المدير، وهي التي حولته من رافض للقيم الجديدة الى انسان يؤمن بأن الغاية تبرر الوسيلة وان الهدف من قدومه العمل والمال الا انه حينما يعود الى مجتمعه الاصلي نجد ان طفول فتاة احلامه ترفضه لانه لم يعد زاهر المقبول في مجتمعه بقيمه وعاداته سواء الظاهر منها او المخفي بل اصبح إنساناً آخر هذا الموقف دفعه الى أن ينهي حياته منتحراً.

ان تناول القاصة سعاد العريمي لهذا الموضوع الهام ذي العلاقة بالتغيرات الاقتصادية – الاجتماعية انما يعكس وعي القاصة بالقضايا الاجتماعية التي يعاني منها قطاع كبير من المجتمع وفي نفس الوقت تتعرض لموضوع هام هو من ضمن القضايا التي يجب معالجتها قبل ان تستفحل ويصبح علاجها من المحال وفي نفس الوقت تلقي الضوء على بروز قيم جديدة عبر عنها ذلك المدير برفضه احترام من هو في خدمته صراحة. وهو ما يؤكد على ان الاحترام لم يعد للانسان بغض النظر عن وضعه الاجتماعي – الاقتصادي بل ان موقعه وسلمه الوظيفي او بمعنى آخر ان محددات الاحترام والتقدير ترتبط بامركز الذي يحتله في السلم الوظيفي او في وضعه الاقتصادي المتميز فهو احترام وتقدير للقوة

التي يتمتع بها وليس لكونه إنساناً مما يعني في نهاية المطاف ان من يكون محترماً ومقدراً في يوم يفقد ذلك نتيجة لتغير وضعه في المجتمع الجديد فالمعايير لذلك الاحترام تختلف نتيجة للقيم الجديدة واذا سادت هذه النظرة في المجتمع فلا عجب ان يسود النفاق الاجتماعي والتزلف ويفقد المجتمع افراده من خلال علاقات غير صادقة ولا حقيقية او بعبارة واحدة ان المصلحة والقوة هي التي تحدد نمط تلك العلاقات الاجتماعية⁽⁴⁵⁾.

عبد الرضا السجواني :

ان ما يميز قصص عبد الرضا السجواني القصيرة انها تنصب في معظمها في تناول العلاقة بين المرأة والرجل سواء كان ذلك بتناول المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي يواجهها الشباب او في تناول ظاهرة زواج كبار السن من زوجات صغيرات السن من اجنبيات وخاصة القارة الهندية.

ونجد من خلال مجموعة القصص القصيرة التي ينشرها القاص في الجرائد اليومية في الامارات تركيزه على هذا الجانب، فالهم الاجتماعي لديه منحصر في هذا الجانب دون غيره ونعلم ان هذه المشكلات قد برزت للسطح الاجتماعي منذ بدايات السبعينات وتزايد الدخل لفئة المواطنين نتيجة للطفرة في أسعار النفط، اضافة لذلك تنامي العديد من الامراض الاجتماعية من جهة، واستمرار النظرة السلعية لدى قطاع كبير من افراد المجتمع للمرأة حيث ما زالت تلك السمة تؤكد على استمرار الربط بين مكانة المرأة وقيمة المهر، على سبيل المثال، اضافة لذلك نجد ان الصراع القيمي بين القيم الجديدة والقديمة، وخاصة في مجال الاسرة، فهل تظل المرأة ولابد تابعا للرجل ومنفذا لاوامره، حتى لو كانت خاطئة او غير منطقية. فالرجل نتيجة لتفشي الكثير من الافكار المشوهة حول السيطرة والرجولة تجعله يعيش في حالة قبول - رفض، هذا التناقض يبرز في قصص عبد الرضا السجواني. وسوف نستعرض هنا بعضا من تلك القصص، لالقاء الضوء على تلك القضايا التي تحدثنا عنها في الاسطر السابقة.

نجد في قصة «بشرى في الستين» موضوع زواج كبار السن من زوجات اجنبيات صغيرات السن، وقد استطاع القاص ان يتناول جوانب من طبيعة العلاقة بين الطرفين من جهة ومدى ما ينجم عن هذه الصفقة التجارية من

مشكلات اخلاقية تظهر في صورة «الخيانة الزوجية» حسب العرف السائد وهي قضية مرفوضة اخلاقياً ولكن نتيجة للتفاوت العمري الواضح بين الزوج والزوجة فهو يبلغ من العمر ستين عاماً على حين انها تبلغ سبعة عشر عاماً (٤) ولنا هنا ان نتخيل تلك العلاقة الزوجية بينهما، ولقد لخص القاص ذلك خاصة بعد ان وجدت احد ابناء بلديتها ممن يعمل في الامارات وتطورت علاقتهما وتخطت كل الحواجز، بل انها وجدت نفسها من خلال هذه العلاقة. ويصف ذلك بما يلي : ثم جاء (بجو) مرة ثانية وثالثة.. تدرجت بعدئذ الى علاقة اقوى واقوى... وصار قلبها ملكاً لـ «بجو» وحده ولم تحس يوماً بعجزها قط، الا باحساس الخادمة والتي تلبي مطالب سيدها المبجل ... وكيف بمن في سنه ان يبث روح الشباب وحيويته! (٤٦).

وتظهر نتائج تلك العلاقة العاطفية باعلان ان زوج الكهل قد حملت بطفل، مع العلم ان القصة منذ بدايتها تؤكد على استحالة ذلك نتيجة لما يعانيه الزوج ولكن بالرغم من ذلك نجد انه يفرح لذلك الخبر الذي ينتظره منذ سنوات طويلة ودون ان يظهر عليه اي تعجب لهذه النتيجة.

ان المشكلة التي تناولها القاص في هذه القصة تعكس في الواقع الظاهرة التي اصبحت متفشية في الامارات وبشكل صارخ فحتى الآن لا توجد قوانين تحد من زواج كبار السن بمن هن في سن احفادهم. اضافة لذلك فان نتائج تلك الزيجة ما هو ظاهر وبعضها ستظهر نتائجه قريباً وخاصة نظرة افراد المجتمع لاولئك الابناء من الزوجة الاجنبية والتي نجد آثارها واضحة في تسمية اولئك «بأبناء الهندية» وهو رمز لرفضهم اجتماعياً وعدم تقبل بعض افراد المجتمع بشكل قاطع. اضافة الى ما قد يؤثر على ثقافة وولاء اولئك الاطفال، فهم يحملون الثقافة العربية من جهة او ثقافة الامم من جهة اخرى وهنا مكمن الصراع الثقافي الذي يعاني منه اولئك، فهم بحكم القانون مواطنون ولكنهم في نفس الوقت غرباء نتيجة للتنشئة الاجتماعية التي تقوم بها الأم.

اما القصة الثانية والتي تناول فيها عبد الرضا السجواني الهم الاجتماعي الذي يعاني منه فقد ورد في « قضية رجولة» (٤٧)، جانب آخر من جوانب الحياة الاجتماعية والعلاقة بين افراد الاسرة في ظل المعطيات الاجتماعية الجديدة، ونجد أن الزوجة وبناتها - كنموذج لشريحة اجتماعية - لا هم لها الا في

الانغماس في الاستهلاك اليومي وعدم اعطاء الحياة الاسرية اي قدسية تذكر، بل ان السلوك اليومي يدل على انهن يخرجن عما هو سائد بصورة واضحة كما يبينها القاص. وفي المقابل نجد الزوج يعاني من هذه الوضعية، فهو ينظر لهذه المؤسسة الاجتماعية من منظور تقليدي يكون للرجل فيها الدور الاكبر، وللدلالة على ذلك نجد أنه يقارن الحياة الانسانية بالحياة الحيوانية المتمثلة بعلاقة الماعز بالتيس، ويورد ذلك من خلال القصة. ونجد ان رب الاسرة في نهاية القصة ونتيجة للمعاناة ومقارنة وضعه مع غيره ممن تتميز علاقته بهم من أصدقائه يحاول رفض وضعه في الاسرة، ان هذا النموذج من العلاقات هو أحد مظاهر التغير الاجتماعي السلبية. ونجد ان احدى بناته تؤكد على رفضها للحياة السابقة للمرأة حيث يورد القاص ما يلي : «وأردفت احدى بناته الثلاث بتأنيب : الا نستطيع الذهاب الى السوق.. اتريد ان تسجننا في هذا البيت»⁽⁴⁸⁾. وهنا يتأكد سوء الفهم وعدم الاستيعاب لمفهوم الحرية الشخصية، مما يؤدي الى استغلالها الى موقف معاد من أفراد المجتمع نتيجة لهذا التطرف السلوكي والمرفوض قيميا في ظل مرحلة التغير الاجتماعي.

وهنا نحب ان نؤكد على ان كلا الطرفين سواء الزوجة من جهة او زوجها من جهة اخرى على خطأ في معالجة الموضوع.

وفي قصة «الفقراء ... والحب»⁽⁴⁹⁾ يتناول القاص السجواني قضية غلاء المهور، والتحول في القيم الاجتماعية، حيث ان المال والوضع الاقتصادي هو المطلب الاول لمن يريد ان يكون اسرة فلم تعد الشهادات - اي العلم - هو المعيار لمكانة الانسان، بل نجد ان من نتائج الطفرة الاقتصادية ظهور هذا التكاليف على جمع المال وسيادة الجشع. فالمرأة ايضا لم تسلم واصبحت سلعة لها ثمنها الغالي دون اي اعتبار آخر. وفي نفس الوقت نجد ان القاص استطاع من خلال شخصيات القصة ان يعطي صورة للوضع الاجتماعي.

هذه بعض من ملامح القصة القصيرة لدى القاص والمواضيع التي تعرض لها في جانبها الاجتماعي وما أصابها من تغيرات⁽⁵⁰⁾.

ليلى أحمد :

ليلى أحمد من كاتبات القصة القصيرة ممن يبرز وعيهن بالقضايا العامة التي يعاني منها الانسان العربي، ويتبلور وعيها السياسي من خلال تسخير قصصها القصيرة لخدمة الهموم السياسية – الاجتماعية – وهي ممن لا يفصل بين ما هو اجتماعي عن السياسي أو الاقتصادي وما يؤكد ما ذهبنا اليه مجموعة القصص الصادرة لها بعنوان «الخيمة والمهرجان والوطن» ففي تلك المجموعة نجد اهتمامات القاصة واضحة بين الهم المحلي والهم العربي – القوي بشكل واضح، الا ان ما يهمنا هنا هو البحث عن معالم التغير الاجتماعي في الامارات (51)، وما هي القضايا التي اهتمت بها القاصة من خلال انتاجها الأدبي. وهي من الكاتبات اللاتي يحاولن ان يصورن الواقع الحالي للمجتمع من خلال الغوص في العلاقات الاجتماعية السائدة في محاولة لدق ناقوس الخطر الذي يهدد ترابط هذا المجتمع، ولعل قصة «حشجة» (52)، تلقي الضوء على العلاقات الاسرية في المجتمع المحلي في هذه المرحلة التي تتفكك فيها اواصر العلاقات القديمة المبنية على الترابط بين افراد الاسرة، على حين ان الواقع الحالي يدفع الافراد الى الذاتية والتقوقع على الذات، وعدم الاهتمام بتلك العلاقة الانسانية بين الاولاد والبنات والاب أو الام. وهي تطرح في هذه القصة لحظات يمر بها رب أسرة تدنيه من الموت، مما يدفعه لطلب ابنائه «اين ابنائي يشهدون رحيلي؟» (53). وواضح من لهجة الأب انه قد يرحل عن الدنيا دون ان يرى اولاده، الا ان القاصة تؤكد على الخلل الذي اصاب ذلك المجتمع من خلال اجابة الابن، والتي تعبر عن ذلك التغير في العلاقات الاسرية التي ما عادت تلك العلاقة الحميمة، بل ان الطفرة الاقتصادية احدثت خللا كبيرا في كيان المجتمع حتى ان مرض الاب ما عاد يهز كيان الابناء ويحركهم وكأن ذلك الامر لا يعينهم لا من قريب او بعيد. وهذه هي المأساة الاجتماعية. والفقرة التالية من القصة تلقي الضوء على هذه الوضعية الجديدة. «نهضت بهدوء لتتصل. الهاتف يرن. صوت متثائب يرد: «ماذا سيحدث لو انتظرت حتى الصباح؟ انني متعب ولا استطيع المجيء الآن – اسقيه الدواء ودعيه ينام، ودعينا ننام ايضا وسأزور كما غدا (قال متداركاً)» (54).

وتكرر نفس المحاولة مع ابنائه الثلاثة مع فارق الاجابات الا ان المشترك

فيها، عدم الاستجابة وترك الامر ليوم غد . ولعل الكلمات القليلة التي وردت على لسان ذلك الأب الذي يحتضر تعطي الدلالات لما هي عليه العلاقات الاجتماعية الاسرية. «ليس ذنبك فيما حمل بطنك ايتها الرحيمة. (قال بينما كانت عيناه ترحلان في وجهها) انه ذنبي الكامل وانسان البيوت الحجرية (اضاف) (55). والقاصة هنا تسجل احتجاجها ورفضها لهذه المستجدات التي تنقل تلك العلاقات الانسانية الراقية والتي كانت سمة من سمات المجتمع التقليدي او بعبارة أخرى رحلة ما قبل النفط، وما نجم عنها من تغيرات بعضها سلبي ولا يمكن قبوله بل يجب مقاومته وبكافة الاشكال.

أما النموذج الآخر من قصص ليلي أحمد والتي تتناول فيها بعضا من مظاهر التغير الاجتماعي في الامارات فهي قصة «تداعيات أول الصباح» (56) والتي تتابع من خلالها حياة الانسان في يوم من ايامه تتناول همومه والكيفية التي يتعامل معها مع وسائل الاعلام وعلاقته مع الآخرين في العمل اضافة الى طرح ما يواجهه من مشكلات ناجمة عن طبيعة المرحلة التي يمر بها المجتمع. وتتناول القاصة في الاجواء التي يعيشها الافراد، ونجد الهم متشعبا فمن الوضع في لبنان الى الهموم الخاصة للامارات ، ومنها وضع الجرائد... «لاحظت ايضا اشياء مهمة تتقزم قسرا على صفحات الجرائد» (57). وهي تبين موقفا من عدم الاهتمام بالاشياء الهامة في الجرائد. وتترك المسببات لتحليلات القارئ دون تدخل منها في هذا الجانب، اي دور الاعلام الهام في الرأي العام وكأنها بذلك تؤكد على الدور المفقود للسلطة الرابعة في المجتمع. ونجد ان القاصة تصف الكيفية التي يقضي فيها العاملون يومهم في قراءة الصحف اثناء العمل، وهي ظاهرة تؤكد على عدم التزام بعض الموظفين بأداء عملهم، وظاهرة قراءة الصحف في العمل، مظهر من مظاهر عدم الانتاجية وان الانسان اصبح استهلاكيا ومهمشا في المجتمع الجديد. وان التناقض والازدواجية هما السمة السائدة في المجتمع الجديد.

وكان لظاهرة المربيات والخدم الاجنبيات في المجتمع الاماراتي نصيب من اهتمامات ليلي أحمد، ففي قصة «رائحة» نجد انعكاس استخدام المربيات قد برز على الأبناء، فهم قد تشربوا بثقافة المربية بشكل بات يشكل قلقا لدى قطاع كبير من افراد المجتمع ممن يملكون الوعي والمعرفة بخطورة تنامي هذه

الظاهرة، بل ان ارتفاع نسبة الوافدين الاجانب جعلت الانسان «المواطن العربي» في حالة دفاع عن هويته ووجوده. وهذا ما يؤكد في الفقرة التالية من القصة «اين وضعت الغترة والعقال ؟ – يبدو انك على عجلة من أمرك فلماذا لا تخرج حاسرا كالعادة – أضافت – اتهزلين؟ أخشى ان ينهرني بائع الخضار اذا جادلته في السعر (الجرح المتعرج يمتد اليه، يطاله ويدخل بادئا برثتيه) يواصل وهو يصيح من وضع العقال : سوف يصرخ بخسة في وجهي لانه سيظنني وافدا مثله» (58).

اما الانعكاس التربوي لثقافة المربية على الطفل ومدى ما قد يؤدي اليه استمرار الوضع من خلق فجوة ثقافية بين الآباء والابناء، أو بعبارة اخرى ان التنشئة الاجتماعية للأطفال تمر بمرحلة خطرة، حيث ان الاطفال باتوا غرباء عن هذا المجتمع وتقاليد وعاداته، بل عن ثقافته والفقرة التالية، والتي حاولت القاصة ان تصف بها هذا الوضع باختصار، لعلها تغنيانا عن الاسترسال في توضيح خطورة الاعتماد على المربيات الاجنبيات، على المجتمع وخصوصياته وعلى كيان المجتمع. ولا بأس الآن من قراءة تلك الفقرة التي تعكس المظاهر السلبية للتغير الاجتماعي «كلمات ابنها توقف فيها تماسيح العالم كلها، تصعق وهي تستمع الى عبارة لم تفهم منها غير كلمات قليلة متكسرة، لهجة المربية تنزلق على لسانه بسلاسة وحميمية، تسكينه في حركاته، ايماءاته وحتى طريقته في مضغ الحلوى» (59).

ولعل الفقرة الاخيرة من القصة والتي يعلن فيها الزوج لزوجته عن الحل الذي ينبغي اتباعه للخروج من هذا المأزق وهي دعوة في الاساس للبدء في محاربة هذه الظاهرة للقضاء على ظاهرة المربيات في مجتمع الامارات. الا ان الزوج يطرح ذلك ولكن ليس بصورة قاطعة، بل انه يحول اتخاذ القرار للمرأة وهنا ايضا محاولة للتنصل من المسؤولية من قبل الزوج وكأن القاصة تريد بذلك ارجاع المشكلة للمرأة وهذا ما تؤكد به العبارة التالية : «ما رأيك في ان نبدأ بالاستغناء عن المربية؟» (60).

هذه بعض القضايا المتصلة بالتغير الاجتماعي في مجتمع الامارات التي تناولتها القاصة ليلي احمد في قصصها القصيرة وهي تبين مدى التصاقها بالواقع وتلمسها للمشكلات التي يعاني منها مجتمع الامارات في هذه المرحلة وهي

مرحلة انتقال من التقليد الى التحديث .

امينه عبدالله بو شهاب :

ان القاصة امينه بو شهاب تركز في قصصها القصيرة على مواضيع ذات علاقة بالتحويلات الاجتماعية – الاقتصادية في مجتمع الامارات ، والمتصلة بالمرأة والفئات الفقيرة من افراد المجتمع وتستخدم دائما نماذج لشخصيات متناقضة : الفقير والغني لقياس مؤشرات التغير في القيم الاجتماعية ونجد من خلال استعراض بعض من قصصها مدى الوعي الذي تتميز به القاصة في تناول انعكاس التغير الاجتماعي على شخوص قصصها وسنركز على ثلاث قصص هي «ظهيرة حامية، مهرة، وهياج» (61).

في قصة ظهيرة حامية ، نجد ان الشخصية الرئيسية هي سائق التاكسي خميس ذلك الانسان الذي عانى في الفترة السابقة للطفرة النفطية – في مرحلة الغوص حيث كان يضطهد من قبل النواخذة سادة البحر وذلك من خلال الاعتداء على زوجته وقد استطاعت... القاصة ان تبين قمة صراعه الداخلي في تلك العبارة التي تبين مدى الشعور الذي ينتابه بالدونية : «من أنت يا خميس حتى تقطع ارجلهم عن امرأتك؟» (62). لم يختلف وضع خميس في هذه المرحلة بل ظل ذلك الانسان الهامشي الذي ما زال يكدح لتوفير لقمة العيش على حين نال الثروة العديد من مواطنيه وقد استخدمت الكاتبة شخصية سائق التاكسي للكشف عن العديد من مظاهر التغير في المجتمع وعرضها من خلال مواقف عديدة تبين تلك التحويلات.

ان تناول حياة اولئك الذين لم تتلهم خيرات النفط بشكل ملحوظ قد يعكس بروز التفاوت الاقتصادي بين افراد المجتمع... ويدحض التصور القائم على اساس ان كل المواطنين ينعمون بالثروة، ولعل الحوار التالي بين الام وابنتها يعطي صورة اوضح لما ذهبنا اليه «انفجرت الفتاة بغتة : «انت تحرميني ! الم اقل لك اني ارغب ذلك السوار؟!

هزت المرأة كتفها ثم عصرت اصابع يديها حسرة واجابتها :

– احرمك؟ هل اورثني آبائي الملايين والعمارات وحرمتك؟ من اين آتي

بالمال، هه ... قولي انك تعرفين الحال هل تريديني ان ... استغفر ربي» (63).

لقد استطاعت القاصة ان تنقل صورة عما يعانيه خميس من حالات الاغتراب نتيجة للتطور الذي اصاب مدينته التي يحبها والتي نمت وتطورت خلال فترة زمنية الا ان ذلك ولد لديه الاحساس بالغربة عنها بل إنه مصاب بالدهشة لما يحدث او بعبارة اخرى انه لم يساهم في ذلك مما جعله يعيش في مدينة اصبحت غريبة عنه وهو غريب عنها حتى انه لم يتجرأ على دخول تلك المحلات الكبيرة وهذا يؤكد عل عدم تعامله مع المدينة الجديدة!.

اما في قصة (مهرة) فقد تناولت القاصة موضوع العلاقة بين الثروة والانسان وقد كان المحور الرئيسي في القصة ينصب حول العلاقة بين المال وقيمة الانسان.

وكيف اصبحت الثروة قوة تخضع لها العديد من القيم بل ان المرأة تباع وتشتري لمن يدفع اكثر وبذلك يداس على كرامتها الانسانية وتعامل معاملة اي بضاعة يحدد مالكيها الثمن الذي يدفع لها وان مبدأ اللذة هو السائد لدى من يمتلك الثروة دون الاخذ بعين الاعتبار للطرف الآخر فشخصية «الشيخ سليمان» هي النموذج لتلك الفئة الثرية والتي تحاول من خلال وضعها الاقتصادي ان تهيمن على قطاع كبير من افراد المجتمع ممن لم تنلهم نعم النفط ولعل اقدامه على الزواج من فتيات البلدة لفترة قصيرة تمتد لاشهر ومن ثم تطليقهن بعد ان يذهب بهن الى بلدته وتكرار ذلك يؤكد على خضوع اهل البلدة له من جهة وعدم تحدي السلوك اللانساني مع بنات البلد الذي يتكرر من جهة اخرى وتورد القاصة تلك المأساة منذ بدايتها الى النهاية بالشكل التالي: «عرضت الخاطبات اسماء الفتيات ثم وصفن ادق مظاهر وجوههن واجسادهن وطول شعورهن ووقع اختياره على «عوشه بنت سيف» وهي فتاة تتصف بصفاء بشرتها واستدارة كل جزء في جسدها وقد اعطى اهلها الوف الدنانير واسكنهم في احد المنازل التي يملكها وألبست عائشة الذهب من قمة رأسها الى اخمص قدميها... وبعد فترة قصيرة طار بها الى بلده لترى قصوره الباذخة وتعيش فترة لتعود مطلقة بعد شهرين وتذكر فقط انها كانت زوجة لسليمان مالك ذلك العالم الاسطوري والقصور...» (64).

الا ان القاصة تضع حدا لذلك التدهور الاخلاقي من خلال شخصية (مهرة) تلك الطفلة التي تبلغ من العمر فوق العشرة والتي تحدث ذلك الثري من اللحظة الاولى فهي لم تنبهر بما يحيط نفسه به من مظاهر الثراء الفاحش بل وقفت تتحداها دون ان يتحرك لها جفن .. وهنا اشارة تؤكد على ان الجيل الجديد يرفض هذا الواقع المادي الذي تمتهن فيه كرامة الانسان وتطغى فيه القيم المادية، لكن مهرة تلك الطفلة ترفض ذلك وبقوة عجز الكبار عنه . وتصور القاصة ذلك الموقف بما يلي :

«تساعد الغضب الى وجهه الذي تراخى بفعل الهزيمة التي لحقت به لقد اخرجته وهو الذي لاطفها وسألها عن اسمها. سلوك لم يتصرفه قط خاصة مع هؤلاء التعساء الذين يظهرون التكبر بالرغم من حالتهم المزرية... شعر تجاهها بالكراهية الشديدة.... وارتجف حين لسعه صوتها اني اكرك... اكرك... بقدر ما أستطيع» (65).

وبالرغم من المظاهر الخارجية التي تؤكد على محاولاته لترويض مهرة وزواجه منها بالرغم عنها الا انها تستطيع في النهاية ان تنتصر عليه. «خرجت مهرة لتعلن ان سليمان قد جن وانها ستعمل على ان يرحل في اليوم التالي ورحل بلا ضجة وتيقن الناس انه لن يعود ابدا...» (66). وبهذا تؤكد القاصة ان رفض القيم المادية الناجمة عن الطفرة النفطية لا بد وان يكون لها نهاية ولكن من خلال تحدي هذا التغير في جوانبه غير الانسانية وان التحدي القيمي الذي يواجه المجتمع لا بد وان يزول.

ويتضح من العرض والتحليل السابق لقصص امينه بو شهاب الأبعاد الاجتماعية التي تناولتها من خلال شخوصها في القصص ولا تخرج عن ذلك الاطار في قصة «هياج» الا في بعض الجوانب التي تؤكد على تفشي التفاخر الاجتماعي بامتلاك الكماليات ومشكلة العلاقات الاسرية المتمثلة بخروج الأزواج وقضائهم معظم الوقت خارج بيوتهم في بيوت خاصة من اجل السهر ولعب القمار وما يترتب على ذلك من سلوكيات غير اخلاقية وهذه الوضعية تترك المرأة «الزوجة» تعاني من الوحدة وتصف القاصة نمط الحياة لتلك الفئة ممن اصابهم الثراء في هذه المرحلة النفطية وسادت العلاقات المصطنعة غير الصادقة حتى بين الأزواج على حين ان الصدق والحب متوفر في الاحياء الفقيرة

التي ما زالت تربطها شبكات العلاقات الانسانية الحميمة والتي هي استمرار لمرحلة ما قبل النفط. ويتضح ذلك من الفقرة التالية من (هياج) : «اما الآن فهي تشعر بالرغبة في ان تلقي بنفسها في حضن ذلك العالم المتين العلاقات والساخر بالحب لكنها تشعر انها اصبحت مفسدة لدرجة انها لا تتحمل حياة التعب» (67).

هذه هي الملامح العامة للتغير الاجتماعي التي تناولتها القاصة امينه بو شهاب في مجموعة من قصصها القصيرة والتي حاولت من خلالها ان تعكس الواقع الحالي للانسان في الامارات في ظل الطفرة النفطية ولاملاح هذه المرحلة من مراحل التغير الاجتماعي الذي يمر به المجتمع.

سلمى مطر سيف :

ان القاصة سلمى مطر سيف قد اتخذت من المرأة رمزا تتناول من خلاله العديد من القضايا الاجتماعية والمشكلات التي يعاني منها مجتمع الامارات ونجد ان معظم قصصها القصيرة تدور حول معاناة المرأة - الانسان في المجتمع، وقد تتخذ عدة أشكال منها ما يتصل بواقع التمييز الذي يؤكد على استمرار القيم التقليدية والتي تتناقض مع ابسط حقوق الانسان او تتناول موضوعا متصلا بالتغير الاجتماعي في صالحهن الا ان غياب الوعي وتفشي الجهل والامية له دور في اتخاذ موقف موجه ضد الذات او بعبارة اخرى ضد مصالحهن وانسانيتهن.

ان القاصة سلمى مطر تشد القارئ وتنقله الى الاجواء التي خلقتها في قصصها بل انها في بعض من قصصها تجبرك على التفكير في ما بين سطورها وحينها للماضي واضح، خاصة في اللحظات التي تقارن فيها بين الواقع الحالي والماضي. ونجد ان «النخلة وأجواء الغوص والنوخذة» من الملامح العامة التي تسود قصصها وهي ايضا تأخذ المرأة كموضوع لقياس التغير الاجتماعي والتطور في المجتمع والذي قد يؤكد توجه القاصة الذي يتبناه الكثيرون ممن يرون ان وضعية المرأة في المجتمع هي المقياس على مدى تقدم او تخلف المجتمع المراد دراسته (68)، وهنا لا بد لنا أن نأخذ بعضا من قصصها القصيرة لقياس ذلك

التغير الطارئ على مجتمع الامارات وسنحاول من خلال التعرض لقصتين من قصصها القصيرة ان ندرس التغير الاجتماعي في الامارات . وهاتان القصتان هما : «العرس» «والنشيد».

لقد قامت القاصة سلمى مطر سيف في قصة «العرس» بتناول موضوع الزواج المبكر وأثاره النفسية والاجتماعية على المرأة بشكل مباشر والموقف الاجتماعي من تلك القضية الانسانية وظاهرة تزويج صغيرات السن من الظواهر التي كانت سائدة في مجتمع الامارات وما زالت تمارس ولكن بصورة اقل مما كانت عليه (69). والشخصية الرئيسية في القصة هي الطفلة «حمامة» ذات الاثني عشر ربيعاً وهي طفلة بالمفهوم العلمي وليست مهيأة للقيام بدور الزوجة فما زالت في سن الطفولة الا ان تزويجها في ذلك السن المبكر جريمة بحق طفلة وجب ان تستمتع بسنوات الطفولة لا ان تزج في مرحلة اكبر من سنها ومع انسان قد تجرد من انسانيته ونظرت له على انها اداة من ادوات المتعة الجنسية دون مراعاة لبراءة الطفولة فما كان منها الا الدفاع عن نفسها باستخدام سكين قد تكون المرة الاولى التي تحس بخطر داهم يهدد طفولتها بل كيانها كطفلة لا ذنب لها الا ان المجتمع ينظر لها نظرة المتعة وتلبية لرغبات الرجل ذلك الحيوان الذي فقد انسانيته وسيطر عليه مبدأ اللذة.

وبالرغم من تكرار رفض «حمامة» لبيعها لاكثر من مرة لرجل الا ان هنالك شبه اصرار على تكرار تجربتها مع زواج ولاكثر من مرة وبشكل يؤكد على النظرة الدونية للمرأة ولحياتها بل واتخاذ القرارات المصيرية نيابة عنها مع العلم أن الشرائع السماوية تحرم اجبارها على اتخاذ خطوات مصيرية بالنسبة لحياتها الا ان ذلك لم يؤخذ به بعين الاعتبار ومما يزيد من مأساة (حمامة) الطريقة التي عالج بها اهلها ازمته النفسية والاجتماعية الناجمة عن ذاك القهر الاجتماعي – النفسي . فقد استخدموا معها اكثر الوسائل تخلفاً حيث قاموا بضربها وقد صورت القاصة ذلك في صور تبين عمق المأساة فيما يلي :

«ثم ظهر باستنتاج عندما رأى (حمامة) انها مسكونة بجني سلب روحها وهو السبب في فشلها السابق ومرضها الآتي.... وسيقضي على ظرفها المستقبلي فقام المطوع بضرب (حمامة) بخيثرانة لكي يخرج الجني وظل على ذلك اسبوعاً كاملاً وهو يجرح جسد (حمامة) الضامر... لكن (حمامة) بقيت تنظر الى الجدار

بعينين زجاجيتين وتغرق في الكآبة واللازم واللاوجود بعد حين جاءت إلى (حمامة) امرأة وهي تحمل ميسماً من الحديد المحمى وضعته على قفا حمامة فخرجت رائحة لحم لم يشوَ لكن (حمامة) ظلت باردة» (70).

ومما يزيد من مأساة (حمامة) ان اهالي البلدة قد اتخذوا موقفا واحدا حينما وجدت (حمامة) طريق خلاصها بمعرفتها لاسرار السعادة التي تبحث عنها منذ دخولها للعالم الجديد وحتى هذا الجانب الانساني حاربه اولئك الذين اعتبروا سلوكها خروجاً عن المألوف وانه يشكل خطراً حقيقياً على اوضاعهم الاجتماعية واعتبروا لحظات السعادة التي تمر بها مسّاً من الجن وهذه الحالة تؤكد على سيادة العقلية الخرافية المتخلفة التي لا تحاول ان تبحث عن الاسباب الحقيقية التي دفعت (حمامة) لهذه الحالة وهي ايضا جزء من الاشكالية في معرفة النفس البشرية استطاعت القاصة ان تلقي الضوء على الجانب الثقافي للمرحلة التي يمر بها المجتمع فالممارسات التي قام بها اهل البلد في محاولة لعلاج (حمامة) ولمعرفة اسباب تمرداها على المجتمع هي انعكاس لنمط من التفكير ما زال موجوداً حتى الآن بالرغم من تقدم المجتمع في الكثير من المجالات ، الا ان ذلك لم يحدث تغييراً في تفكير افراد المجتمع بشكل جذري.

والقاصة قد قدمت المجتمع لمحاكمة غير معلنة نيابة عن كل من قام المجتمع بسلبهم من التمتع بالطفولة والتعرض للاغتصاب المنظم تحت ستار يعطيه الشرعية الاجتماعية تلك التي تتعارض مع المفهوم الحقيقي للثقافة السائدة في المجتمع.

اما في قصة (النشيد) (71) فقد تناولت القاصة جانباً هاماً من جوانب الصراع الاجتماعي بين الجيل القديم والمتمثل في شخصية الجد ذاك الانسان القاسي الذي كان نوحدة في رحلة الغوص على اللؤلؤ وقد وصفته القاصة بما يلي: «جداً يمتك الذي يخالفه. ان له فؤاداً نوحده يدفن غواصيه في عمق البحر بقلب بارد... آه اشك ان في استطاعته ان يتجاوب مع توجعك تحت قدمه... لا تشيرى حقنة بالمرأة...» (72).

والطرف الآخر في الصراع حفيد ذاك الجد وهي رمز للجيل الجديد الذي يرفض الانصياع لقيم الجد ويحاول ان يضع تصورات وقيم جديدة التي يعتقد

انها صحيحة وبمعنى آخر فهو يرفض احكامهم واسلوبهم في التعامل مع الآخرين وخاصة فيما يتعلق بجانب العلاقات الاجتماعية مع تلك الفئات الاجتماعية الواقعة في اسفل السلم الاجتماعي في مرحلة ما قبل قيام الدولة الحديثة التي كان ينظر لها نظرة دونية وتعامل معاملة الرقيق.

ومن خلال سرد قصصي جميل وسلس تتناول القاصة هذا الموضوع في قصة (النشيد) وتدخل في اغوار النفس البشرية وذلك الصراع المستمر منذ عدة قرون حول حقوق الانسان وضد التمييز العنصري وكيف ان اولئك يرثون الاضطهاد جيلا عن جيل بالرغم من انهم أصبحوا جزءاً من هذا المجتمع وكل القوانين والتشريعات تحرم ذلك الا ان الاعراف والقيم الاجتماعية ما زالت هي السائدة.

وشخصية (دهمة) في القصة هي ذلك النموذج الذي يعاني من القهر الاجتماعي والمستغل والتي يحاربها المجتمع لعدة اسباب يجمعها عامل النظرة الدونية والاحتقار بالرغم من بناء علاقة زوجية غير متكافئة وتصور القاصة هذه العلاقة بما يلي : «جنت ام المرأة وقتلها اهل البلدة لعريها ودهمة بقيت عند مخدومها وكانت فتاة يافعة وجمالها كما ترين يقتل الفاحش قبل السوي... فكان يستتر بالظلام ويأوي الى فراشها متعززا بشرعية انه المالك لها (73). وبعد ان تكشف القاصة عن تلك العلاقة بين (دهمة والجدة) لتوضيح اسباب الموقف من قبله تجاهها نجد ان الجدة في محاولة اخيرة لكسب الجولة ضد حفيدته تستخدم الطريقة السائدة في الحد من انتشار أفكارها التي تكشف زيف ذلك الجيل في علاقته الانسانية مع الآخرين ونجد ان الجدة يزعم : «انها ممسوسة سأجلدها الى ان تخرج الروح الغريبة منها ... انها ممسوسة ..» (74).

مما سبق يتضح ان الهم الاجتماعي لدى سلمى مطر سيف منصب على جانب العلاقات الانسانية في المجتمع ولعل اختيار نموذج لتلك العلاقات المتمثل في العلاقة بين افراد المجتمع ممن كانوا في موقع اجتماعي - اقتصادي متميز وبين اولئك الذين يقومون في اسفل السلم يعطي صورة لملامح التغيير الاجتماعي في جانبه القيمي والاخلاقي وهذه المشكلة الانسانية والموقف منها لها دلالات عديدة مع الاخذ بعين الاعتبار ايضا ان القاصة قد ركزت على جانب آخر وهو موضوع مؤسسة الاسرة وموقع المرأة فيها خاصة . بينما تتناول ظاهرة زواج صغيرات السن من المواطنين وليس من الوافدات فهي تعالج هذا

الموضوع من حيث انعكاساته الاجتماعية والنفسية على المرأة والكيفية التي يعالج بها المجتمع بعضا من المشكلات التي يواجهها وقد ابرزت القاصة هذين الجانبين بشكل قصصي رائع دخلت من خلالها الى اغوار النفس البشرية واوصلتها للقارئ بشكل ادبي رائع.

محمد حسن الحربي :

ان محمد الحربي يحاول في قصصه القصيرة ان يدخلك في الاجواء البدوية في الكثير من الاحيان الا انه في نفس الوقت ينقلك الى اجواء المدينة وعلاقتها المتوترة يعطي صورا سينمائية تفصيلية عن تفشي الفردية ولحظات القلق لدى سكان المدن يعالج قيمهم الاجتماعية وفي عقله الواعي ما زالت تلك الصورة الجميلة عن مرحلة البداوة في المجتمع، تلك الصورة التي تؤكد على نكوص لدى القاص لتلك المرحلة وهي تدل على رفض غير معلن للمدينة وعلاقاتها حتى انها تجد ان القاص قد اختار عناوين مجموعات القصص ذات صلة بالبيئة البدوية فنجد «الخروج على وشم القبيلة» وأيضا «حكايات قبيلة ماتت»⁽⁷⁵⁾ وهذا يعكس الجانب النفسي لديه ومدى ارتباطه بتلك البيئة وكأنه يريد بذلك الايحاء للقارئ عن ارتباطه بتلك المرحلة ولكن في الجانب الرومانسي وهذا قد يعطينا الحق في ان نقول ان الاطار المرجعي للقاص هو تلك المرحلة البدوية والتي مرت بها المجتمعات العربية ومنها مجتمع الامارات الذي يمر بمرحلة النقلة من تلك القديمة الى مرحلة جديدة تتشكل فيها قيم وتقاليد وعادات جديدة قد تكون قاسية في جوانب منها ولكنها ايضا ايجابية في جوانب اخرى الا ان المخاض عادة ما ينجم عنه الالم والتوتر وعدم الثبات في الموقف في احيان اخرى وسنحاول ان نلقي الضوء على بعض من قصص الحربي القصيرة في هذه الدراسة بهدف معرفة الكيفية التي عالج بها القاص موضوع التغير الاجتماعي في مجتمع الامارات . اما المجموعة القصصية التي سنعتمد عليها فهي : «حكايات قبيلة ماتت» مع الاخذ بعين الاعتبار أنه قد تم الاطلاع على معظم ما انتجه القاص محمد الحربي في مجال القصة القصيرة.

نجد ان هموم الانسان ومشاكله قد انعكست في قصص الحربي، وقد تفاعل مع التحولات الجارية في المجتمع ومن خلال قصه «انتهت الحفلة»⁽⁷⁶⁾ نجد ان الفكرة الاساسية التي بنيت عليها هي عن علاقات العمل الجديدة بين ذاك

الانسان الذي قضى عمره في خدمة الشركة الى ان وصل الى مرحلة لا يمكن بعدها الاستمرار في العمل، وهو بذلك يتعرض لمدى استغلال الانسان في ظل العلاقات الاقتصادية التي لا يكون فيها للجانب الانساني مكان. ففي ظل هذه الاوضاع يظل الانسان يقدم عصارة جهده لترسيخ الشركة وفي المقابل يأخذ القليل جدا ولكنه مضطر للبقاء والعيش، ويصور الكاتب ذلك بقوله «بدأ قويا يملك تحديا يتساوى والمنافسة التي حوله لكنه ها هو يرتعش كله» (77). وما يؤكد على استغلال الانسان لدى اولئك الذين يهمهم الربح فقط دون اي اعتبارات اخرى ما قاله عريف حفل تكريم ذلك العامل: «ان هذا العامل المخلص هو أحد العاملين الذين قامت على اكتافهم الشركة وكان سببا مباشرا في جميع الانجازات والنجاحات التي وصلت اليها وما هو يغادرنا بسبب اعتلال صحته ونسأل الله ان يكون في عونه بقية ايامه» (78).

ولعل قمة مأساة ذلك الانسان ضحية هذه العلاقات غير الانسانية، حيث رفض طبيب الشركة علاجه نتيجة انتهاء خدماته وهو الذي قامت على اكتافه الشركة وتمت نجاحاتها والقاص هنا يكشف مدى الجشع الذي يتميز به اولئك «الارباب» فهم قد فقدوا انسانيته في علاقاتهم مع الآخرين وخاصة العمال وبالرغم من ذلك قد يكون متطرفا في الطرح الا انه مؤثر على مدى التغيير الاجتماعي نتيجة للعلاقات الاقتصادية السارية ولعل النهاية التي وصف بها القاص مأساة ذلك الانسان تؤكد على الخلل الذي اصاب العلاقات الانسانية في المجتمع وهي صور غنية عن الشرح «قهقه رب العمل، قهقه الحضور قهقه قلبه فتصلبت اعضاؤه فارتضى ارضا كجذع نخلة منخور حمله الحضور الى خارج القاعة ليموت بعيدا عنهم، فقد انتهت الحفلة وحن وقت العمل» (79). وبهذه النهاية يؤكد القاص على طبيعة العلاقات الجديدة وان المهم هو العمل واستمرار الربح اما الانسان فانه لا قيمة له طالما لا يدخل ضمن تلك الترسانة وهذا نقد مباشر لفئة اجتماعية جديدة همها الاساسي الربح واستمرار استغلال الانسان لأخر رمق.

اما في قصة «قبلي ايها النهار...» (80) فقد طرح القاص موضوعين من الآثار السلبية للتغيير الاجتماعي في الامارات. الاول متصل بظاهرة الفردية في المجتمع واحساس الانسان بذلك اما الجانب الآخر فهو عن الاعلام.

وفي هذه القصة يروي لنا التداعيات النفسية التي يعيشها الانسان حينما يكون وحيدا والهواجس التي تنتابه خلال الليل وهو ما يخشاه الانسان منذ زمن طويل فالليل هو ذاك المارد المخيف حينما يكون الانسان منفردا وهنا تبرز اهمية تواجده الاجتماعي ضمن مجموعة من بني جنسه والقياس استطاع ان يطرح بصورة غير مباشرة الآثار السلبية للأسرة النووية (الصغيرة) حيث يتقلص عدد افراد الأسرة ويتكون من الزوج والزوجة على حين ان نمط الأسرة الممتدة تلك التي كانت سائدة في مجتمع ما قبل النفط والطفرة الاقتصادية، هذه الوضعية تجعل الانسان يشعر بالوحدة وعدم الاطمئنان وخاصة حينما يتوجب عليه قضاء ليله وحيدا.

وفي محاولة لتوجيه النقد للبرامج التلفزيونية وخاصة في طبيعة البرامج التي تعرض نجد ان القاص يؤكد على دور الاعلام السلبي من خلال عرض افلام الرعب والاجرام والتي بلا شك تساهم في نشر ظاهرة الاجرام لدى قطاع كبير من الشباب فنجد ان القاص يورد ما يلي : «خرجت الى الصالة وأدّرت جهاز التلفزيون وجلست اشاهد فيلما مرعبا. عرفت ذلك بدءا البداية من الموسيقى التصويرية التي اوحت بترقب وكانت وجوه الممثلين تحمل توجسا جميعهم يتوقعون وأنا معهم ان شيئا ما لا بد وان يحدث» (81).

وقد عالج القاص تفشي الفردية والذاتية على حساب الروح الجماعية او بمعنى آخر كيف ان الانسان في هذه المرحلة فقد ذاك التكتاف الجماعي الاجتماعي واصبح كل فرد متمركزا حول ذاته ولعله في سرد ذاك الحلم تحاشى الطرح المباشر لكيفية معالجة المشكلات الاجتماعية بروح جماعية وان الفرد لا يمكن ان يقوم بذلك الدور منفردا وان عصر البطولات الفردية قد ولى ويصف القاص تلك الحالة بقوله : «لا اني كنت ادافع عنها» (نفسه) بقبضة واحدة وقدم واحدة فقط وتساءلت كيف؟! اني اواجه ذنبا لوحيدي دون ان اكون ضمن مجموعة» (82).

والقاص ينهي قصته في الدعوى للنهار حيث الناس والحياة وهو بذلك يرمز بالنهار للحياة والامان بين احضان الجماعة والناس.

هذا وقد عالج القاص العديد من المشكلات الاجتماعية في المجتمع المحلي فقد طرح موضوع تأخر الزواج وانعكاس ذلك على المرأة في الامارات

باسلوب قصصي شيق ذلك في قصة «قراءة داخلية» (83).

هذه بعض من ملامح التغير الاجتماعي التي تناولها الحربي في قصصه القصيرة والتي حاول من خلالها ان يعكس واقع المجتمع في الوقت الراهن وما يتعرض له الانسان من اضطرابات نفسية واجتماعية نتيجة لهذا التغير ونعتقد انه قد استطاع توصيل افكاره ورؤيته الى القارئ من خلال ادواته وان يوضح ذلك في اكثر من موقع (84).

وأخيرا لا يفوتنا الا ان ننوه هنا ان هذه الدراسة قد تعرضت الى مجموعة من كتاب القصة القصيرة وهناك آخرون لم تتعرض لهم الدراسة لاعتقادنا انه موضوع دراسة لدى كتاب آخرين سيشاركون في هذا الملتقى ومنهم من قد يشترك في طرح نفس القضايا التي تناولها القصاصون الذين تعرضنا لهم (85).

الخاتمة :

ان تفاعل الاديب مع واقعه الاجتماعي ينعكس بشكل من الاشكال على انتاجه الادبي فهو ككائن اجتماعي يتفاعل مع البيئة الاجتماعية المحيطة به ولا يمكن أن يتحرر من ذلك التأثير بل ان الوضع الطبيعي ان يتفاعل مع مجمل التغيرات التي تعيد البناء الاجتماعي ووجود العديد من المشكلات الاجتماعية الناجمة عن التغير الاجتماعي تفرض نفسها على الساحة وتصبح جزءاً أساسياً من هموم المثقف وكتاب القصة في الامارات ذوو وضعية خاصة فهم جزء من الطليعة المثقفة التي تحاول ان تؤدي دورها في هذه المرحلة تبرز العديد من التحولات على السطح وتفرض نفسها في عمق تفكير هذه المجموعة ونستخلص من هذه الدراسة ان ادباء الامارات قد سخروا أدواتهم لمعالجة هذه المشكلات وبث الوعي بين الجمهور بأهمية معالجة تلك المشكلات ومعرفة مكان الخلل في العلاقات الانسانية مع الاخذ بعين الاعتبار انه ليس بالضرورة بأن كل ما كان موجوداً في المجتمع التقليدي لا بد من التخلص منه فهناك جوانب مضيئة وذات بعد انساني راق في القيم والتقاليد في تلك المرحلة، لا بد من الاستمرار عليها وحفظها وفي نفس الوقت وجوب توعية الناس لتجنب النواحي السلبية والتي لا صلة لها بالعلاقات الانسانية الراقية.

إن اهتمام كتاب القصة القصيرة في الامارات بتلك الجوانب الاجتماعية

يعطي مؤشرا عن ذاك الوعي لاهمية دور الادب في عملية التغير الاجتماعي وعن كيفية الاستفادة من الادب بصورة ايجابية في ترسيخ مبادئ العدالة والحرية والمساواة وفي محاربة كل الافكار البالية التي تحول دون تطور المجتمع وتقدمه.

وأخيرا نود هنا ان نؤكد الى ما ذهب اليه جيورجي بيليخانوف حينما قال :
«ان الاعمال الادبية كانت تتحدث باستمرار عن شيء ما وبالتالي فهي تعبر دائما عن شيء معين ولا يمكن ان يوجد عمل ادبي بلا مضمون فكري حتى الاعمال التي تعود لمؤلفين يهتمون بالشكل اساسا ولا يهتمون بالمضمون فهي تجسد بشكل او بآخر فكرة معينة وتدافع عن رأي معين»⁽⁸⁶⁾.

المصادر والمراجع :

- 1 - د. محمد غانم الرميحي : البترول والتغير الاجتماعي في الخليج العربي مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع. الكويت. 1975
- د. اياد الجصاني : النفط والتطور الاقتصادي والسياسي في الخليج العربي. دار المعرفة - الكويت.
- د. محمد عبدالله المطوع : اثر التغير الاجتماعي على الشباب في الامارات. جامعة الامارات. مجلة كلية الآداب العدد الثاني 1986 مطبعة البيان دبي. الامارات ص. ص : 343/334
- 2 - د. يحيى فايز الحداد : (اشرف على اعدادها وتحريرها) (المرأة والعمل). المؤتمر الاقليمي الثالث للمرأة في الخليج والجزيرة العربية (24/27 - 3/1984 - ابو ظبي) المجلد الاول والثاني - مطبعة القيس التجارية الكويت 1985.
- في خلال انعقاد هذا المؤتمر قام العديد من افراد هذه الفئة الاجتماعية بتوضيح وجهة نظرها المعارض للكثير من الآراء التي طرحت في المؤتمر انطلاقا من قناعاتها الفكرية وتوجهاتها الايديولوجية ويمكن الرجوع للصحف اليومية والمجلات الاسبوعية او الشهرية . على سبيل المثال يمكن العودة لمجلة الاصلاح الصادرة / دبي / الامارات العربية المتحدة عن جمعية الاصلاح الاجتماعي لسنة 1984. اضافة لذلك يمكن الرجوع الى صفحات الرأي والقراء في الصحف اليومية فهي لا تخلو من وجهات نظر هذه الفئة وتطرح وجهة نظرها في العديد من القضايا ومنها موضوع التغير الاجتماعي والمرأة النصيب الاكبر من هذه الكتابات التي تقف في وجه تحررها واستقلالها وانخراطها في مسيرة التنمية على حسب ما تراه هي لا كما تريد هذه الفئة.
- 3 - للمزيد من المعلومات انظر : د. يوسف ابو الحجاج (اشراف) دولة الامارات العربية المتحدة - دراسة مسحية شاملة ، الشركة المصرية للطباعة والنشر 1978 القسم الثالث .
- 4 - د. باقر النجار : المحددات الاجتماعية والاقتصادية لوضع المرأة في الخليج العربي - قراءة اولية.
- في المرأة والعمل. المؤتمر الاقليمي الثالث للمرأة في الخليج والجزيرة العربية. سبق ذكره ص 7 - 20
- ايضا انظر : - د. ناصر ثابت «المرأة والتنمية والتغيرات الاجتماعية المرافقة»، ذات السلاسل الكويت 1983.
- 5 - حول تطور التعليم في الامارات انظر :
- د. / محمد عبدالله المطوع : تطور التعليم والحركة الطلابية في ساحل عمان (الامارات). مجلة كلية الآداب العدد الاول جامعة الامارات العربية المتحدة ص 3 - 35 (بالانكليزية).
- 6 - المجمع : العدد الاول السنة الاولى ايلول (سبتمبر 1973) كلمة رئيس التحرير ص 2.
- وقد كان السيد عبد الجبار الماجد يرأس تحريرها اما مدير التحرير فقد كان من نصيب السيد

عبد الغفار حسين ولا يفوتنا في هذا المجال الا ان نذكر اسماء السادة اعضاء اللجنة الثقافية وهم : خلفان الرومي (وزير العمل والشؤون الاجتماعية حالياً)... عبدالله المزروعى (وزير العدل سابقاً) احمد بوحسين (الامين العام للمجلس الاعلى للشباب والرياضة حالياً – حمد خليفة بوشهاب – عبد الغفار حسين رئيس اتحاد كتاب وأدباء الامارات. حمد محمد بوشهاب. أحمد لطفي . أما لجنة الشؤون الاجتماعية فتضم كلاً من : سعيد أحمد لوتاه، عبدالله علي الشهران، احمد الشيخ مبارك، سالم محمد سالم، عبدالله الخيال، احمد سيف بالحصا (عضو المجلس الوطني الاتحادي سابقاً) عتيق عبدالرحمن، جاسم العدي.

7 – المجمع : العدد الثاني، السنة الاولى – اكتوبر 1973 ص 2.

8 – للمزيد من المعلومات تراجع اعداد مجلة الاهلي الصادرة عن النادي الاهلي في دبي.

9 – الاهلي: العدد الثالث، السنة الرابعة يوليو 1975 ص 46 – 47.

10 – الاهلي : العدد الثامن، السنة الاولى منتصف مايو 1973 ص 25 – 26.

11 – لقد كانت الحياة الثقافية في بعض دول الخليج العربي مثل الكويت والبحرين مرت بتلك المرحلة التي يمر بها مجتمع الامارات في فترات سابقة تعود الى الاربعينات من هذا القرن لذلك فانها في تلك الفترة كانت تؤثر بشكل او بآخر على دول الخليج الاخرى ونتيجة لهجرة العديد من ابناء الامارات للكويت والبحرين فقد تأثر العديد منهم بتلك الاجواء الثقافية السائدة هناك وعندما عادت العديد من الاسر المهاجرة للامارات في بداية السبعينات نقلت معها الكثير مما كان سائداً هناك اضافة لذلك فانه نتيجة لسهولة الاتصال والانفتاح على العالم نجد ان متقفي الامارات قد تأثروا بما يجري على الساحة الثقافية.

حول تجربة القصة القصيرة في دول الخليج العربي انظر :

– ابراهيم عبد الله غلوم : القصة القصيرة في الخليج العربي. الكويت والبحرين دراسة نقدية وتحليلية.

منشورات مركز دراسات الخليج العربي.

جامعة البصرة. مطبعة الارشاد – بغداد 1981.

– عبد الجبار حمد حسين (اعداد) ملامح الحركة الادبية في الخليج والجزيرة العربية جامعة البصرة مركز دراسات الخليج العربي 1980.

12 – وقد برز منهن اسماء مثل مريم جمعة فرج، ليلي احمد، أمينة بوشهاب، سلمى مطر سيف، سعاد العريمي .. وغيرهن.

13 – للمزيد من المعلومات. راجع جريدة الخليج وخاصة الصفحات المتصلة بالثقافة وفيما بعد الملحق الثقافي الاسبوعي وكمثال على ذلك راجع الخليج الثقافي. ملحق العدد 1440 الصادر في 1983/3/21.

14 – للمزيد من الاطلاع راجع اعداد مجلة الازمنة العربية الصادرة في الشارقة منذ تاريخ صدور عددها الاول في 1979/3/8.

- 15 - سنعتمد بشكل رئيسي في هذا الجزء من الدراسة على الدراسة التي تقدم بها عبد الحميد احمد للملتقى الاول للكتابات القصصية والروائية في دولة الامارات والذي انعقد في مدينة الشارقة في فبراير 1984 وكانت الدراسة بعنوان : توصيفات عامة حول القصة والرواية في دولة الامارات. مطبوعة على استانسيل.
- 16 - عبد الحميد أحمد : سبق ذكره ص 5.
- ونود هنا ان نؤكد على أن تلك المجموعة القصصية صدرت في نوفمبر 1975 مطبوعة دبي.
- 17 - يمكن الاطلاع على بعض القصص القصيرة في تلك الفترة في :
اتحاد كتاب وأدباء الامارات : (كلنا.... كلنا.... نحب البحر) قصص من الامارات. الطبعة الاولى 1986.
- 18 - للمزيد من المعلومات راجع :
د. عبد الخالق عبدالله : التبعية والتبعية السياسية. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت 1986.
- 19 - عبد الحميد احمد : سبق ذكره ص 11 - 14.
- 20 - للمزيد من المعلومات حول هذه التحولات في الامارات راجع :
مركز دراسات الوحدة العربية :
التجارب الوحيدة العربية المعاصرة، تجربة دولة الامارات العربية المتحدة، الطبعة الاولى. بيروت 1981.
- ايضا .انظر : د. يوسف ابو الحجاج : دولة الامارات العربية المتحدة دراسة مسحية شاملة. الشركة المصرية للطباعة والنشر 1978.
- 21 - عبدالله صقر أحمد : «الخشبة». الطبعة الاولى نوفمبر 1975 طبع في مطبعة دبي - الامارات ص 13 - 18
- 22 - نفس المصدر . ص 15.
- 23 - نفس المصدر . ص 17.
- 24 - اتحاد كتاب وأدباء الامارات : (كلنا كلنا... كلنا نحب البحر) عبدالله صقر أحمد : الامنية. الطبعة الاولى . 1986 ص 93.
- 25 - عبد الحميد أحمد : السباحة في عيني خليج يتوحش. قصص دار الكلمة للنشر ببيروت - 1982 (المجموعة الاولى)
- عبد الحميد أحمد : البیدار. قصص، دار الكلمة للنشر. بيروت 1987 (المجموعة الثانية).
- 26 - شؤون أدبية : السنة الاولى العدد 2 صيف 1987 عبد الحميد أحمد (على حافة النهار) ص 269 - 276.
- 27 - (كلنا .. كلنا.. كلنا نحب البحر) قصص قصيرة من الامارات، منشورات اتحاد كتاب

- وأدباء الامارات 1986 عبد الحميد أحمد : الطائر الغمري ص 68
- 28 - نفس المرجع السابق : ص 72.
- 29 - نفس المرجع السابق : ص 78.
- 30 - عبد الحميد أحمد : السباحة في عيني خليج يتوحش. سبق ذكره ص 81 - 82.
- 31 - المصدر السابق ص 50.
- 32 - نفس المصدر السابق ص 45.
- 33 - عبد الحميد أحمد : البيدار . قصص ، دار الكلمة للنشر - بيروت - 1987 ص 84/75.
- 34 - للمزيد من الاطلاع حول موضوع المرأة في الامارات من خلال القصص القصيرة انظر عبد الجليل جواد : المرأة والمتغير الاجتماعي في القصة القصيرة في الامارات في شؤون أدبية. السنة الاولى العدد 2 صيف 1987 ص 10 - 20.
- 35 - الخليج الثقافي. 1983/3/21 ص 10.
- 36 - نفس المصدر السابق ص 10.
- 37 - مريم جمعة فرج : «بدرية»
- في شؤون ادبية في السنة الاولى العدد 2 صيف 1987 ص 284.
- 38 - نفس المصدر السابق ص 286.
- 39 - يمكن الرجوع لقصص مريم جمعة فرج المنشورة في مجلة الازمنة العربية ومجلات الزمالك ونادي الوصل والنصر والخليج، شؤون ادبية ومنها على سبيل المثال (مواجهة واشياء صغيرة وشعور، يعقوب، وقصتها القصيرة ايضا حادث بسيط التي فازت بالجائزة الاولى لمسابقة الخليج سنة 1983 وقصة (عبار) الذي تناولت فيها القاصصة موضوع تجارة الفيزه التي سادت في الامارات خلال فترة السبعينات، وأما قصة (درويش) فتتناول مرحلة ما قبل الاستقلال وما يعانيه الانسان من الاستغلال.
- 40 - سعاد العريمي : «الرحيل» الخليج الثقافي ، ملحق العدد 145 1703 تاريخ 1984/1/30.
- 41 - سعاد العريمي : «قفول وحلم القبيلة»، جريدة الخليج، العدد 1781 ملحق ثقافي رقم 149 بتاريخ 1984/2/27.
- 42 - نفس المصدر السابق .
- 43 - نفس المصدر.
- 44 - نفس المصدر.
- 45 - للقاصصة سعاد العريمي مجموعة من القصص القصيرة نشرت معظمها في جريدة الخليج اليومية ويمكن الرجوع اليها، من تلك القصص : سلوم ، الخليج العدد 1675 ملحق ثقافي رقم 134 بتاريخ 1983/11/14، (نداء) الخليج العدد 1988 ملحق رقم 179 تاريخ 1984/9/24، (اغتراب) الخليج عدد 1886 ملحق رقم 164 بتاريخ 1984/7/11.

- 46 - عبد الرضا السجواني : «بشرى في الستين» جريدة الخليج الملحق الثقافي رقم 100 بتاريخ 1983/3/21 ص. 18 - ص. 19 .
- 47 - عبد الرضا السجواني : «قضية رجولة» في (كلنا ... كلنا نحب البحر) - قصص قصيرة من الامارات منشورات اتحاد كتاب وأدباء الامارات الطبعة الاولى 1986 ص 87 - 92 .
- 48 - نفس المصدر السابق ص 88 .
- 49 - عبد الرضا السجواني : الفقراء... والحب!!! في جريدة الخليج العدد 1662 الخليج الثقافي بتاريخ 1983/10/31 .
- 50 - للمزيد من الاطلاع على القصص القصيرة لعبد الرضا السجواني انظر :
- 1 - عبد الرضا السجواني : «ذلك الزمان». مجموعة قصص دولة الامارات العربية المتحدة وزارة الاعلام والثقافة. الدائرة الثقافية مؤسسة ابوظبي للطباعة والنشر (بدون تاريخ).
- 2 - عبد الرضا السجواني : «زلة العذاري». مطبعة صوت الخليج الشارقة بدون تاريخ.
- 51 - ليلى أحمد : «الخيمة والمهرجان والوطن». قصص. مطبعة دبي 1984 .
- اما الجانب السياسي في قصة ليلى احمد فهذا مجاله بحث آخر ومن القصص التي تتناول هذا الجانب (كتارته) ص 5 - 8 في المجموعة.
- 52 - ليلى أحمد : المصدر نفسه ص 12 - 15 .
- 53 - نفس المصدر. ص 13 .
- 54 - نفس المصدر : ص 13 - 14 .
- 55 - نفس المصدر : ص 15 .
- 56 - نفس المصدر : ص 20 - 24 .
- 57 - نفس المصدر : ص 21 .
- 58 - نفس المصدر : ص 16 .
- 59 - نفس المصدر : ص 27 .
- 60 - نفس المصدر : ص 29 .
- 61 - أمينة عبدالله، سلمى مطر، مريم جمعة فرج : «النشيد» قصص من الامارات من منشورات المجلس الثقافي للبنان الجنوبي واللجنة الدائمة لمناصرة المقاومة الوطنية اللبنانية في دولة الامارات العربية المتحدة.
- 62 - أمينة بو شهاب : (ظهيرة حامية). نفس المصدر السابق ص 17 .
- 63 - نفس المصدر : ص 16 .
- 64 - نفس المصدر : ص 22 .
- 65 - نفس المصدر : ص 26 .
- 66 - نفس المصدر : ص 27 .
- 67 - نفس المصدر : ص 33 .

- 68 - د. نبيل ياسين : هموم مشتركة في (كلنا، كلنا نحب البحر) في شؤون ادبية السنة الاولى العدد (3) خريف 1987 ص 7 - 22 ايضا رعد عبد الجليل جواد : المرأة والمتغير الاجتماعي في القصة القصيرة في الامارات في شؤون ادبية السنة الاولى العدد (2) صيف 1987 ص 15 - 20 .
- 69 - سلمى مطر سيف : «العرس» الملحق الثقافي للعدد 1641 لجريدة الخليج بتاريخ 1983/10/10 .
- 70 - نفس المصدر اعلاه
- 71 - أمينة عبدالله، سلمى مطر سيف، مريم جمعة/فرج (النشيد) قصص من الامارات سبق ذكره ص 52 - 59 .
- 72 - نفس المصدر ص 52 .
- 73 - نفس المصدر ص 57 .
- 74 - نفس المصدر ص 59 .
- 75 - محمد حسن الحربي «حكايات قبيلة ماتت». قصص. دار الكلمة للنشر والطباعة الاولى، بيروت- 1987. قصة «انتهت الحفلة».
- 76 - نفس المصدر السابق ص 5 - 8 .
- 77 - نفس المصدر السابق ص 5 .
- 78 - نفس المصدر السابق ص 7 .
- 79 - نفس المصدر السابق ص 8 .
- 80 - نفس المصدر السابق قصة : «قبلني ايها النهار» ص 75 - 82 .
- 81 - نفس المصدر السابق قصة : «قبلني ايها النهار» ص 77 .
- 82 - نفس المصدر السابق قصة : «قبلني ايها النهار» ص 82 .
- 83 - نفس المصدر السابق قصة : «قراءة داخلية» ص 9 - 13 .
- 84 - للمزيد من الاطلاع على تلك الجوانب التي تناولها الحربي في قصصه يمكن الرجوع الى : 1 - «الخروج على وشم القبيلة» مجموعة قصصية. دار الكلمة 1981 .
- 2 - «حكايات قبيلة ماتت». مجموعة قصصية دار الكلمة 1987 .
- 85 - ان هناك دراسات حول بعض من كتاب القصة القصيرة مثل دراسة حول قصص محمد المر وغيره من الكتاب لذلك لم نتعرض لهم في هذه الدراسة.
- 86 - تأليف ف. ربابوف : الفن والايديولوجيا. ترجمة د خلف الجراد. دار الحوار سوريا 1948 ص 7 .

محمد المر والقصة القصيرة دراسة في المضمون والبناء

الدكتور وليد محمود خالص

- 1 -

تعد القصة القصيرة بمفهومها الفني الراقى من منجزات القرن التاسع عشر، فهي قريبة النشأة حديثة الميلاد، وقد مرت بأطوار متعددة منذ القرن الرابع عشر في ايطاليا حتى القرن التاسع عشر حيث تحددت ملامحها المعروفة اليوم⁽¹⁾، وقد تضافرت عوامل عديدة في انضاج نوعها منها الصحافة وتعدد المجالات وذلك لارتباط نشرها فيها، ومنها التغير السريع الذي طرأ على الحياة عموماً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث أصبحت أكثر ملاءمة لمواكبة هذا التغير من حيث ملاحظتها له أو قصر المدة التي تستغرق في قراءتها، كما ساعد على هذا النضج ظهور أدباء كبار في أوروبا وأمريكا شغلوا أنفسهم بها واتخذوها أداة مهمة من أدوات التعبير منهم موباسان وغوغول وأدجار آلن بو وتشيفوخوف، فقد رقد هؤلاء القصة القصيرة بالكثير من انتاجهم وساعدوا على تطويرها شكلاً ومضموناً، ولا عجب بعد هذا أن نسمع من يقول إن «القصة القصيرة هي موباسان وموباسان هو القصة القصيرة»⁽²⁾، أو يستخدم ترجميف تلك الائمة البديعة حين يقول : «لقد أتينا جميعاً من تحت معطف جوجول»⁽³⁾، اشارة منه الى قصته الشهيرة (المعطف) التي كتبت بتقنية عالية وعالجت موضوعاً أثيراً

الى النفوس في ذلك الوقت. وهكذا تتميز القصة القصيرة عن الرواية وبقية أنواع السرد بسبب هذه العوامل مجتمعة، وتتحدد لها خصائصها وبنائها وشروط هذا البناء، ويقيم النقد الأدبي هيكله النظري لها على تلك النماذج العالية لتصبح القصة القصيرة معلماً بارزاً من معالم الأدب في عصرنا الحاضر بما تعالجه من موضوعات وتواكبه من تطور.

-
- (1) – ينظر فن القصة القصيرة، د. رشاد رشدي، ص : 8، والقصة القصيرة، د. الطاهر أحمد مكي، ص : 56، وفن القصة القصيرة بالمغرب، أحمد المديني، ص : 42.
- (2) – فن القصة القصيرة، د. رشاد رشدي، ص : 10، وهذا القول لهولبروك جاكسن في مقدمته لمختارات من قصص موباسان.
- (3) – الصوت المنفرد، فرانك أوكونور، ترجمة د. محمود الربيعي، ص : 10.
-

ويطلع الأدب العربي على هذه النماذج القصصية على يد أعلامه سواء بالترجمة أم بالقراءة باللغات الأجنبية، ويحاول الاستفادة من هذا النوع الأدبي من خلال القراءة أو ممارسة الكتابة نفسها. وهو في الأمر الثاني لا يغفل تراثه القصصي الموهل في القدم كقصص العرب وكليلة ودمنة والمقامات ذات البعد التاريخي الممتد الى وقت قريب وألف ليلة وليلة وغيرها كثير⁽¹⁾، وتساعد الصحافة وانتشارها هنا مثلما ساعدت هناك على ذيوع القصة بالاضافة الى التغيرات التي أصابت الوطن العربي، ان هذا كله قد نقل القصة القصيرة من باب التفكه وتزجية الوقت وملء الفراغ - مثلما كان ينظر اليها - الى فن جاد مسؤول يرتقي في درجته الى مصاف الأنواع الأدبية الأخرى مثل الشعر والرواية والمسرحية. وتحتل القصة القصيرة مكانها الذي تستحق وتواكبها حركة نقدية تحاول تأصيل القواعد ووضع الأسس وتصل الأدب العربي بالأدب الغربي في محاولة جادة لتثبيت هذا الفن وفق دعائم سليمة يرتضيها الذوق والعلم معا.

(1) - ليس الغرض هنا تقديم عرض تاريخي لنشوء القصة القصيرة في الأدب العربي، وانما هي الملحة الدالة التي تساعد على كشف الموضوع، وينظر للتوسع : أثر المقامة في نشأة القصة المصرية الحديثة، د. محمد رشدي حسن، والاتجاهات الواقعية في القصة المصرية القصيرة، د. محمود الحسيني المرسي، مع مراجعهما.

ولم تكن منطقة الخليج العربي بمعزل عن هذا كله، إذ نجد الكويت والبحرين تنضمان الى هذا الركب منذ وقت مبكر من هذا القرن وتسبقان بقية دول المنطقة في هذا المضمار⁽¹⁾، وتحتاج بعد هذا الى وقت كاف للتطوير والانتاج، وقد حدث هذا فعلا بعد أن استكملت المنطقة استقلالها التام ونشطت فيها حركات ثقافية واسعة كانت القصة القصيرة احدى مقوماتها، وكان لا بد أن يتأخر ظهور الشكل الناضج للقصة القصيرة عن الشعر والمسرح مثلا، وذلك نابع من طبيعة القصة القصيرة نفسها بسبب تركيزها الشديد وحساسيتها المرفهة واحتياجها الى أدوات كثيرة بيد كاتبها، يضاف الى هذا أن القصة القصيرة تستفيد من الأوساط الثقافية الأخرى كالمسرح مثلا في تنمية قدراتها، وجدنا هذا في مصر على سبيل المثال⁽²⁾، ونجده في الكويت والبحرين أيضا حيث تسبق الحركة الشعرية والمسرحية حركة كتابة القصة القصيرة⁽³⁾، فكأنها بتطور بقية الأنواع الأدبية توجد لنفسها مناخا فنيا وجماليا من الممكن أن تحيا به ولا تستمر بغيره.

(1) - ينظر القصة القصيرة في الخليج العربي، الكويت، البحرين، ابراهيم عبدالله غلوم، ص :

32.

(2) - ينظر تطور القصة القصيرة في مصر، د. سيد حامد النساج، ص : 52.

(3) - ينظر الحركة الأدبية والفكرية في الكويت، د. محمد عبدالله، ص : 252، والقصة القصيرة

في الخليج العربي، د. ابراهيم عبدالله غلوم، ص : 77.

ولن نجد اختلافا كبيرا بين ما ذكرناه سابقا وما نجده في واقع القصة القصيرة في الامارات، فالشعر والمسرح يسبقانها بوقت كاف (1)، وتبقى قضية قرب بدايات القصة في الامارات قائمة يشير الى هذا قاص من الامارات مشارك في كتابة تاريخ القصة فيها راصد بداياتها وكتابتها اذ يقول :

«القصة في الامارات ناشئة من كل جوانبها، تاريخا وفنا ولغة وتطورا» (2)، ونراه يذكر في موضع آخر أن عام 1979 كان «البداية الحقيقية لنشوء فن القصة الحديثة في الامارات» (3)، مع عدم اغفاله المحاولات المبكرة التي سبقت هذا العام، وقد كان العام السالف ذكره قد شهد تطورا ملحوظا في بقية الفعاليات الثقافية الأخرى من شعر ومسرح وغيرها لأسباب موضوعية ذكرها لا مجال ليرادها هنا، ويؤكد أحد الباحثين هذا الأمر حين يشير الى «قصر عمر هذا الفن في الدولة» (4)، ومن الواضح أن ما ذهب اليه الباحثان يدل على أن هذا تاريخ قريب يدن من سنوات تسع ربما زادت قليلا وهي مدة قصيرة لكي تتضح حركة ما ناهيك عن فن معقد صعب مثل القصة القصيرة، ولكن المتتبع لما يكتب في هذا الباب ينبىء عن حركة تحاول ايجاد نفسها واستقلالها وتكوين شخصيتها المتميزة من خلال الاتكاء على ما قرره النقد النظري في هذا المجال والتعبير عن الواقع بأشكاله المختلفة والحديث عن الهموم المشتركة والتغيرات المستجدة ولا شك أن هذا مطلوب من أية حركة تبغي لنفسها النجاح والوصول الى النموذج الراقى.

(1) - لم يكتب تاريخ الحركة الشعرية في الامارات حتى الآن ولذلك نجد من الصعب علينا اعطاء تاريخ محدد للبدايات الأولى لها، ولكننا نستطيع القول بتحفظ شديد انها تعود الى أواخر النصف الاول من هذا القرن، أما الحركة المسرحية فتعود الى عام 1962 تقريبا. ينظر الحركة المسرحية في دولة الامارات، د. محمد حور، مقال منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة الامارات العدد الأول، سنة 1985، ص : 228.

(2) - توصيفات عامة حول القصة والرواية في الامارات، عبد الحميد أحمد، ص : 1، وهو بحث مقدم الى الملتقى الأول للكتابات القصصية والروائية في الامارات الذي عقد في الشارقة، سنة 1985 م.

(3) - توصيفات عامة حول القصة والرواية في الامارات، عبد الحميد أحمد، ص : 9.

(4) - مجلة شؤون أدبية، العدد الأول، ص : 8.

ويقف القاص محمد المرفي هذه الحركة القصصية الناشئة ظاهرة تختلف عن غيره من القصاصين، ويعود هذا الى أسباب نستطيع تحديدها بما يلي، غزارة الانتاج، اذ أصدر المرحتي الآن ثماني مجموعات قصصية هي : حب من نوع آخر سنة 1982، الفرصة الأخيرة سنة 1983، صداقة سنة 1984، المفاجأة 1985، شيء من الحنان سنة 1985، ياسمين سنة 1986، نصيب 1986، حبوبة سنة 1987، وهذا الرقم أي ثمانية يدل بوضوح على هذه الغزارة، وهي مسألة نسبية ولكنها لو قيست الى غيره من القصاصين والى بدايات ممارسته الكتابة القصصية سنة (1982) لبدت هذه النسبة عالية. ويرجع السبب الثاني الى المثابرة والدأب اللذين يتميز بهما في الكتابة، ان نلاحظ أنه يصدر في العام الواحد مجموعة واحدة ويرتفع هذا الى أربع مجموعات في عامين متتالين، ان الاستمرار في الكتابة يعني من ضمن ما يعنيه اهتمام الكاتب بفنه وقناعته به والتصاقه الدائم معه، ويشير أيضا الى محاولته تطوير هذا الفن ودفعه الى الأمام وهو أمر مطلوب لا من القاص وحده بل من جميع الذين يزاولون الكتابة الأدبية، لان الانقطاع عن الكتابة يبتر الصلة بين الأديب وما يزاوله من عمل أدبي، وقد وجدنا ظاهرة الاستمرار عند كثير من الأدباء الكبار أو من الذين يطمحون الى الوصول والارتقاء بفنهم. أما السبب الثالث فهو ذلك الخيط الرفيع الذي ينتظم قصصه والمضامين المتعددة ضمن بيئة واحدة مما يستلقت نظر القارئ حقا، ولا شك أن تجاوز المتشابهات يشكل ظاهرة ينبغي الوقوف عندها.

هذه هي أهم الأسباب التي تميز المر عن غيره من قصاصي الامارات، ولكنني احب ان أنظر الى هذه القضية من وجهها الآخر، وهو أن الغزارة والكثرة في الانتاج لا تعنيان الجودة المطلقة، نجد هذا عند كبار الأدباء ونجده عند المر أيضا اذ تتفاوت قصصه في أحيان كثيرة فيعلو بعضها ليكون قصة ناضجة ويدنو الآخر ليقترّب من كونه لوحة قصصية أو مجموعة أخبار جمع بينها في اطار واحد، ولا ننسى هنا أمرا مهما في الواقع الثقافي في دولة الامارات، وهو سهولة النشر، سواء في الصحف والمجلات أم النشر على هيئة كتب ومجموعات، فهذا كله يعين الكاتب على الكتابة ما دام يجد من ينشر له، فيقع الكاتب عند ذاك في خطر التسرع وطلب الذبوع وهذا ما لا تحمد عقباه.

وتثار في بداية حديثنا مشكلة مهمة ينبغي مواجهتها بصراحة، وهي كيف نتعامل مع انتاج المر القصصي؟ ولعل هذا السؤال يثير شيئا من الاستغراب وتحمل هذه الدراسة طرفا من الاجابة، ولكن السؤال يشير بقوة الى المنهج الذي يُدرس انتاج المر في ضوءه، وكانت المشكلة تصبح أسهل حالا فيما لو أن المر اختار لنفسه ما يسمى التقنية القصصية الحديثة، وهو أسلوب أقل ما يقال فيه إنه خرج على الأسس الكلاسيكية التي تقوم عليها القصة القصيرة وكتب بموجبها أولئك الرواد الكبار الذين وقفنا عندهم قليلا وعمد الى كسر الوحدات الثلاثة وهي البداية، الوسط، لحظة التنوير أو النهاية واستخدام أساليب جديدة مثل «تداخل الأزمنة وتعدد مستويات الفهم والبناء داخل التجربة الواحدة واستعمال اسلوب التداخي والحوار الداخلي والاتجاه الى الرمز بدلا من التصريح والتعبير المباشر»^(١)، ولكن المر ارتضى لنفسه حتى الآن، وأحترزَ لنفسه بهذا القيد، فهو ما يزال يكتب وربما اختار طريقا جديدا في المستقبل، أقول ان المر ارتضى لنفسه الهيكل القديم للقصة القصيرة وان لم يوفق فيه تماما من حيث قيامها على الخبر ذي التأثير الكلي الذي يحوي الوحدات الثلاثة ودلالة القصة على معنى يجمع نسيجها المكون من اللغة والحوار والوصف والسرد، وتتضافر هذه الأجزاء جميعا في ايجاد قصة قصيرة مكتملة في جوانبها جميعا، مما هو ذائع في كتب النقد النظري^(٢)، ومعروف أيضا ان القصة القصيرة قد كسرت كثيرا من هذه القواعد مثلما أشرنا سابقا وخرجت شأنها شأن بقية الأنواع الأدبية الأخرى مثل الشعر والمسرحية والرواية الى عوالم جديدة لا تأبه كثيرا

بهذه القواعد، وهنا تنبع المشكلة، هل نعتبر محمد المر – حتى الآن – غير أخذ بالأسلوب الحديث للقصة القصيرة؟ ومن ثم ننظر الى ما قدمه بمفهوم من تخلف عن متابعة الجديد وأن هذا الفن قد تجاوزه بزمن غير قصير، أم نتعامل معه وفق منظور البدايات الأولى للقصة القصيرة في الامارات حيث يشكل المر جزءا فاعلا فيها، ولا بد للبداية – أية بداية – من أخطاء التجريب واكتشاف النفس وقتل القديم والحديث فهما، وهذا محتاج الى وقت.

إن النقد الحقيقي الذي يقيم جسورا من الفهم والاحترام بين المبدع والمتلقي – والناقد مستقبل بشكل من الأشكال – يشير الى الأخذ بالرأي الثاني، فليس يكفي أن نصف المر أو غيره من الكتاب بعدم متابعة الجديد والتخلف عنه، وغير مجد أن نقف من هذا الانتاج وقفة العداء، شاهرين السيوف بل إن النظرة المتأنية الهادئة هي المطلوبة في هذا الموقف، خاصة ونحن نتكئ على تراث هام يشبه ما يكتب به المر في بعض الاحيان، فكأننا لو رفضنا ما كتبه المر بهذه الدعوى كنا كمن يرفض شعرا قد كتب وفق العروض الخليلي وأخذ بقافيته أو التزم رويّه بحجة عدم مواكبته الجديد ونحن بعد لم نسلط عليه اي نوع من أنواع النقد، وفي هذا مفاجأة للنقد الحق والانصاف على حد سواء، ولذلك فسوف نقرأ قصص المر بعيون القواعد التي قرّرت والأسس التي رست عليها القصة القصيرة قبل أن يخرج عليها من خرج، مع اشارتنا في هذا الموضع الى أن بعض القصاصين في الامارات قد بدأ يرتاد مجال القصة الحديثة – إن جاز التعبير – ويعبر عنها بشكل جيد، مما يدل على أن محاولات التطوير والاقتراب من الجديد موجودة هنا وهناك في بعض هذه القصص وان كان المر لم يأخذ بها حتى الآن.

- (1) – فن القصة القصيرة بالمغرب، أحمد المديني ص : 39، وينظر هذا المرجع ففيه حديث مهم عن الأسس الكلاسيكية والجديدة للقصة القصيرة.
- (2) – ينظر فن القصة القصيرة، د. رشاد رشدي ص : 11 وما بعدها، والقصة القصيرة، د. الطاهر أحمد مكي، ص : 78 وما بعدها.

- (1) – القصة القصيرة، مقال لسومرست موم، ترجمة د. احسان عباس، منشور في كتابه : (من الذي سرق النار) ص : 358.

يقول سومرست موم : «أميل الى القول بأن المحك الوحيد لجودة القصة هو قدرتها على الامتاع»⁽¹⁾، ولا شك أن قارئ قصص المريشعر بالكثير من الامتاع وهو يجوب ذلك العالم الواسع من الشخصيات والأحداث، وعلى هذا فهي وفق القول السابق قصص جيدة، ولكننا لن نرضى لأنفسنا بهذا التبسيط للمسألة، فالامتاع مسألة نسبية ذوقية، لأن ما يمتع شخصا ربما لا يمتع آخر وهكذا، ولكن الانطباع - على أية حال - حكم نقدي أيضا خاصة اذا صدر من متتبع، ومن الممكن تلمس أسبابه. ولعل مكان الامتاع في قصص المرتاتي من مضامين هذه القصص وكثرة الأحداث وتلاحقها والنهايات التي تحمل الطابع الفجائي غير المتوقع، وهذا يستتبع بالضرورة شد القارئ اليها بسبب هذه الأحداث وتلهفه لمعرفة النتيجة أو الوصول الى نقطة التنوير التي تقف القصة عندها.

والحديث عن المضامين في قصص المريشكر الجانب المهم في بناء القصة عنده، فهو يعالج مضامين متعددة ذات علاقة وثقى بواقعه الذي يعيش، لا بل يحصر هذا الواقع في بيئة محددة لا يخرج عنها هي دبي، وربما كان هذا فهماً فيه شيء من التقصير للواقعية ولكنها واقعية بشكل من الأشكال، أو ان يجد المر نفسه أقدر على الحديث المتمكن عن هذه البيئة التي خبرها وعرف خباياها، فهو يجيد تصويرها أكثر من غيرها، دبي هاجس مستديم يعيش مع المر في قصصه، بخورها ومناطقها وأهلها ومساجدها وأسواقها ومدارسها ودوائرها،

وقل ما شئت فستجد هذا أمامك في قصصه، وقد أخلص لهذه القضية خلاصا عجيبا، فأينما جلت في قصصه، القديمة والحديثة، فلن تجد سوى دبي المدينة والناس، ولا ندري ان كان المريتسم في هذه النقطة بالذات خطى نجيب محفوظ «الذي يضع عينيه دائما على مصر من أول سطر كتبه حتى آخر سطر، انه يستمتع باستمرار الى نبض مصر في تاريخها وواقعها»⁽¹⁾، ولا نغالي اذا قلنا ان القاهرة وحدها قد احتلت الاهتمام الأكبر من نجيب محفوظ بما تموج به من ناس وموضوعات، فهو لا يخرج من القاهرة الا ليعود اليها أو تصبح القاهرة جسرا للخروج ولكنها نهاية المطاف على أية حال، وهكذا نرى المريتسم، فدبي هي بيئة قصصه كلها وهو يحدد هذه البيئة ويسرف في التحديد، وهو لا يخرج من دبي الا ليعود اليها، ونسمع : «تسلل سالم وجمعة الى داخل مئذنة الجامع الكبير في بر دبي»، و «اليوم خرجت أريد أن أرى ديرة»⁽²⁾، و «عبادي من المعالم الانسانية في فريج الغيبية في حي الشندغة»⁽³⁾، و «بفعل الحادث توقفت عشرات السيارات القادمة من طريق المطار وشارع المكتوم وشارع الحميرية وطريق الجسر»⁽⁴⁾.. ونجده يكتب قصة كاملة لتعالج حال دبي بين القديم والحديث هي «ما يقال ويقال»⁽⁵⁾، وتبقى دبي هي المسرح الرئيسي في قصصه يرجع اليها بعد خروج قصير وتظل هي المحور حتى وهو خارجها، «كان مضطرا أن يسافر من دبي إلى أبوظبي»⁽⁶⁾، «عبدالله وأحمد كانا راجعين الى مدينة دبي من نزهة صباح يوم أمضياه على شاطئ خورفكان»⁽⁷⁾، وتكون دبي هي المنبع مع أن الأحداث تدور في بومباي حيث تنقل (ست رسائل)⁽⁸⁾، - وهو عنوان القصة - منها الى دبي.

(1) - في الجهود الروائية د. عبدالرحمن ياغي ص : 89.

(1) - مجموعته الفرصة الأخيرة، ص : 19.

(2) - مجموعته الفرصة الأخيرة، ص : 29.

(3) - مجموعته صداقة، ص : 81.

(4) - مجموعته شيء من الحنان، ص : 43.

(5) - في مجموعته شيء من الحنان، ص : 88. وتنتشر هذه الظاهرة في أغلب قصصه.

(6) - مجموعته صداقة، ص : 13.

(7) - مجموعته المفاجأة، ص : 48.

(8) - مجموعته صداقة، ص : 71.

ان هذا الالحاق على مدينة دبي قد فسخ المجال واسعا أمام المر للحديث عن موضوعات متعددة، وينبغي لنا الإشارة في هذا الموضع الى أمرين أولهما قضية الشكل والمضمون في العمل الأدبي عامة والقصة القصيرة خاصة فنحن نعلم أنه لا فصل بين الشكل والمضمون في العمل الأدبي وهذا أمر أدعى الى التحقق في القصة القصيرة بسبب حساسيتها وتركيزها من غيرها، كما ان «الامتزاج الشديد بين شكل القصة القصيرة ومضمونها هو الذي يضيف عليها المسحة الجمالية»⁽¹⁾، ولذلك فان الحديث عن مضامين قصص المر لا يعني هذا الفصل البتة بقدر ما يعين على تحليل هذه القصص ومعرفة المواضيع التي استولت على اهتمامها وهو يشبه الى حد كبير حديثنا عن الشخصيات ولغة قصصه مثلا. أما الأمر الثاني فهو أن المر ينتقي من بيئة دبي ما يراه صالحا لقصصه من جهة وما يتميز بأهمية خاصة من جهة أخرى اذ من المؤكد ان بيئة القاص تتركز بالكثير الذي تركه ولم يجعله مضمونا لواحدة من قصصه، فالانتقاء يدل هنا على وعي القاص بخطورة هذا الذي ينتقيه وقدرته على رصد مكامن الأهمية في بيئته، ومعلوم أن القاص وان كان يستفيد من الواقع فهو لا ينقله نقلا مباشرا، ويتفاوت القاصون في مدى قدرتهم على النقل وابرار شخصياتهم فيه، ولعل المر قد وفق في هذا الجانب في أحيان كثيرة مما سنعرض له تفصيلا بعد قليل.

يشكل المضمون الاجتماعي السمة الغالبة في قصص المر، فهو يعرض جوانب من واقع دبي معتمدا على تشخيصه الذاتي لها، فتقابلنا صور من دبي قبل النفط وبعده والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي حدثت بعد ذلك، والعمالة الوافدة وخاصة من آسيا، ومشاكل الشباب التي يتعرضون لها سواء في دبي أم في سفرهم الى الخارج، وهي صور تلتصق بالواقع التصاقا مباشرا وتغرف منه، وقد اتبع المر في عرض هذه الهموم الاجتماعية الطريقة الوصفية مبتعدا عن الوعظ واسداء النصائح وتدبيج الخطب المطولة عن اصلاح بعض المشاكل، وهي طريقة ناجحة، إذ إن أسلوب القصة القصيرة وطبيعتها لا يتحمل هذا المنهج في العرض.

(1) - الاتجاهات الواقعية في القصة المصرية القصيرة، د. محمود الحسيني المرسي، ص :

ولعل أهم المضامين الاجتماعية التي تستوقفنا هي العلاقات الأسرية بعد النفط والعمالة الوافدة، وقد أكثر المر في التعرض لها وأبدع في تصوير هذه العلاقات الجديدة ممترجة بالوافدين من كل حذب وصوب ناقلين معهم مواصفاتهم وأديانهم وعاداتهم الاجتماعية التي أثرت على المجتمع وأوجدت علائق ونظما لم تكن معروفة فيما سبق، وكان المركان شاهدا على بيئته ينقل ما يراه بعين خبيرة ويرصد نقاط التغير في هذه البيئة، نرى هذا في قصة (الفرصة الأخيرة) حين يصبح الزواج من الأجنييات سهلا ميسورا، لا يهتم الرجل بأسرته في دبي، ونرى خلفان يبرر لكثرة زواجه بقوله: «ماذا بهم (أي أسرته)؟ أسلي نفسي، لن أخذها معي الى دبي، ستبقى هنا أرسل لها كل ثلاثة شهر ألف روبية هندية، يعني خمسمائة درهم، وفي الصيف أمكث معها ثلاثة أشهر ومتى مللت منها غيرتها، هذه ثالث مرة أتزوج، مرتين في حيدر أباد، وهذه المرة في بومباي»⁽¹⁾، الزواج لا يحمل أية سمة من سمات المسؤولية، أنه تسلية وقضاء وقت، وفي القصة نفسها عندما يريد حمد - وهو صديق قديم لخلفان - الزواج من هندية هو الآخر تعترض أسرته مع أنها تركته فريسة للوحدة والملل، ولكن واحدا من أبنائه يوافق على هذا الزواج فيقول: «دعوه يتسلى هو وزملاؤه. هذه المتعة الوحيدة المادية التي يمكن أن يحصلوا عليها بواسطة ثروة النفط»⁽²⁾، وهنا يبرز النفط واضحا في هذه القضية التي يلعب فيها دورا حساسا، ويكمل الابن نفسه متحدثا عن بعض الملاذ المادية الأخرى: «لا يقدر على الذهاب لأوروبا ولن يتمتعوا بالفيديو ولا بالسيارات السريعة ولا بالبارات والكباريات...»⁽³⁾، ان ما يهم الأب هو الزواج وما يهم الأولاد هو التمتع بهذه الماديات بلا اعتبار كبير للروابط الأسرية. ويتجسد الموقف جليا في قصة (جنسية) حين يريد المواطن سالم بن الحاج خليفة العودة الى مدينته الحبيبة دبي بعد فراق طويل عنها قضاه في الكويت حيث يطلب الاستقرار فيها له ولعائلته، ولكنه يجد الدنيا غير الدنيا، فحي الشدغة حيث ولد قد تبدل عما هو عليه ان «لم يشاهد أسراب الأطفال بأثوابهم البيضاء بل وجد بدلهم هنود منطقة كيرلا وغيرها من منطقة الهند والباكستان»⁽⁴⁾.

(1) - الفرصة الأخيرة، ص: 9.

(2) و (3) - الفرصة الأخيرة، ص: 14.

(4) - الفرصة الأخيرة، ص: 84.

ولم يستطع أن يحصل على وظيفة يرتزق منها لأن المسؤول أخبره «أننا لا نوظف إلا أصحاب المؤهلات»⁽¹⁾، وبدأ أولاده يملون من وضعهم الجديد المتعب، فهم لا سكن ولا عمل، ولذلك شد الرجال كربة أخرى إلى الكويت طالباً جنسيتها. ونرى في قصة أخرى أخوة مجتمعين حول سرير أمهم المريضة التي تموت في نهاية القصة ولكنهم مشغولون عن هذا كله بهوموم التجارة والمشاكل الشخصية، «الأخ الكبير كان مشتركاً في نقاش مستمر مع شريكه وزوج أخته عن ضرورة اقضاء محاسب الشركة الهندي»⁽²⁾، «الولدان الثاني والثالث كانا يتكلمان على الطقس الممطر في بومباي طيلة الصيف»⁽³⁾، والأخت تتحدث عن مشاكل أولادها وبناتها بينما كانت «عائشة (الأم) ... غائبة عن كل تلك الأحاديث»⁽⁴⁾، سالم لا يجد عملاً والأولاد لاهون عن أمهم وغير هذه المظاهر كثير، إنه يقدم نماذج من الواقع يغلفها بذلك المضمون الاجتماعي الذي يعرفه جيداً ويوظفه بفعالية في قصصه، ويعود ليعالج هذا الواقع على لسان واحد من شخصيات قصته (هجرة المحنط) حين يقول :

«بلد عجيب، خبزك يخبزه إيراني، صاحب المطعم هندي، النجار بنجابي، الذي يكوي ملابسك مدراسي، سائق التاكسي باتاني، الكهربائي باكستاني، البائع هندي، الممرضة التي تضربك الحقنة سيلانية»⁽⁵⁾، خليط غريب من الناس يعيش في بيئة القاص. يراهم ويرصدهم وينقل إلى قصصه نتائج هذه المشاهدة.

ولعلي بعد ما تقدم أستطيع القول إن المر يعتمد الواقعية التسجيلية في قصصه معتمداً على شرائح من الواقع ينتقيها - مثلما ذكرت - ، وهي التي منحت قصصه نكهة خاصة وقيمة متميزة، فقد استطاع باتباعه هذا الأسلوب الاقتراب من مجتمعه ورصد الكثير من مظاهره وإن كان هذا الرصد في بعض الأحيان سطحياً لا يتعمق المضمون أو يعمل على تشريحه، وإنما هي لوحات تمثل الواقع تمثيلاً مقارباً وتعمل على تشخيص السبلات فيه في محاولة للفت الأنظار إليها بغية علاجها، وليس هذا بغريب على القصة القصيرة التي اعتمدت التسجيلية ذات المضمون الاجتماعي وخاصة في الأدوار الأولى من دخولها الأدب العربي، فقد «كانت حاجة اجتماعية قبل أن تكون حاجة فنية»⁽¹⁾، وقد احتاجت إلى وقت ليس بالقصير لكي تنزع عنها هذا الثوب وتجرب أشكالاً جديدة مختلفة عن الحاجة الاجتماعية وحدها. ولعل المر وهو يدرك حداثة القصة في

الامارات يلجأ الى المجتمع، يتفاعل معه ويسجل متغيراته من حيث كونه جزءاً
من هذه البدايات في الامارات.

-
- (1) - الفرصة الأخيرة، ص : 86 .
(2) - و (3) و (4) - ليلة ممطرة، مجموعته حبوبة ص : 33 .
(5) - شيء من الحنان، ص : 100 .
-

تشكل الشخصيات في العمل القصصي عنصرا لا يمكن الاستغناء عنه ولا يقوم الا به، وهي في القصة القصيرة ذات مكانة متميزة بسبب تحديد القاص بحيز صغير في وصفها وعدم الاهتمام بالتفاصيل الكثيرة فيها - كما ان الشخصيات هي المحركة للحدث والعاملة على تطوره للوصول به الى نقطة التنوير، ولا شك ان الشخصية حين تندمج بالحدث اندماجا كليا تتبين الجوانب الكثيرة في فنية القصة، وعند ذلك تصبح الشخصية والحدث شيئا واحدا، وقد وظف المر الكثير من الشخصيات المتباينة في قصصه، ونستطيع ملاحظة نماذج من هذه الشخصيات، فهناك الشخصيات المهمة الثرية من تجار وموظفين كبار. وهناك شخصيات عادية من طلاب وموظفين صغار وعاطلين عن العمل، وهناك شخصية المرأة من حيث كونها موظفة أو طالبة أو عاطلة باحثة عن وسائل لقتل الوقت أو ربة بيت منجبة للأطفال، ومن الملاحظ ايضا ان المر قد اختار لشخصياته أسماء مثل : خليفة، سلطان، سيف، حمد، خلفان، حصة، شمسة، حمدة، وكأنه يؤكد بذلك انتماء هذه الشخصيات الى تلك البيئة التي أخلص لها وظل يذكرها في قصصه مثلما ذكرنا.

-
- (1) - القصة القصيرة وأوهام الابداع، عبد الله أبو هيف، مقال منشور في مجلة الفكر العربي، العدد الخامس والعشرون سنة / 1982، ص : 390.
- (2) - من مجموعته المفاجأة، ص : 6.
-

ومن الشخصيات التي استطاع المر رسمها بنجاح وأثرت بدورها على هيكل القصة كلها شخصية سالم بن علي في قصة (أمسيات على رصيف هادى)⁽²⁾، حيث يقرأ سالم في الجريدة أن صديقه خلفان الخميس قد توفي، فيذهب الى العزاء ويجلس ليقراً شيئاً من القرآن الكريم، وهنا يعمد القاص في سبيل توضيح شخصيته المركزية (سالم) الى أسلوب التداعي والحوار الداخلي مع النفس - وهو أسلوب يأخذ به المركب كثيراً في بقية قصصه -، وهنا نجد الشخصية تتحرك وتعمل وتصنع الحدث وتشارك مع خلفان المتوفى في نسج المضمون، وسالم خلال هذا كله جالس في مكانه لم يبرحه، لقد استطعنا معرفة أبعاد الشخصية ومستواها الفكري بلا تدخل من القاص، بينما ينقطع تيار الذكريات بين فترة وأخرى بأيات من القرآن الكريم كأنها تذكرنا بجلال الموت، إن الشخصية والحدث هنا قد التحمتا بشكل جيد مما أضفى على القصة بعداً فنياً ورسالة لغوية أدت الى نجاحها في تصوير الحدث والشخصية على السواء. ولكننا لا نجد مثل هذه النماذج تتكرر كثيراً في قصصه، مما يدعونا الى الوقوف والتساؤل، اذ نجد الشخصية في أحيان كثيرة مسخرة بيد الكاتب يحركها كيفما يشاء معتمداً على الوصف والمفاجأة والافتعال، ومن هنا ينتابنا ذلك الشعور القلق بوجود القاص يفصل بيننا وبين القصة، وهذا لا شك خلل كبير في بناء القصة، اذ من المفترض أن تكون الشخصية هي المحركة للحدث مثلما وجدنا في القصة السابقة ولكننا نفتقد هذه الميزة في كثير من القصص ولعل سبب هذا يعود الى الواقعية التسجيلية التي أخذ بها، فشخصياته من الممكن أن نراها في أي مكان نذهب اليه، ولم يكن عمل القاص سوى نقلها الى الورق، وهذا - بلا ريب - يضعف كثيراً من دور هذه الشخصيات ويجعلها وكأنها دمية بيد القاص تتحرك بأمراته وتصنع ما يمليه عليها. وجدنا هذا في قصته (سبع ساعات صداقة)⁽¹⁾، حيث نلتقي بشخصيتين رئيسيتين هما سلطان وخليفة اللذان يلتقيان في الطائرة القادمة الى دبي، وتدور أحداث القصة في الطائرة، ونلاحظ من خلال الحوار الدائر بينهما والأحداث التي يشتركان فيها أنهما يعملان على تطوير هذه الأحداث بل يتولى القاص الظاهر أمامنا هذه المهمة، فكأننا أمام مقالة لا قصة صغيرة، نتحدث هذه المقالة عن الشباب في الخارج، ولا يضيرها حذف هاتين الشخصيتين وتبقى الفكرة قائمة من خلال الوصف والسرد. ان هاتين الشخصيتين لم تقدما لنا وهما متحركتان ولذلك نشعر بانفصالهما عن مجرى

القصة وعدم تحريكهما لأحداثها وهذا خلل ظاهر أدى اليه الولع بالتسجيل. ويقابلنا الشيء نفسه في قصته (أسئلة حمدة)⁽¹⁾، التي لا تعدو أن تكون وصفا لما يحدث داخل سيرك كبير، وتقوم الطفلة حمدة بتوجيه أسئلة الى أبيها حول هذا السيرك، وقد تميزت بعض الاسئلة بالذكاء من جهة والاحراج للوالد من جهة أخرى، ولكننا لم نشعر بأهمية هاتين الشخصيتين في بناء القصة كما أن توظيف شخصيات أخرى مثل المهرج والفتاتين الجالستين لم تستطع بث روح الحركة داخل القصة، فجاءت وصفا جافا لا حياة فيه بسبب هذا الانقسام بين الشخصية والحدث، فهي مجموعة أخبار أو كان الحدث أمر مفروض وتأتي الشخصية زينة خارجية أو عنصرا تكميليا له، ويبدو أن هذا الأمر قد ولد إشكالا آخر في شخصيات المر هو ما يسمى بالشخصيات ذات المستوى الواحد في الحوار، اذ نلاحظ أن كثيرا من الشخصيات داخل قصة واحدة تتحدث وكأنها تتطرق بلسان واحد وتعبر عن فكر متشابه مع اختلاف ثقافتها وتفكيرها وأعمارها، وهذا يجعل القصة تسير على نسق واحد ويعطل من عمل الشخصيات ويزيد من انفصامها عن الأحداث، كما لا يعطى القارئ فرصة لمعرفة أبعاد الشخصية الفكرية والنفسية، ففي قصته (العجب والسبب)⁽²⁾، تقابلنا شخصيات متعددة مثل حسين محمد وسالم خميس وابراهيم عبد الله وراشد خالد، وهناك أيضا بدرية التي يعجب بها الكثيرون وهي محور القصة من حيث إعجاب أولئك الشباب بها، وهذه الشخصيات مختلفة في نواح كثيرة، في التفكير والثقافة والاهتمامات. ونحن لم نعرف هذا كله من تصوير القاص لهم أو من التمازج بينهم، بل عرفناه من شرحه لأحوالهم ووصفه لأنماط سلوكهم، وهو الأسلوب الذي يلجأ القاص اليه كي يسد تلك الثلمة، ونعني به الوصف وصف الشخصية وهي طريقة غير موفقة، فبدلا من أن تترك الشخصية لتعبر عن ذاتها وتشير الى نفسها - وهو المطلوب - من خلال الحوار والحركة يعمد الى وصفها جسميا ونفسيا فتغرق القصة في التفصيلات من جهة وتقبع الشخصية في زاوية من زوايا القصة غير قادرة على التعبير من جهة أخرى. ان الحوار الناجح الذي تديره الشخصيات هو الذي يعبر عن أفكارها وأحجامها لا الوصف الذي يتكفل القاص به فيشعرنا بوجوده في ثنايا الكلمات والسطور.

(1) - من مجموعته (حبوبة)، ص : 127.

(1) - من مجموعته (حبوبة)، ص : 39.

(2) - من مجموعته (شيء من الحنان)، ص : 28.

ان الشخصيات التي وظفها المر شخصيات حية واقعية موجودة بيننا ولكنه
يذكرها دوماً بأياديه عليها. فهو الراصد لها الناقل حركاتها الواصف أفعالها - الا
فيما ندر -، وهذا لا يعمل على نجاح القصة بسبب ضعف ركن مهم من أركانها.

وقفنا فيما سبق عند الشخصيات وتعرضنا لقضية الوصف والحوار اللذين يعتمد القاص اليهما ليغطي شيئاً من النقص في نسيج قصته، ونقف هنا عند قضيتين أخريين تمسان النسيج أيضاً وهما التقريرية والاغراق في التفاصيل، وقد لوحظ لجوء المر اليهما بشكل لافت للنظر في عدد لا يستهان به من قصصه، وهما لا شك عيبان من عيوب النسيج يؤثران على بناء القصة كلها، ويراد بالتقريرية تدخل الكاتب السافر أثناء القصة في عرض آرائه وأفكاره، وتأتي هذه الآراء والأفكار كأنها منفصلة عن جسم القصة أو غير مرتبطة مع واحدة من شخصياتها، وهذا يؤدي بالضرورة الى تخلخل في نمو القصة وادخال عناصر غريبة عليها كما يضعف قدرة القصة على التصوير، وهو عنصر مهم من عناصر فنيته، فكان القاص في هذه الحالة يسرد علينا الأحداث بدل تصويرها^(١)، ولهذا التقريرية شواهد كثيرة منها وصفه الطويل لحميد بطل قصة (العاشق) حيث يقول : «حميد شاب نحيل، بل إن نحوله الشديد هو أول شيء يجذب الانتباه اليه، زملاؤه في مكتب الوزارة التي يعمل فيها لهم آراء مختلفة حول أسباب ذلك النحول الواضح»، وتسرد تلك الأسباب مع وجهات النظر، ومن العجب أن القاص يقطع الكلام ليقول : «نظرات حميد الحاملة وجسده الضعيف قد توحى لبعض الناس أنه عاشق موله وهو قد مرت به تلك التجربة الانسانية

البهجة والغريبة، ولذلك قصة سنسردها ولكن قبل أن نفعل ذلك لنتكلم عن شخصية حميد ومكوناتها النفسية وما يشغلها حياتيا وروحيا⁽¹⁾، ويستمر الوصف حتى يستغرق معظم القصة، لقد تكفل الكاتب هنا بتوضيح شخصية حميد مع وصف الأحداث المتصلة بها، وحميد واجم لا يشارك في هذا كله، بل إنه قد توقف عن الوصف قليلا ليعلن لنا أنه سيؤجل أمرا ويقدم آخر، وهنا بلغ التقرير منتهاه وفقدت القصة تماسكها وانسيابها، ويصادفنا هذا التوقف من القاص ليعلن أمرا ما في قصته (الحلم) حين يتحدث عن نفوذ سيدة مسنة على صديقاتها فيقول:

«لنط بعض الأمثلة»⁽²⁾، ويروح عارضا هذه الأمثلة بأسهاب شديد. ونرى هذه التقريرية في قصة (الأفيون والحب)⁽³⁾، حين يطيل في وصف (جمعة عبيدان) بطل القصة ويقدمه لنا جاهزا للفهم، وتمثل قصة (قمامة)⁽⁴⁾ هي الأخرى شكلا من أشكال التقريرية في وصف الأحداث والشخصيات، وقد سرت هذه الظاهرة في غير هذه النماذج السالفة حتى ليظن أنه يستخدمها ليعين القارئ على الفهم أو أن هذا التدخل سيضفي على القصة وضوحا لا مفر منه، ومعلوم أن القصة القصيرة لا مكان فيها لهذه التقريرية العالية لأن القاص سوف يبتعد عن التصوير وهو مكن جمال القصة ويدل على تمكن القاص من فنه، وستكون هذه التقريرية مركبا سهلا له يعينه على نقل أفكاره ورسم شخصياته وأحداثه ولكنها لن تنتج أبدا قصة جيدة تعتمد التصوير الذي ذكرناه سابقا. ولعل هذه التقريرية سوف تؤدي بالقاص الى خلل آخر هو الاغراق في التفاصيل وعدم الانتباه الى التركيز الشديد المطلوب في القصة القصيرة، ومعروف أن «صفة التركيز أساسية في القصة القصيرة فهي أساسية في الموضوع، وفي الحادثة وطريقة سردها أو في الموقف وطريقة تصويره أي في لغتها، ويبلغ التركيز حدا أنه لا تستخدم لفظة واحدة يمكن الاستغناء عنها أو يمكن أن تستبدل بها غيرها»⁽¹⁾، ومعروف أيضا أن «القصة القصيرة لا تتسع للتفاصيل الفرعية الكثيرة أو تصوير كل جوانب الشخصية»⁽²⁾، ولكننا وجدنا عكس هذا في كثير من قصص المر. إذ نراه يميل كثيرا الى التفصيل في وصف شخصياته، أماكن وجودهم، صفاتهم النفسية والجسمية، ويلجأ الى التفصيل في وصف الأحداث ويضيف قضايا خارجية لا تؤثر كثيرا في نسيج القصة فيما لو حذفت مما يدل على فضولها وعدم أهميتها، ففي قصة (شيء من الحنان)⁽³⁾، يطيل كثيرا في كيفية تعلم الخادم السيلاني فنون

العمل في البيت، وفي قصة (صالح)⁽⁴⁾.. لا يكتفي بالحديث القصير عن توهم حب خلف لطالبة معه بل يطلب من صديقه صالح أن يكتب لها رسائل، وإذا بنا نفاجأ أن القاص يسطر لنا ثلاث رسائل غرامية مبتوتة الصلة بانسياب القصة لا يؤثر حذفها البتة على نسيجها العام، ويقال مثل هذا عن قصة (ماذا قال وراد قبل أن يموت؟)⁽⁵⁾، التي تدور بعض أحداثها في حي قرطبة، فنرى القاص يعمد الى التاريخ حيث يسرد لنا شيئاً من تاريخ مدينة قرطبة التي قتل فيها يوليوس قيصر ويعرج على ابن رشد وابن حزم ولا ينسى دخول الفاشيين اليها في هذا القرن، وهذه تفاصيل لا داعي لها البتة تعيب نسيج القصة ولا تعمل على تماسكه وقوته، ولو عمد القاص الى التكتيف في عبارته وطرح الفضول الذي يكون عبئاً على القصة لسلم الكثير من قصصه مما ابتلي به من هذين الخللين.

(1) - مجموعته الفرصة الأخيرة، ص : 35.

(2) - مجموعته المفاجأة، ص : 108.

(3) - من مجموعته صداقة، ص : 17.

(4) - من مجموعته صداقة، ص : 59.

(1) الأدب وفنونه، د. عز الدين اسماعيل ص : 15.

(2) - الاتجاهات الواقعية في القصة المصرية القصيرة، د. محمود الحسني، ص : 27. وينظر كذلك القصة القصيرة، د. الطاهر مكي ص : 84.

(3) - مجموعته شيء من الحنان، ص : 14.

(4) - مجموعته شيء من الحنان، ص : 36.

(5) - مجموعته الفرصة الأخيرة، ص : 78.

ومما يدخل في نسيج القصة القصيرة ويعمل على تماسكها ومتانتها ذلك الشيء الذي تتميز به الفنون عموما وهو اللغة، ونرى أن الحديث سيكون معادا لو أشرنا الى أن اللغة عند الأديب ليست أداة للتوصيل فحسب بل هي وسيلة من وسائل الجمال حين يستخدمها الأديب في تراكيب غير مألوفة في لغة الكلام العادي أو يصنع منها علاقات جديدة بين الأفكار والأشياء.

ومن الضروري أن تكون اللغة الأدبية فصيحة خالية من الخطأ النحوي من ضمن ما يجب أن تتميز به من شروط وصفات، وتبقى عبقرية اللغة كامنة لا يفجرها الا المبدع من الأدباء وهم قلة. وقد لوحظ في لغة المر القصصية سواء تلك التي يستعملها في السرد والوصف أم تلك التي يستعملها في الحوار، نقول لوحظت جملة أمور أشرت الى واحد منها فيما سلف وهو التقرير، ونضيف هنا أن التقرير يدني لغة القصة من لغة الكلام العادي ويفقدها ذلك التوتر الواجب توافره في اللغة الأدبية، ومما يحسب للمر هنا أنه اتخذ الفصيحة منهجا في السرد والحوار على السواء، وحاول أن يقترب بلغته من الجو النفسي للشخصيات، وهذا مطلوب كي يعمل الحوار على توضيح جوانب الشخصية من خلال ما تتفوه به، ولكن المشكلة تكمن في بعض التراكيب التي يستخدمها إذ هي أقرب الى العامية والركّة منها الى الفصحى، وقد ظهر هذا بوضوح بسبب

استخدامه اللغة الفصيحة فاذا عدل عنها الى غيرها ظهرت الأخرى سريعا كأنها تشير الى نفسها، ونلاحظ التراكيب التالية : «يقبلها على رأسها»⁽¹⁾، «رتمه عليه»⁽²⁾، «وخرجنا في التاكسي»⁽³⁾، «هذا يتحول في الجسم الى دم على طول»⁽⁴⁾، «حتى النافذتين الصغيرتين في أعلى الجدار أغلقهما بعد أن ركب على احدى الكراسي»⁽⁵⁾، «كان يشغل في دلالة الأراضي وبالرغم من عدم معرفته بالقراءة والكتابة»⁽⁶⁾، «وبعدها انقطع التواجد الأنثوي في الشقة»⁽¹⁾، «هذه الحكاية يرويها بفرح وانبساط»⁽²⁾، «ثلاثتهم لم يتزوجوا ولا يعيشون في منزل معروف»⁽³⁾، «رحلة كويسة»⁽⁴⁾، «شاهد شابا في مثل عمره»⁽⁵⁾، «لم تفتح ولا واجد من تلك الكتب»⁽⁶⁾، «كانوا يعيشون وراء ثروة والدها»⁽⁷⁾، وقد أطلنا في ايراد النماذج قليلا لنبين اقترابها الشديد من لغة الكلام العادي، ومن المؤكد أن هذا مما يعيب نسيج القصة كلها ويفتح الباب واسعا للتساؤل، ولا يعتد هنا بالقول الذي يذهب الى أن العامية أقدر على التعبير عن حالة الشخصية من الفصحى بسبب اقترابها من الواقع لأن الأديب لا ينقل الواقع مثلما يراه بل يختار وينتقي ويستخدم اللغة الموحية التي تساعده على التصوير والتشخيص، كما أن الدارس قد اختار - في هذا الموضع بعينه - أغلب النماذج السابقة من لغة السرد والوصف لا من لغة الحوار، وبذلك لا تتحقق تلك المقولة ويبقى التساؤل قائما، ويضاف الى ما نحن بصدده وجود الخطأ النحوي في التركيب وهو ما لا يستسيغه ذوق أو يقبله قارئ، ولنلاحظ ما يأتي : «ولكن أبوه»⁽⁸⁾، «أنا أشجع منك ومن أبوك»⁽⁹⁾، «مرة كان السيد يقرأ في أحد كتبه وأحمد جالسا في مكانه»⁽¹⁰⁾، «سبعة عشرة عاما وخمسة عشرة عاما»⁽¹¹⁾، «ولكنها تتذكر أن أخوها عاطل عن العمل»⁽¹⁾، «اتجهت الى حجرة أبوبكر، لم تستطع تخليص أبو بكر وان أبو بكر»⁽²⁾، «خمسة عشرة سنة»⁽³⁾، «جاء أناس آخرين»⁽⁴⁾، «بالصدفة شاهدت أخوه»⁽⁵⁾، «ثلاثة طالبات وثلاث طلاب»⁽⁶⁾، «والشباب كانوا كثيرون»⁽⁷⁾، «احتج البدو المشتركين في السباق»⁽⁸⁾، «كانت قدماء مغيرتان»⁽⁹⁾، وغيرها... نحن لا نسلط هنا نقدا لغويا أو نحويا مجردا على لغة المر القصصية بل نحاول التنبيه الى أن هذا الخروج الصريح على التراكيب السليمة يؤثر تأثيرا مباشرا على فنية القصة ويضيف خللا اضافيا اليها من الممكن تجاوزه بشيء من الروية والدقة. ومن الضروري ان نشير الى ظاهرة شائعة في القصص جميعها ما دمنا في محيط اللغة والحفاظ على سلامتها، وهذه الظاهرة هي

اهمال علامات الترقيم اهمالا يكاد يكون تاما الا من بعض المواضع حيث تند نقطة هنا وعلامة استفهام هناك، وهذا يؤثر على متابعة القارئ للقصة ويؤدي الى تداخل المعاني ولا يفسح المجال للتفاعل والتذوق. فعلامات الترقيم ذات غرض محدد معروف واهمالها يزيل فاعلية هذه الأغراض ويفقد القاص اداة مهمة من أدوات التعبير والتأثير ورسم الحدث.

ان اعتناء الأديب بلغته ووضعها المكان التي تستحق في مجمل العمل الأدبي دليل على تمكن هذا الأديب من فنه، وايمانه بأن الشكل الجيد هو المضمون الجيد والعكس صحيح اذ هما وجهان لا يفصلان البتة.

- (1) - قصة خروج من مجموعته الفرصة الأخيرة، ص : 29.
- (2) - قصة خروج من مجموعته الفرصة الأخيرة، ص : 28.
- (3) - قصة العاشق من مجموعته الفرصة الأخيرة، ص : 41.
- (4) - قصة أيام حارة من مجموعته الفرصة الأخيرة، ص : 51.
- (5) - قصة فيديو من مجموعته الفرصة الأخيرة، ص : 107.
- (6) - قصة الأفيون والحب من مجموعته صداقة، ص : 17.

- (1) - قصة عنتر من مجموعته صداقة، ص : 24.
- (2) - قصة لماذا ضربت فطوم الورد جارتها، من مجموعته صداقة، ص : 29.
- (3) - قصة قمامة، من مجموعته صداقة، ص : 59.
- (4) - قصة المستقبل، من مجموعته صداقة، ص : 85.
- (5) - قصة أمسيات على رصيف هاديء من مجموعته المفاجأة، ص : 7.
- (6) - قصة زواج بارد من مجموعته المفاجأة، ص : 69.
- (7) - قصة السيدة الكبيرة، من مجموعته المفاجأة، ص : 86.
- (8) - قصة العاشق، من مجموعته الفرصة الأخيرة، ص : 36.
- (9) - قصة أيام حارة، من مجموعته الفرصة الأخيرة، ص : 49.
- (10) - قصة السر، من مجموعته الفرصة الأخيرة، ص : 99.
- (11) - قصة المفاجأة، من مجموعته المفاجأة، ص : 34.

-
- (1) - قصة شيء من الحنان، مجموعته شيء من الحنان، ص : 17 .
 - (2) - قصة شيء من الحنان، مجموعته شيء من الحنان، ص : 18 .
 - (3) - قصة شيء من الحنان، مجموعته شيء من الحنان، ص : 14 .
 - (4) - قصة المربوط، مجموعته المفاجأة، ص : 45 .
 - (5) - قصة شيء من الحنان، مجموعته شيء من الحنان، ص : 18 .
 - (6) - قصة الصفعة، مجموعته شيء من الحنان، ص : 22 .
 - (7) - قصة العجب والسبب، مجموعته شيء من الحنان : ص : 29 .
 - (8) - قصة البيبي، مجموعته شيء من الحنان، ص : 69 .
 - (9) - قصة البيبي، مجموعته شيء من الحنان، ص : 70 .

لعل الذي تقدم كله يجعلنا ننتهي الى نتيجة مفادها أن القاص محمد المر قدم قصصا تتفاوت فيما بينها من حيث الجودة او الابتعاد عنها، وهو خلال مجموعاته الثمانية قد سلك طريقا واحدا يقترب من التسجيل الواقعي للحوادث والشخصيات فأخذ أحسن ما فيه ووقع في عيوبه المعروفة، ولا شك أنه نجح نجاحا كبيرا في رسم بيئته وتوظيف شخصيات تعيش في هذه البيئة وتتفاعل معها، وهذا مما يحسب له في اطار البدايات للقصة القصيرة في الامارات، فله فضل النقل والتسجيل، ولكننا نعتقد أن القصة القصيرة الجيدة لا تعتمد على هذا وحده وهذا ما أوقعه في أشكال من الخلل بحثت بتفصيل فيما سبق مثل التقريرية والاغراق في التفاصيل واللغة المقترية من لغة الكلام العادي، ولعل القاص يذهب معنا الى أن هذا الاسلوب في كتابة القصة لم يعد هو المؤلف اليوم وان كان يمتلك الكثير من الامتاع الوقتي واللذة العابرة، كما أن هناك رأيا يذهب الى أن التسجيل له قيمة اجتماعية تاريخية من حيث رصد العادات والتقاليد ووضع اليد على مواضع التغير بأنماطه المختلفة التي تصيب المجتمع، ولكن مهمة القصة القصيرة لا تتوقف عند حد الامتاع فحسب، كما أن جعل الأدب وثيقة تاريخية اجتماعية فيه الكثير من المحاذير مما يدعو الى عدم جدية الأخذ به الا عاملا مساعدا في توضيح حادثة ما، ولهذا فان القصة القصيرة ذات دور فاعل في الغوص الى أعماق النفس الانسانية وتشريح المجتمع بعيدا عن الرصد السطحي الظاهري. والوصول الى مناطق ربما عجزت عنها بقية الفنون

الأدبية، يضاف الى هذا أن القاص لا يكتفي بالثقافة الأدبية وحدها، لأن التحليل محتاج الى ثقافات أخرى تعينه على هذا التحليل والغوص، ولعل النماذج العالية من القصة خير دليل على ما نذهب اليه، ولا شك أن المر يعرف هذا ويعرف ما هو أحسن منه، فالقصة القصيرة جزء من بضاعته الأدبية والصحفية التي يمتلكها وهو بلا ريب مستخدمها في تطوير فنه الذي يريد ونريده نحن منه.

*** **

«مراجع البحث»

- (1) الأدب وفنونه، د. عز الدين اسماعيل، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي، الطبعة الثامنة، سنة / 1983 م.
- (2) الاتجاهات الواقعية في القصة المصرية القصيرة - د. محمود الحسيني المرسي، دار المعارف بمصر، سنة / 1984 م.
- (3) أثر المقامة في نشأة القصة المصرية الحديثة، د. محمد رشدي حسن، الهيئة المصرية للكتاب، سنة / 1974 م.
- (4) تطور القصة القصيرة في مصر، د. سيد حامد النساج، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، سنة / 1968 م.
- (5) توصيفات عامة حول القصة والرواية في الامارات، عبد الحميد أحمد، بحث مطبوع على الآلة الكاتبة مقدم الى الملتقى الأول للكتابات القصصية والروائية في الامارات، الشارقة سنة / 1985 م.
- (6) حبوبة، محمد المر، مطابع البيان التجارية، دبي، سنة / 1978 م.
- (7) الحركة الأدبية والفكرية في الكويت، د. محمد حسن عبد الله، رابطة الأدباء في الكويت، سنة 1973 م.
- (8) شيء من الحنان، محمد المر، مطابع البيان التجارية، دبي، سنة / 1985.
- (9) الصوت المنفرد، فرانك أوكونور، ترجمة د. محمود الربيعي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، سنة / 1969 م.
- (10) صداقة، محمد المر، مطابع البيان التجارية، دبي، سنة / 1984 م.
- (11) الفرصة الأخيرة، محمد المر، مطابع البيان التجارية، دبي، سنة / 1983.
- (12) فن القصة القصيرة في مصر، د. رشاد رشدي، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الثالثة، القاهرة، سنة / 1970 م.
- (13) فن القصة القصيرة بالمغرب، أحمد المديني، دار العودة، بيروت، بلا تاريخ.
- (14) في الجهود الروائية ما بين سليم البستاني ونجيب محفوظ، د. عبد الرحمن ياغي المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، سنة 1981.
- (15) القصة القصيرة، د. الطاهر أحمد مكي، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، سنة 1978 م.
- (16) القصة القصيرة في الخليج العربي، الكويت والبحرين، ابراهيم عبد الله غلوم، مطبعة الارشاد، بغداد، سنة 1981 م، الطبعة الأولى.
- (17) مجلة شؤون أدبية، مجلة اتحاد كتاب وأدباء الامارات، العدد الأول 86 / 1987.
- (18) مجلة كلية الآداب، جامعة الامارات العربية المتحدة، العدد الأول سنة 1985.
- (19) مجلة الفكر العربي، العدد الخامس والعشرون، شباط سنة / 1982 م.
- (20) المفاجأة، محمد المر، مطابع البيان التجارية، دبي، سنة / 1985.
- (21) من الذي سرق النار، د. احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1980 م.

المحتويات

البطل المنكسر	
ملامح النموذج في قصص عبد الحميد أحمد	
رأفت السويركي	11
وهم الواقعية .. مآزق الكتابة في الخليج	
الدكتور: سعيد مصلح السريحي	63
عن الكتاب الأدبي في الخليج العربي	
الدكتور: علي جواد الطاهر	77
ملامح التغير الاجتماعي في القصة القصيرة	
الإمارات العربية المتحدة	
الدكتور: محمد عبدالله المطوع	163
محمد المر والقصة القصيرة	
دراسة في المضمون والبناء	
الدكتور: وليد محمود خالص	209

صدر عن اتحاد كتاب وأدباء الإمارات

- كلنا.. كلنا.. كلنا نحب البحر قصص قصيرة لعدد من كتاب القصة في الإمارات
- قصائد من الإمارات غننارات شعرية لعدد من شعراء الإمارات
- السمكة الصغيرة قصتان تأليف: صمد بهرنجي ترجمة: علي عبد العزيز الشرحان وعمر عدس
- صلاة العيد والتعب شعر عارف الحاجة
- معجم القوافي والألحان في الخليج العربي فالح حنظل
- أطفال آخر الزمان رواية تأليف: عزيز نيسين ترجمة: عمر عدس
- الرجل العاشر رواية تأليف: غراهام غرين ترجمة: مصطفى كمال
- الأرواح تسكن المدينة قصة أنور الخطيب
- شدو الزمن شعر سلطان خليفة
- سالم بن علي العويس دراسات ومقالات جمع واعداد: عبدالاله عبد القادر لعدد من الكتاب

- فيروز قصص مريم جمعة فرج
- مدية واحدة لا تكفي لذبح عصفور شعر سيف الرحي
- جغرافية الفردوس شعر جعفر الجمري
- سلطان العويس تاجر استهواه الشعر دراسات ومقالات جمع واعداد: لعدد من الكتاب عبدالاله عبد القادر
- وردة للوطن وقبله للحبيبة شعر عمر أبو سالم
- أبحاث الملتقى الأول للكتابات القصصية والروائية في دولة الإمارات العربية المتحدة تاريخ الحركة المسرحية في دولة الإمارات 1960 - 1986 عبدالاله عبد القادر دراسة
- 12 قصة قصيرة مجموعة من الكتاب
- فنجان قهوة عبدالله عبد الرحمن
- هذا هو الساحل أين البحر شعر مؤيد الشيباني
- بحثاً عن النهر شعر رأفت السويركي
- علي بن المسك التهامي يفاجئ قاتليه شعر عارف الحاجة
- الرحلة العجيبة قصص يابانية ترجمة: فكري بكر
- الاتفاقيات السياسية والاقتصادية التي عقدت بين إمارات ساحل عُمان وبريطانيا 1806 - 1971 علي محمد راشد
- ميادير قصص ناصر جبران
- الطحلب قصص قصيرة إبراهيم مبارك
- عندما تدفن النخيل قصص ناصر الظاهري
- خلفان بن مصبح دراسة اعداد: شوقي رافع
- طفول قصص سعاد العريبي
- ندوة الأدب في الخليج العربي - الجزء الأول

المطبعة الاقتصادية